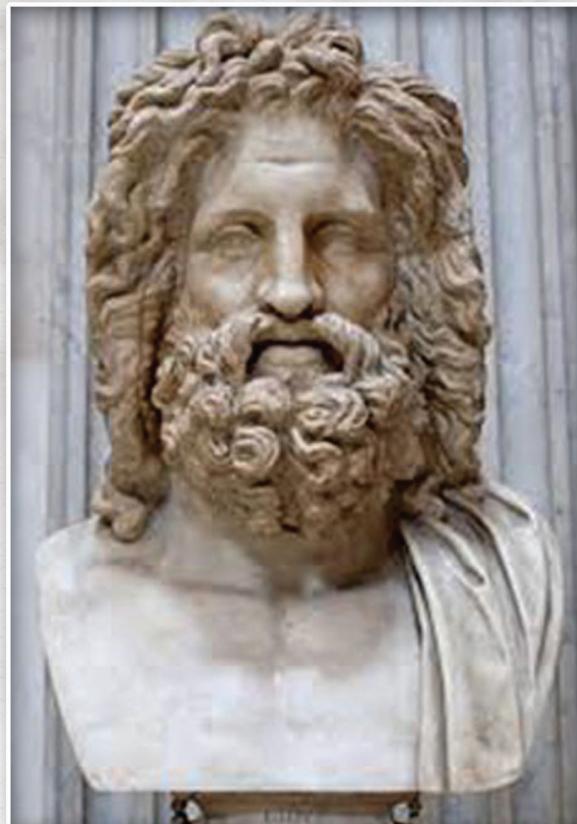


وزارة الثقافة
المجلس العام للسوسيتات للكتاب

الطبعة الوطنية للترجمة
١

الأسطورة اليونانية



تأليف :

الأب فؤاد جرجي بربارة

الأسطورة اليونانية

الخطة الوطنية للترجمة
(٦)

الأسطورة اليونانية

تأليف :

الأب فؤاد جرجي بربارة

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة - دمشق - ٢٠١٤ م

صدرت الطبعة الأولى ضمن منشورات
وزارة الثقافة والإرشاد القومي
دمشق - ١٩٦٦

مفتتح

من يسعى للولوج في عالم الأسطورة اليونانية يجد أنها من أغنى الميثولوجيات في العالم، وأنها أثرت كثيراً في ثقافات العالم الأوروبي وضفاف البحر الأبيض المتوسط بخاصة. وبني عليها كبار الكتاب في العالم نصوصاً أدبية نفيسة، واستوحى مظمانينها موسقييون لامعون في التراث الموسيقي الكلاسيكي، وابتكر أفكارها فنانون مهملون في العالم من رسامين ونحاتين وسينمائيين.

ولم تتغلغل الأسطورة اليونانية في التراث الأدبي والفنى في الغرب، بل أيضاً في البلدان العربية المحيطة بالبحر المتوسط. ألم يكن هيكل جوبيرت دامسكينوس في دمشق من الصروح الكبرى في بلاد الشام، بالإضافة إلى هيكل بعلبك مدينة الشمس وأوابد تدمر وجرش...؟ تنتشر في شتى أصقاع هذه البلدان التماشيل والزخارف وقطع الفسيفساء التي تمثل آلهة اليونان وألهاتها؟ ألم يوظف توفيق الحكيم على سبيل المثال الأسطورة اليونانية في عدد من مسرحياته (مثل الملك أوديب وبيجمايون وبراكسا)؟ ألم تأت ترجمة سليمان البستاني للإلياذة شعراً من أهم الكتب العربية التي صدرت في القرن العشرين؟

لقد وصلت إلينا الأساطير اليونانية عن طريق النصوص الإغريقية العتيقة كملحمحتي هوميروس (الإلياذة والأوذيسة) وقصائد هيزيود، لاسيما كتاب "نشأة الآلهة"، والمسرحيات الإغريقية الكبرى (اسخيلوس، سوفوكليس، يوريبيديس وأريستوفانس وأعمال لوقيانوس السميسياطي). ووصلت إلينا أيضاً عن طريق الأعمال الفنية كالأواني الفخارية والفصيفساء والتماشيل والصروح، لاسيما الدينية منها.

وخطاب الأسطورة اليونانية هو خطاب يروم فهم العالم وتفسيره. وللعنصر الديني في هذه الأسطورة حيز مهم، دون أن يرتكز دين الإغريق على اللاهوت وعلم الكلام والماورائيات أساساً، لأنّه استند إلى مقولتي المقدس والمدنس. ويتقاطع الخطاب الأسطوري مع الخطاب التاريخي، فدونت الأسطورة المراحل الأساسية من تاريخ اليونان: نشأة مدينة أثينا وحضارتها وشرائعها ودساتيرها، الطوفان الذي أنزله زوس على الأرض ونجاة ذوكاليون (ابن بروميثيوس) وذريته، حرب طروادة، الخ. ومن بين المؤرخين الذين حاولوا تسلیط العقل على القصص الأسطورية، لابد من ذكر هيكاتيوس، وبخاصة هيرودوت وتوكيذ يندوس وذيوندروس الصقلي، الذين استبعدوا بعض الأساطير السحرية والتمايمية وحاولوا تنقية الأساطير من عوالقها الشعبية ومن شطح الخيال.

أما الفلسفه فهم الذين أنسنوا الأساطير وعقلنوها. هذا بيثاغوراس الذي حاول تطوير الأساطير للرياضيات والصوفية؛ وهذا أناغازاغوراس الذي حاكمته أثينا بالطرد لأنّه ادعى أنّ الشمس صخرة عادية مشعة؛ وهذا أفلاطون الذي أقام معارضة بين الميثوس كحكاية كاذبة والخطاب العقلي "اللوغوس" الذي يجب أن يهتدى به الفيلسوف، ولكنه لم يستبعد الأسطورة من حوارياته، لا بل خلق هو نفسه بعض الأساطير مثل أسطورة الكهف وأسطورة الأطلنطي. ويبقى أرسطو الفيلسوف الأول الذي ركّز على العقل والمنطق وخفف كثيراً من وقع الخطاب الأسطوري الخيالي على الخطاب الفلسفي المنظم.

والجدير بالذكر أن جمهرة الأساطير انتظمت شيئاً فشيئاً في اليونان، متأثرة بتطور العلوم والفنون والأفكار، فصارت لها طبقات وشرائح ووظائف وتراتبية. فتكلمت عن نشأة الآلهة والانقلابات التي حصلت في عوالمهم إلى أن استقرت الأمور لزوس الذي نظم شؤون الأولمب، على غرار ملك حكيم وحصيف ينظم شؤون مملكته: له السماء والأرض، ولاخيه بوسيدونون البحار والمحيطات، ولاخيه الثالث هاديس الجحيم والعالم السفلي. وزوّع الوظائف الأساسية بين أولاده وبناته وذويه

(أثينا وأرييس لشؤون الحرب، أبوتون لشؤون الفن والأدب والموسيقى، أفروديت لشؤون الأنوثة والجمال والغواية، هرميس لشؤون البريد والسعادة، أرتميس لشؤون الحميد والسحر، ذيونيسوس لشؤون الرقص ومعاقرة الخمرة...).

وتكلمت عن خلق البشر ضعفاء وخائري القوى، وكيف أن الفنان بروميثيوس أنصفهم بأن أعطاهم شعلة النار والنور التي استلها من الأولب، فأصبحوا مستنيرين بنور العقل. وفي كتاب "الأعمال والأيام" لهزيود، يذكر ظهور سلسلة من الأعراق البشرية: العرق الذهبي، العرق الفضي، العرق النحاسي، العرق الحديدي؛ وأدت كلها بالتسلاسل التاريخي الأساطيري. وبين الآلهة والبشر علاقات كثيرة ومتواشجة.

وخصت الأساطير اليونانية بعض البشر بامتيازات إلهية خارقة، سُمّوا أبطالاً مكرّمين مبجلين كقدموس الفينيقي الذي اختطف زوس أخته أوروبا، وكأخيل (اخيلفس) بطل الإلياذة وأوليس (أوديسيوس) وثيزيه (ثيسيوس) وهرقل الشهير ...

وقد اقتصرت القول إن الأساطير اليونانية وصفت جميع عناصر الطبيعة وجعلتها تحت هيمنة الآلهة الصغار منهم والكبار؛ مما يدل على أنها فسيحة الأرجاء بحيث تشمل السماء والأرض والبحر والجحيم بكل ما فيها من شخصوص ومخلوقات.

لقد أصدرت وزارة الثقافة الطبعة الأولى من كتاب "الأسطورة اليونانية" للأب فؤاد جرجي بربارة عام ١٩٦٦. ولأهمية الكتاب ونفاد نسخه، يُسعد الهيئة العامة السورية للكتاب أن تعيد نشره، لاسيما وأن مؤلفه ضليع في الإغريقيات وترجم عدداً من أعمال أفلاطون وأرسطو مباشرة عن اليونانية؛ ويعتبر من أهم المختصين بالفكر الإغريقي الذي أخذت الهيئة العامة السورية للكتاب بإعادة نشر معظم هذه المترجمات النفيضة والأنيقية لغةً ومضموناً.

د. جمال شحيد

اصطلاحات

أثبتنا الأسماء اليونانية على لفظها الأصلي، وهذا هو المرعي في أيامنا.
وقد استعملنا للنطق بها في لغتنا العربية العلامات أو الحركات التالية:

ف = هذه النقاط الثلاث فوق الفاء تحولها إلى v اللاتينية فيفي = .Phivie

پ = هذه النقاط الثلاث تحت الباء P بيلبس - .Pélops

ـ = الفتحة تعلوها الضمة تعادل حرف o عندهم مورس = .Moros

— = الكسرتان تحت حرف من الأحرف تعادلان ـ عندهم ملتميسي = .Melpoménie

وبهذه الاصطلاحات السهلة نتمكن من لفظ أي كلمة يونانية في لغتنا العربية.

المؤلف

أ. ف بربارة

محاور الأسطورة

ونطور الاعتقاد للأفراد بها

لم تنشأ الحضارة اليونانية، شأنها في ذلك شأن غيرها من الحضارات، من تربة يونانية مستقلة لا صلة لها ببلدان أخرى أو حضارات سابقة. فقبل الحضارة اليونانية بآلاف السنين مدنيات وحضارات أنيقة مزدهرة كالمصرية والسومرية والفينيقية والهندية والصينية وغيرها. فلا بد أن تكون تلك الحضارة قد تأثرت بهذه الحضارات بصورة ما.

وقد عرفت جزيرة كريتي حضارة عالية نشأت وترعرعت فيها حوالي القرن الثلاثين قبل المسيح، وقد حفظت إلى يومنا هذا بعض معالمها الفنية والدينية، نظير "باريسية اكْنُوسُس" التي تكاد تكون معاصرة بقص شعرها وملبسها وحلاها.

وقد سيطرت هذه الجزيرة على البحر الإغريقي حقبة من الزمن، كما سيطرت عليها فيما بعد مدينة أثينا. فنشرت في البلاد التي بلغ إليها نفوذها، ثقافتها ومعتقداتها. وكما يحدث دائمًا في مجال الحضارة عندما تمتزج الشعوب عقب الفتوحات، يمسي المغلوب عادة هو الغالب على الصعيد الروحي والفكري. وهو الذي يفرض من ثم حضارته وعلمه وأفكاره إن لم يفرض دينه كله أو جله.

وهذا ما حدث فعلاً لتلك الشعوب اليونانية القديمة فقد جاءت قبائلها على
كرات متالية وتأثرت تأثراً عميقاً بالحضارة المكينية والحضارة الكريتية
وأخذت عنها الكثير في المجالات الاجتماعية والعلمية والدينية. وقد أشرنا في
سيرة بعض الآلهة كهيرا ورفس مثلاً إلى علاقتهم بتلك الجزيرة. هذا، مع
العلم أن الكريتين الأولين كانوا يتمثلون العزة الصمدانية في هيئة آلة قديرة
على كل شيء عدوها مصدر الخير والخصب، وسيدة الكون بأجزائه
المختلفة، والساهرة عليه كلها. فهي إلهة الزرع والضرع والأرض والبحر
والسماء، والمسيرة بأمرها جميع العناصر والمبسطة على مصير الإنسان.
وهذه الآلة شبيهة بالآلة أهل الصين قديماً وحديثاً. وهذا برهان لنا على أن
البشرية في القدم لم تبدئ حتماً كما يدعى الكثيرون من متذلقي الغرب،
بعبادة الأوثان وتعدد الآلهة. وإنما اعتقاداً أو لاً في الأغلب بوحданية الله
وروحانيته، كما تتوه بذلك الكتب المقدسة. ثم مع توغلها في الهمجية ابتعدت
عن تلك العقيدة الصافية، وأبدلتها بمعتقدات سخيفة من نسج خيال السحرة
والشعراً وأصحاب العقول القاصرة وذوي الغايات والمطامع. والبحث في
هذا الموضوع طويل وليس من شأننا في هذا المقام، لأننا لا ننظر الآن في
أصل البيانات ونشأتها، وإنما في تأثير المعتقد اليوناني القديم بمعتقدات أكثر
عراقة منه وأشد قدماً. وعلى كلٍّ، نحن نجهل تماماً متى تكونت الأسطورة
اليونانية، وما هي قصة نشأتها وتطورات ذلك النشوء. وتفاصيل تلك
الأسطورة أو الأساطير المتعلقة بالآلة اليونانية نراها مكتملة مرکزة دفعة
واحدة أو تقاد، في الإلياذة أول ملحمة رائعة عرفها تاريخ الأدب الإنساني،
وفي ملحمة ثانية تفوق الأولى روعة هي الأدبية، ومعزوة مثل الأولى إلى
شاعر كبير أعمى هو أشهر أو من أشهر شعراً البشرية، هومرس، وقد قال
عنه هرونتس أبو التاريخ: "إنه وهسينس واضح علم اللاهوت الحقيقي عند
الأقدمين". هرونتس ٢: ٥٣.

آ- طور الاعتقاد الساذج

١ - الشعراء الغنائيون

١ - هُومِرُس

يُرجح أن هذا الشاعر قد عاش حوالي سنة ألف قبل المسيح. في المؤلفين المنسوبين إليه نرى الآلهة يخالطون البشر ويتدخلون في شؤونهم تدخلًا مباشراً. ونرى أكثر من ذلك وهو أن الآلهة والبشر أسرة واحدة. تأتي الآلهة ثيتس ابنة نروفس إله البحر وقرينة بلفس ملك ^{شليليا}، وتعزّي ابنها أخلفس بطل الإلياذة، وتَعْدُه بمقابلتها رب الأرباب فور عودته من بلاد النوبة، واستمالته إلى نصرة أهل اطروادة على أعدائهم الأخائين، لأن ملك هذا الشعب ^{أغيمون} (Agamemnon) اغتصب سبيّة ابنها. وتُصور لنا الإلياذة أخلفس قد استل سيفه وهم أن يخترط خصمه العنيد. ولكن أثنا بدت له وأمسكت بيده وتنّته عن عزمه، لأن ^{هيرا} أرسلتها. وقد كانت ربة الأرباب تحب البطلين الملك أغمونن وأخلفس. "فَلَمَّا انتهى الآلهة العظام من وليمة فاخرة أقيمت لهم في بلاد الحبشة، وعادوا إلى قصورهم في جبال ^{أولمپس}، طارت أم أخلفس من قاع بحارها إلى أعلى قمة في مراتع الآلهة، ودنت من زفس فهز لبته كالغضنفر، وترزلت لتلك الانقاذه أسس ديار الخالدين، وطَبَّ خاطر الآلهة، ووعدها خيراً بشأن وحيدها وحبيبيها. فدرت هيرا بالأمر وكانت تحنو على الأخائين وتحقد على الطرواديين، بسبب حكم بارس بالتفوق لمنافستها الزهرة ^{أفروديتين} فجاعت تشاحن أخاهما وعرسها زفس. ولكن رب الآلهة صدّها بعنف وهدّها بالضرب، فكظمت الآلهة البضة الذراعين غيظها وهدأت^(١).

١-١: (١) الإلياذة: نشيد ١.

هذا نموذج من ألفة الآلهة والبشر في تلك الملحة. وتُروى فيها الأحداث الإلهية والبشرية على نمط واحد ووتيرة واحدة، وتنساق وتنمازج وتفاوض من معين واحد، صافية ناصعة بھيّة. وتعبر عن عقيدة متأصلة وعن رسوخ في ذاك المعتقد.

ويضاف إلى الملحمتين الكبيرتين أربع وثلاثون مقطوعة شعرية، عُرفت "بالأناشيد الهوميرية" مع أنها في الأرجح ليست من هُومِرُس، بل يرددّها أكثر الأدباء إلى القرن الثامن أو مطلع السابع. وتلك القصائد المقاوطة بقيمتها الفكرية والشعرية مدائح كان المرتلون والمرنمون في الحالات الدينية المختلفة يُشيدون فيها بأمجاد الآلهة وعظائمهنّ ومبرّاتهنّ نحو البشر. ومن أجمل تلك المدائح أنشودة أبولن. وهي تتغنى بمولد إله النور والفن في جزيرة ذيلس.

فإلياذة والأذسيّة هما لنا مصدر هام لمعرفة الأسطورة اليونانية. ونرى الأسطورة فيهما وكأنها قد تكونت وترعرعت وتكاملت أو تكاد في خطوطها الكبّرى والجوهرية. وما يضاف إليها فيما بعد بمثابة التتميق والتوصية والزخرف على ثوب من دمقس فاخر.

أما جو هاتين الملحمتين فهو جو حضارة مزدهرة، وهو بذخ وعظمة واقتدار يتجلّى لنا عند عظماء وأمراء الإغريق ذوي العزة والصلف والجبروت، وعند كبراء اطروادة ووجهائهم المتحلين بفضائل إنسانية جلى، هي ثمرة المدنية الحقيقية والرقي والتقدم.

٢ - هِيْنِدُس

وإذا انتقلنا من تلك الحقبة المتراوحة بين القرن الثاني عشر والقرن العاشر قبل المسيح، ودّنونا من أواخر القرن التاسع وأوائل الثامن، وغادرنا سواحل إپانيا وتوغلنا داخل بلاد اليونان إلى سفوح جبل هلكون في فيتيا، عثرنا على كاتب كبير وشهير، لم يكتب للأمراء والعظماء ولكن للفقراء والبساطاء، لأهل القرية والريف ليحضهم على العمل والنشاط لأنهم "من طبعهم كسلى"

وعلى نبذ الأحقاد والخصومات والدعوى، لأن تلك الخصومات لا تملأ إلا بطون الملوك والمقدرين الذين يتغذون بالرشوة. والملوك الذين يكلمنا عنهم هسيُّس ليسوا كالملوك العظام "رعاة الشعوب" أبطال الإلياذة، ولكنهم بعض وجهاء المقاطعات والمنتفذون من كبار الإقطاعيين، وأصحاب البقاء الشاسعة. وقد تولوا على شعوبهم وقضوا فيهم وكهنوها.

عاش هسيُّس في بلدة اسкра غربي ثيفه إلى الجنوب الشرقي من مدينة خرنيا، وألف منظومته "الأعمال والأيام" بداعي خلافه مع أخيه برسيس على ميراث والده، وتحامل قضاة المقاطعة عليه. وقد رام الشاعر الملهم أن يعلم العدل لمواطنيه أهلي فيتيا، وأن يلقنهم شروط هنائهم وسعادتهم. أما في "مولد الآلهة" ذاك "النشيد الجميل" الذي أوحته له ربات الشعر بينما كان يرعى قطيعه على هضاب البلدة، فقد شاء أن يؤكد فيه للجميع أن في السماء رباً قدِّيراً عادلاً يرقب البشر ويصهر على العدالة.

وروى لنا هسيُّس في الجزء الأول من كتاب "الأعمال والأيام" أسطورة بنذورا وهي حواء اليونان. وأسطورة السلالات البشرية: الذهبية منها والفضية والنحاسية والحديدية. وفصل لنا مولد الآلهة ونشوء الأشياء ومولد العناصر والليل والنور والسماء والبحر. وبعد نشوء العالم يكلمنا الشاعر الفلاح في نشيد ثان عن ملك السماء أورنوس وأبنائه التيطان والعمالق، وثورة ابنه أخرونوس عليه. وفي نشيد ثالث يحدثنا عن زمان آخرؤنس وأبنائه زفس وهيرا وارس وبُسْدُون ودميتير وهستيا. وفي نشيد رابع يروي لنا مآثر زفس وانتصاراته وأمجاد أبنائه. وتنتهي الملحة بذكر بعض الأبطال أبناء الآلهة. وتعد هذه الخاتمة منحولة.

وهسيُّس هو أول من تسأله في العالم اليونياني عن مبادئ الكون وأصل الآلهة وتعاقبهم وترافقهم على امتلاك العالم والسيطرة عليه وتنظيم شؤونه والشهر عليه: ولقد لقيت محاولته رواجاً كبيراً وأكرم صاحبها إكراماً

وافرًا، حتى جُل عَنْهُم في مِصْفَ كبار الشعراء. ورُفع إلى مرتبة هُومرس نفسه، واقتدى به فرجيليس أعظم شعراء الرومان. ولو كان تساؤله بدائياً وساذجاً جداً، غير أن نفتحه الدينية العميقه ترفع من شأنه وتجعله شيئاً في بدايتها وسذاجتها، ويمهد السبيل لشاعر تصفو عنده العاطفة الدينية وتترقى هو الشاعر الكبير بِنْدَرُس.

٣ - بِنْدَرُس

انحدر بِنْدَرُس من أسرة شريفة وترعرع في أرباض ثِيفَة عاصمة فيتيا. ولما كبر واشتهر طاف أرجاء اليونان كلها يمدح الظافرين من الأماء والكراة في ألعاب اليونان الحافلة، الألَّميَّة والبيثيَّة والبرزخية والنَّمَيَّة. ولد سنة ٥١٨ ق. م. وتوفي وهو يناهز الخامسة والسبعين من عمره. وقد أَلَّف أناشيد دينيَّة تغنو بها في أعياد الآلهة والحفلات الرسمية والمواسم الكبرى، ومدايم دنيوية أشاد فيها بانتصارات العظام والأبطال في المباريات الدوليَّة الكبرى المقامة في بلاد الإغريق. وهذه المدايم وتلك الأناشيد تتسم بنفحة دينيَّة عميقَة، تتبع من صميم إيمانه برسالة الشاعر. فاللوحي الشعري هبة من هبات الآلهة. والشاعر في قصائده معبر عن حكمتهم: "إِنِّي أَسْتَلُهُمْ أَمْنُسِينِي ذَاتِ الرِّداءِ الْمُوشِّيِّ ابْنَةَ أَرْنُوسَ، كَمَا أَسْتَلُهُمْ بَنَاتِهَا لَتَمَنَّ عَلَيْ بالَّوْحِيِّ. لَأَنْ بَصِيرَةَ إِنْسَانٍ كَلِيلَةٍ لَا تَسْتَطِعُ بِدُونِ عَوْنَ الْآلَهَةِ أَنْ تَسْبِرْ سُبُلَ الْحِكْمَةِ" العميقة. ولكن ربات الشعر والفن قد حبّتني تلك الموهبة الخالدة^(١).

ولكن الحكمة التي عول عليها شاعرنا هي الحكمة الدينية فقط، لا حكمة فلاسفة زمانه من فيزيائين أخذوا يبحثون عن عناصر الكون الأولى ومبادئه الطبيعية، وسفسطائيين متحلقين راحوا يشكّون في كل حقيقة ولا يتّقون إلا بجدلهم السطحي العقيم، ويناقشون المعتقدات القديمة ويجرّونها.

١- (١) المقطوعة ١٦ من أناشيد الدينية.

إن بندرس يقبل تلك المعتقدات برمته ولا يتزدّد بشأنها: "لا مجال للريب في أي خارقة عندما يجترحها الآلهة"^(٢). بيد أنه يدع جانباً الأساطير التي تظهر الآلهة بمظهر زري. فقد تجرّدت آهاته من الشوائب والنقائص أو الرذائل البشرية وزال ما اتصف به من ضعف في الملاحم الهومرية. فهي تتشح بالبهاء والقدرة والخلود، وتحتل فوق ذلك بالرحمة والعطف والصلاح. وزفس يعرف كل شيء معرفة تامة ويسيطر على كل شيء، ولا تختلف مشيئته عن مشيئة القدر المعبر عنها تعبيراً كاملاً.

وقد أكرم بندرس من الآلهة بعد رب الأرباب، أبولن إله الشعر والفن والنور، وربات الأنفة والموسيقى، قاطنات هضاب هلكون ووديانه وهرقليس "ربّب ثيفة المشرقة وابن الْكُمِيني، ذاك البطل القهار الذي ولج ديار الخلود، بعد أن طاف أرجاء الأرض من أقصاها إلى أقصاها وسبر أغوار البحار ونشر الأمان في كل سبلها"^(٣).

أما مبدأ العمل في الحياة وركن الأخلاق والتصيرات فهو معرفة الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية: "هناك جنس البشر وجنس الآلهة. لا غرو أن أمّا واحدة هي الأرض نفتحنا وإياهم نسمة الحياة. ولكن ما يفرق بيننا وبينهم هو أن القدرة كلها لهم، ونصيبنا العدم والعفاء. ومن ثم فكل خير ونعم يأتينا من الآلهة، وليس الغنى والجاه فقط بل المجد والفضيلة أيضاً. ولذا يجب على العظام والمقدرين أن لا يتباهاوا ويتعالوا ويستسلموا للبطر والأشر، بل أن يلبثوا ودعاء أفاء معتدلين، ويلزموا جانب العدل والفضل لئلا يثيروا سخط الخالدين"^(٤).

وأهمية بندرس من جهة إطلاعه لنا على المعتقدات اليونانية القديمة لا تقل عن أهمية هسيونيس، بالإضافة إلى ما لاقينا عنده من تطور في العقيدة إذا قوبل بإسلامه الشعراً.

(٢) النشيد البيتي العاشر ش ٤٨.

(٣) النشيد البرزخي الرابع ش ٤٩.

(٤) النشيد البرزخي السادس.

٢ - شعراً المأسى والمهازل

من الشعر الغنائي الذي يتغنى بالآلهة وعظماء البشر، ننتقل الآن إلى الشعر القصصي شعر المأسى والمهازل الذي يروي لنا آلام البشر وأطوارهم المضحكة أحياناً والمبكية غالباً، وما ينتابهم من صروف الغير وألوان العبر بمشيئة الأرباب أو حتمية القدر.

١ - إيسخُلس

أول أولئك الشعراء إيسخُلس الإِلْفَسِيّ النبيل. ولد في إِلْفَسِين من أسرة شريفة ثرية سنة ٥٢٥، واشترك في معركة مَرْثُون عام ٤٩٠ ق. م، ثم في معركة سَلَمِيني عام ٤٨٠ ق. م. وهو شاعر وروائي كبير، لم يبق لنا من نحو ثمانين رواية ألفها إلا سبع فقط، هي في الأغلب صفوّة مسرحه وذروة إنتاجه الفكري وقد توفي حوالي سنة ٤٠٦ ق. م.

والآلة إيسخُلس هي آلة هومرس وهسيوس، يؤمن بها كما آمن بها أولئك، مع شيء من التسامي في العقيدة، والرهبة من قدرة تلك الآلة وسلطتها. ولم يتطرق إلى ذهنه ما خامر فكر أكْسِنْفَانِس الفيلسوف "الموحد" مؤسس المدرسة الإلحادية، من ريبة في وجود تلك الكائنات المتكيفة بنزوات البشر والمتخلفة بأخلاقهم والمنجرفة وراء شهواتهم وأهوائهم. فهو متمسك بالتقالييد، مُيقن بالتعاليم القديمة، وشغف بها شغف المطلعين على أسرار إِلْفَسِين.

ومطلع "الإِلْفَنِيَّه"، إحدى مأسيه الشهيرة، يبدي لنا ذاك الشغف وذلك اليقين العميق. فهذه بثونسَا العرافة، قبل أن تدخل هيكل ابولن تاجي الأرباب مصدر النبوءة والوحي: "أبدأ صلاتي بالابتهاج إلى الأرض غيّاً، لأنها أول من تتباً بين الآلهة، ثم إلى ثِيمِس، لأنها ثانية من شغل هذا المنصب النبوبي الموروث عن أمها. والثالثة التي نالته بالقرعة، بلا عنف وبرضى ثِيمِس هي تيطانية أخرى، عنيتُ بها ففي ابنة اليابسة. وقد أهدته إلى أخيها فيفس عند مولده ترحيباً بمقدمه..."

"فأبتهل أولاً في دعائي إلى أولئك الآلهة. وبعدهم إلى بلاس الساهرة.
وأعبد العرائس المعتكفات في هذا الكهف، الذي أحبه الطير وألفه الخلدون.
ولا أنسى افروميس^(١) صاحب هذا المقام. وفي ينابيع إيلسنس أتوجّه بالتحية
إلى قدرة بُسِدُون. وأختتم دعائي بالابتهاج إلى زفس سيد الآلهة. وعقب هذه
الصلوة أمضي وأجلس على كرسي عرافتي".

بيد أن يقينه العميق الآلهة لا يمنعه من أن يثور على الطغيان والظلم
والاستبداد، ولو بدا الظلم في زفس رب الآلهة. فهو ذا ابرمثقس، الذي قضى
عليه زفس بالعذاب الأليم فوق قلن جبال الكفказ، يتهمّ على ظلم سيد الكون
ويقول له: "إن سيادتك الحديثة قاسية عاتية"^(٢). ولا يخالف إسخلس بثورته
هذه، العرف والتقاليد؛ كما لم يخالفها من سبقه من الكتاب والشعراء، عندما
رووا لنا صراع الآلهة وتطاحنهم في سبيل السيطرة على الدنيا وما فيها.

٢ - سُفْكَلِيس

بعد إيسخلس يأتي سُفْكَلِيس. وهو من ألمع شعراء الماسي عندهم إن لم
يكن أعظمهم وأشهرهم. ولد في كلوني شمال أثينا من أسرة ثرية، حوالي سنة
٤٩٥ قبل المسيح. وتلقن منذ صباه فن الشعر والموسيقى. ولما قدم إلى
المسرح ولجه عزيزاً مظفراً. وفي ثلاثين مباراة نال بamasie أكليل المبرزين
نحو عشرين مرة.

كتب سُفْكَلِيس نحو مئة وخمس عشرة رواية، لم تحفظ لنا منها خزانة
الأقدمين إلا سبعاً وشذرات متفرقة. وأشهر روایاته المحفوظة أنتغوني
وهلكترا وإيندیس المالك.

١-٢: (١) أي ذبوينسس أو فاكخس إله الخمرة عندهم.

(٢) مأساة ابرمثقس ش ٢٥.

عاش هذا الروائي الكبير في القرن الخامس، عصر بِرْكِلِيس الذهبي، عصر النور والمعرفة الذي بدأ مع اكْسِنْفَانِس وأنْكُغُورَس وبرِمنِيُّنْس يبعث في آفاق البشرية مبادئ الفكر الفلسفـي العميقـ، ومبادئ الوجود والكيان، الكيان الأسمـي، كيان الذات الإلهـية الفريـدة غير المتحولـة السرمـديةـ. عاش في عصر الفن البالـغ ذرـى معانـيهـ، وأبـهـى روـائعـهـ الإنسـانيةـ الخـالـدةـ، فيـ الموـسيـقـىـ مع فـلـوـكـسـنـسـ وـفـيـ الشـعـرـ معـ بـنـدـرـسـ، وـفـيـ الرـوـاـيـةـ معـ زـمـيلـيـهـ وـمـنـافـسـيـهـ إـيـسـخـلـسـ وـإـفـرـيـبـيـنـسـ، وـفـيـ المـهـزـلـةـ معـ أـرـسـتـقـانـسـ، وـفـيـ النـحـتـ فيـ فـذـيـسـ وـبـلـيـكـلـتـسـ، وـفـيـ الرـسـمـ معـ بـلـيـغـنـسـ وـزـفـكـسـيـسـ. عـاـشـ سـفـكـلـيـسـ فـيـ ذـاكـ العـصـرـ النـيـرـ، الـذـيـ غـداـ منـ أـبـدـعـ وـأـرـوـعـ عـصـورـ الـبـشـرـيـةـ، وـتـأـثـرـ بـفـنـهـ أـثـرـأـ عـمـيقـاـ، وـلـكـنـهـ لـمـ يـتـأـثـرـ بـفـكـرـهـ الـدـينـيـ وـتـطـوـرـ الـمعـتـقـدـ فـيـهـ.

نـراهـ يـحـترـمـ التـقـالـيدـ وـالـمـعـنـقـدـاتـ وـبـرـاعـيـهـ أـتـمـ الـمـرـاعـاـةـ وـلـاـ يـتـهـجـمـ عـلـيـهـ أـوـ يـتـضـايـقـ مـنـهـ أـوـ يـبـدـيـ بـالـنـسـبـةـ إـلـيـهـ شـيـئـاـ مـنـ التـحـفـظـ أـوـ بـأـولـىـ حـجـةـ بـعـضـ الرـبـيـةـ وـالـشـكـ، وـلـاـ يـتـضـايـقـ أـمـامـ عـاهـاتـ وـمـساـوـيـ الـصـقـتـهاـ بـالـآـلـهـةـ مـخـيـلـةـ شـعـبـ فـيـ طـورـ بـداـوـتـهـ وـطـفـولـتـهـ. إـنـهـ يـتـهـكـمـ مـنـ فـتاـوىـ الـعـرـافـيـنـ وـإـنـبـاءـ الـكـهـانـ بـالـغـيـبـ. وـلـكـنـ سـخـرـيـتـهـ لـاـ يـنـطـقـ بـعـبـارـاتـهـ سـوـىـ أـشـخـاصـ اـتـصـفـوـاـ فـيـ رـوـاـيـاتـهـ بـالـصـلـفـ وـالـزـهـوـ.

وـمـآـسـيـ سـفـكـلـيـسـ مـعـرـضـ لـاقـتـارـ الـآـلـهـةـ وـجـبـرـوتـهـ. وـيـتـجـلـىـ اـقـتـارـهـمـ فـيـ بـلـياـ الـبـشـرـ وـرـزاـيـاـمـ. فـتـسـيـطـرـ الرـهـبـةـ عـلـىـ السـامـعـيـنـ وـالـمـاـشـاهـدـيـنـ وـتـوـحـيـ إـلـيـهـمـ، فـكـرـةـ عـنـ عـظـمـةـ الـخـالـدـيـنـ وـعـزـتـهـمـ الـمـجـيـدـةـ. وـلـاـ يـكـنـتـيـ المـؤـلـفـ بـذـلـكـ، بلـ يـحـاـولـ أـنـ يـوـقـعـ بـيـنـ شـعـورـهـ الـدـيـنـيـ الـمـرـهـفـ الـمـتـسـامـيـ، وـبـيـنـ التـقـالـيدـ الـقـدـيمـةـ، الـبـادـيـةـ غالـباـ بـمـظـهـرـ السـخـفـ أـوـ الـابـتـذـالـ أـوـ الـظـلـمـ. فـإـنـ رـوـعـتـناـ تـلـكـ الـمـآـسـيـ. بـعـدـالـةـ الـآـلـهـةـ، وـشـدـةـ الـمـصـائـبـ الـتـيـ يـبـتـلـىـ بـهـاـ الـمـلـكـ إـبـنـسـ فـهـيـ تـرـيـنـاـ ذـلـكـ الـبـائـسـ مـتـظـهـراـ مـنـ إـلـهـ ذـاكـ الـإـثـمـ الـذـيـ فـرـضـهـ عـلـيـهـ الـقـدـرـ، وـمـغـسـلـاـ مـنـ جـرـيـمـةـ قـتـلـ أـبـيهـ وـاقـتـارـهـ بـأـمـهـ. وـعـنـدـئـلـ بـعـدـ أـنـ نـقـتـهـ الـمـحـنـ وـالـآـلـامـ يـغـدوـ لـمـنـ يـؤـوـيـهـ مـصـدرـ يـمـنـ وـخـيرـ

وبركة. وهكذا يتجلى في النهاية عطف الآلهة على الصديق المبتلى، ورافقهم بضعف البشر. وفي مأساة أنتُغونى ابنة إيدُنْس وأخته من أمه وقريبته نسمع هذه الفتاة الشهمة التي خالفت أمر الملك اكْرِنُون، ودفنت جثة أخيها بُلِينِكُس، نسمعها تؤكد وجود شريعة أدبية سميّا، فوق نُظم الطغاة الظالمة.

فهذا الانسجام الديني الذي وفق إليه سُوكليس بنفسه الألبي، لم يقرّه عليه مناوئه في الفن المسرحي إفرِيبيدس.

ب- طور الشك

٣ - افربيدس

ولد إفربيدس في سليماني سنة ٤٨٠ق. م وهي السنة التي قهر فيها اليونان أسطول الفرس في مسقط رأسه ويوم مولده، ووضعوا بذلك الانتصار حداً لغطرسة عاهل الشرق اكْسِرْكُسِس بن ذَرِيُّس. تعلم فن الرسم وما عتم أن عدل عنه ومال إلى الفلسفة، ودرس على أنسَغُورَس أستاذ بِرِكْلِيس. وبعد تلك الثقافة العالية انصرف بحملته إلى المسرح وتأليف المأسى.

حفظ لنا الأقدمون من مآثر هذا الشاعر العبقري سبع عشرة مأساة. وقد وصفه أرسطو في "فن الشعر" بأنه أقدر الشعراء على خلق الشجو والأسى. في قلوب سامعيه، وأن مأسيه تترك في النفس أعمق الانطباعات.

تأثر إفربيدس بدوروس الفيلسوف الموحد أنسَغُورَس، وشك بكثرة تلك الآلهة، ولم يلبث مبتسمًا غير مبال بل تحول شكه إلى تهكم وسخرية. ونزوارات ثورية ينبض بها شعره بين الفترة والفترة. ولكن في الظاهر بقي شكل المأسى عنده على ما كان قبله، ولم يغير شيئاً لا في اختيار الموضوع ولا في توزيع أجزاء الرواية. وقد عالج نفس المشاكل التي عالجها أسلافه منذ قرن وأكثر،

مثل حب الحياة والنور، والفزع من الكوارث التي تهدد المرء وتروعه. والاعقاد باللهة الانتقام، وغيره الأرباب الناقمين على الطغاة والظالمين، وسيادة القدر المهيمن على مصائر الآلهة والبشر. فكل هذه التعاليم بسطها إفريقيوس نظير غيره من كبار الروائيين وعرضها على تأمل سامييه والمعجبين بروعة شعره وعمق تحليله.

إلا أن الجدة في مسرحه تبدو في النقد للتقاليد السخيفة والمعتقدات الصبيانية. وقد مزجه المؤلف بشعره مزجاً دقيقاً فيبدو تارة سخرية هادئة ناعمة، ويتججر طوراً تهكمًا عنيفاً صاخباً على رذائل الآلهة ومساوئ تصرفاتهم وعلى ظلمهم الغاشم وحسدهم وغيرتهم وفسقهم. فالأنثني الثاقب النظر لا يغتر بالخرافات الشعبية، ولا يصدق تلك الترهات والروايات التي تهرف بها العجائز وتهذى بها الرؤوس الفارغة.

فهذه هيلانة تهزأ بمولدها وتنساعل عن صحة نسبها إلى أبيها المزعوم زفس^(١) وإبن يخامر الشك في انتماهه إلى أبيه أبولن^(٢). وأغمضتُن لا يثق كثيراً بتدخل بارس في نزاع الإلهات الثلاث وفي حسمه له^(٣). فإن عدم الشاعر إلى الخوارق والأعاجيب مما ذلك إلا اقتقاء لآثار أفرانه. غير أنه في الباطن يبتسم ويلهم ويتسلل، ويثير أحياناً ويساء من صلف الآلهة ومن ضراوتهم واحتياطهم. وهذه إفغينيا ترذل نقير أرتميسي الملتوى بقولها عنها: "إن دنس مائت يده بقتل أو مجرد ملامسة نساء، فهي تبعده عن مذابحها لنجاسته على ما يظهر. أما هي ذاتها فتجد نعيمها في الذبائح البشرية. ألا يا قوم إن هذا لمستحيل. فلتو قرينة زفس لم تلد في عالم الآلهة نسيجاً مماثلاً من المتناقضات. كلا، ففي ملتي واعتقادي أنه ما من إله شرير^(٤).

(١) هيلانة ش ٢١-٣.

(٢) إبن ش ١٥٢٣ وما يلي.

(٣) إفغينيا في أفلبيش ش ٧٢.

(٤) إفغينيا في تفريص.

ويضيف في إحدى رواياته المفقودة منهاً إلى تعاليم أنكسمينس الفيلسوف: "أترى فوق رأسك ذاك الأثير الشاسع، يحصن الأرض بين ذراعيه الرطبين. إنه زفس فأحسبه كذلك وعده إليها"^(٥). وفي موضع آخر يقول: "زفس مهما يكن من أمره، أنا لا أعرفه إلا بالسمع". هذا رأي إفريبيدس حيث لا ينساق إلى ضروريات المسرح وما يفرضه من حذر وفطنة، وحيث يستطيع أن يعبر عن فكره الخاص بملء الحرية والصراحة.

٤ - أرسطوفانس

- من ألمع شعراء المهازل عندهم أرسطوفانس. ولد حوالي سنة ٤٤٥ق. م وتوفي حوالي سنة ٣٨٥ق. م. ألف نحو ٤ رواية هزلية، لم يبق لنا منها إلا إحدى عشرة. وفي هذه الروايات يتهجم كثيراً على المتحذلقين المدعين العلم والمعروفين عندهم باسم سفسيتيبين. وقد خلط بينهم وبين خصمهم سocrates الحكيم الذي قالت عنه عرافة ذلفي: "إنه أحكم بنى البشر في عصره". واتهم هذا الفيلسوف بعد أن أقحمه في عداد السفسيتيبين، بالزندقة والميوعة وانحاطاط الخلق والوصولية. وهذا الاتهام مجرد افتراء بحق سocrates، إن لم يكن بحق بائعي الكلام أهل السفسطة كلهم أو جلهم^(١).

وكما تهجم شاعرنا الهزلي على سocrates، جرح إفريبيدس تجريحاً وانتقد أسلوبه الفني، ورشقه بالابتذال والحسو في شعره، وعده خصوصاً معلماً فاسداً ومفسداً، ادخل إلى المسرح مشاهد خليعة، ووصف الأهواء وصفاً شائقاً، وأوحى إلى المحسنات رغبة الانسياق وراءها. وعلاوة على ذلك فإن إفريبيدس شاعر المأسى في نظره مهذار ثرثار، عاث في الدولة فساداً بنقده اللاذع وروحه الثورية ومعارضته العرف والعادات والتقاليد

(٥) لوكيانس: زفس ممثل المأساة ٤١.

٤-٢: (١) الضباب ش ٢٤ وما يلي.

الدينية^(٢). فأفكاره لا تختلف كثيراً عن أفكار السفستيين، ومذهبهم مذهبهم وشربه مشربهم. هذا ما حكم به أستقانس على زميله إفريبينس. وما تحديه لمضالي الشعب والسفستيين والشعراء أمثال إفريبينس إلا لتمسكه بالمبادئ والأخلاق الموروثة، التي أبْنَغَتْ أجيال مَرْثُون وسلَّمِين والتَّرْمِيله. وفي اعتقاده أن العدول عن تلك المبادئ القديمة القويمة، أو أي وهن يلحق بها هو تحويل للمفاهيم، وعدول عن الدين وتدنٌ في القيم الفكرية والخلاقية.

ومع هذا التزمت كله ومع تمسكه الظاهر بالعرف والتقاليد، لا يحرم نفسه من التهكم بذينونسُس إله الخمرة، ومن الطعن بعربيته وخلاعته، لأن الجو كان عبقاً بالنقد. وقد تسرّب الشك لا إلى عقول علية القوم فقط، بل فئاتٍ واسعةٍ من الطبقات الشعبية المتعلمة.

هذا وغنيّ عن القول إن تعليم الشعراء، ولا سيما المسرحيين منهم، كان واسع الانتشار يبلغ عندهم كل أفراد الشعب أو يكاد، إذ كانت المسارح فسيحة فخمة، تضم في مدارجها مواطني بلدة برمنتها. بعكس تعليم المفكرين والعلماء وال فلاسفة. إذ كان ذاك التعليم محصوراً حتماً في حلقات ضيقة، منها العلنية ومنها السرية. ولا يحضرها إلا النخبة من أهل اليسر وصفوة من ذوي الحسب والنسب. ومع غليان الفكر في ذلك العهد الذهبي من تاريخ الحضارة اليونانية والإنسانية، فقد فرض حملة العلم والنور على نفوسهم منهج الحذر والتحفظ، خوفاً من ثورات الشعب عليهم واتهامه إياهم بالإلحاد والفساد، كما جرى لألكساندروس الفيلسوف وأبرتوغراس السفستي، صديق بِرْكليس الذي طرده الأثينيون من مدنهما وأحرقوا كتابه^(٣).

بيد أن تعليم الفلسفة على ضيق الحلقات التي يبلغها يبقى في النهاية أعمق وأثبت، وأثره في النفوس أقوى وأشد فعالية، ولا ينفك يتسرّب رويداً

(٢) أهل آخر نفس ش ٤١٤ وما يليه. والضفادع ش ١٠٥٠ وغيره.

(٣) راجع ذي جينس اللاثري: سيرة ابرتوغراس.

رويداً حتى يبلغ فئات واسعة من الشعب، ولو بشكل أمثال ومبادئ غامضة مبهمة، وأقوال شائعة ترددتها العامة، تؤيد بها تعليماً أو تعارضه وتتحضنه.

٣ - الفلسفه والسفسيون أو مدّعو الحكم

بدت الفلسفه في مهدها عند اليونان بمظهر العلم. إذ قد حاول أول حكمائهم السبعة أن يفسر الكون وطبيعته تفسيراً حسياً بحتاً، وأن يرد عناصره كلها حتى الآلهة والبشر إلى جوهر فيزيائي فريد. وهذه المحاولة البدائية وتلك النزعة المادية حدث العقول بحكم الواقع إلى التساؤل عن طبيعة الإنسان وروح الإنسان وطبيعة الآلهة، التي تصورها العقل اليوناني والشاعر اليوناني على شبيهه ومثاله. وفعلاً ما عتم أولئك الحكماء أو الفلسفه الفيزيائيون أن تسأعلوا عن الطبيعة الإلهية، وحاولوا أن يفهوموا صلتها بالكون والكائنات. وقد اتهم تفكيرهم هذا إلى مقابلة نتائج تأملاتهم العلمية والروحية بمعطيات الديانة الرسمية وتعليم العرف والتقاليد بشأنها. ذاك التعليم الذي تناقله الشعراء جيلاً بعد جيل، حقبة طويلة من الزمن، دون نقد أو مناقشة أو تمحيص. ومن ثم كان لابد أن يقع ذلك الصدام بين المعتقد القديم الساذج المتناقل، الذي يتوارثه وينشره ويحمله إيمان أعمى قائم على تصديق بسيط، لا يصدّه التناقض أو السخف أو البلاهة، وبين الأفكار الحديثة والتعليم المستجدة، والتغيرات الفلسفية الجياشة الجريئة. ومن هنا تلك الهزّات وتلك الانتقاضات الشعيبة يثيرها على الفلسفه ورجال الفكر نظير أنكَسْغُورَسْ وابرُتَغُورَسْ وسُقراط وغيرهم، مضللو الشعب وزعماؤه السياسيون ليكسبوا عطفه وتأييده، ويبدو بمظهر من يحمي أعزّ شيء عليه ألا وهو دينه وعقيدته.

٤ - ثالسٌ

ثالس أحد الحكماء السبعة وأول الفلسفه الفيزيائيين ومؤسس المدرسة الإل يونية. ولد في ميلتس من أعمال آسيا الصغرى، حوالي سنة ٦٤٠ ق. م

وَعِمْرٌ نَحْوِ تَسْعِينَ عَامًاً. سَافَرَ فِي رَبِيعِ حَيَاتِهِ إِلَى رَبُوعِنَا الشَّرِقِيَّةِ وَمِصْرَ وَتَاجَرَ وَاغْتَرَى. ثُمَّ عَادَ إِلَى مَوْطِنِهِ يَعْلَمُ فِيهَا الرِّياضِيَّاتِ وَالْهِنْدِسَةِ وَالْفَلْسِفَةِ. وَلَكِنَّهُ لَمْ يَتَرَكْ لَنَا مَؤْلِفًا مَا، شَأْنَهُ فِي ذَلِكَ شَأْنٌ كَثِيرٌ مِنَ الْفَلَاسِفَةِ مُؤَسِّسِيِّ الْمَدَارِسِ الْفَكِيرِيَّةِ أَوِ الْمَذَاهِبِ الدِّينِيَّةِ، نَظِيرِ بِشْعُورَسِ وَسَقْرَاطِ وَالسَّيْدِ الْمَسِيحِ.

اعْتَدَ ثَالِسٌ أَنَّ جَوْهَرَ الْعَالَمِ الْفَرْدُ هُوَ الْمَاءُ وَأَنَّ الْمَاءَ يَنْشِرُ الْحَيَاةَ فِي كُلِّ الْكَائِنَاتِ، وَمِنْ ثُمَّ كَمَا يَقُولُ أَرْسَطُو قَدْ ظَنَ ثَالِسٌ "إِنْ كُلَّ شَيْءٍ مُمْتَنَى إِلَهٌ"^(١). لَاعْقَادَهُ أَنَّ الرُّوحَ شَائِعَةَ فِي الْعَالَمِ كُلِّهِ. وَقَدْ رَوَى ذِيْجِينِسِ الْلَّاثِرِتِيِّ فِي سِيرَةِ هَذَا الْحَكِيمِ أَنَّهُ عَدَ "الْعَالَمَ حَيًّا وَمَلِيئًا بِالْإِلَهَةِ".

وَمِنْ ثُمَّ نَرَى بِجَلَاءِ أَنَّ أَوَّلَ حُكَّمَاءِ الْبَيْنَانِ، وَأَوَّلَ مَنْ وَجَهَ الْفَكَرَ الْبَشَرِيِّ إِلَى الْفَلْسِفَةِ وَالْتَّسَاؤُلِّ عَنِ اُصْلَ الْكَائِنَاتِ وَعَلَةِ وَجُودِهَا، لَمْ يَنْسِبْ هَذَا الْأُصْلَ إِلَى كَائِنٍ أَسْطُورِيٍّ هُوَ الْخَوَاءُ أَوِ الْدِيجُورُ أَوِ الْحُبُّ إِرْوَسُ، وَلَمْ يَعُدْ فِي ذَلِكَ إِلَى تَخْرِصَاتِ الْأَسْطُورَةِ، بَلْ حَاوَلَ بِتَفْكِيرِهِ الْعَلْمِيِّ أَنْ يَعْلَمَ الْوِجُودَ وَيَعْرُفَ جَوْهَرَهُ وَأَصْلَهُ.

٢ - أَنْكْسِيمِنْدُرُس

وَهَذَا حَذْوَهُ أَنْكْسِيمِنْدُرُسُ مُعَاصِرُهُ وَمُوَاطِنُهُ. وُلِدَ هَذَا الْفِيلُوسُوفُ نَحْوَ سَنَةِ ١١٦١ق. م وَعَاشَ فِي مِيلِنْسِ مَسْقَطِ رَأْسِهِ إِلَى مِنْتَصَفِ الْقَرْنِ السَّادِسِ. كَانَ هُوَ أَيْضًا ضَلِيلًا بِالرِّياضِيَّاتِ وَالْفَلَكِ وَعِلْمِ الطَّبِيعَةِ وَحاوَلَ أَنْ يَفْسِرَ الْكُونَ تَقْسِيرًا عَقْلِيًّا مُنْطَقِيًّا. وَهُوَ رَبِّما أَوَّلُ مَنْ كَتَبَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَسَائِلِ وَالْمَعْضِلاتِ. وَمَوْلَفُهُ الشَّعْرِيُّ يَدْعُى "فِي الطَّبِيعَةِ" أَوْ "حَوْلَ الطَّبِيعَةِ" نَظِيرِ مَا شَاكَلَهُ مِنْ الْمَوْلَفَاتِ لِهِرِاكْلِيْتُسِ وَبَرِّمِيْنِسِ وَأَنْكْسِيمِنْدُرُسِ وَأَكْسِنْفَانِسِ وَغَيْرِهِمْ.

وَقَدْ زَعَمَ فِيلُوسُوفُنَا أَنَّ الْعَالَمَ كُلُّهَا قَدْ خَرَجَتْ مِنْ مَادَةِ أُولَيَّةٍ قَدِيمَةٍ هِيَ جَوْهَرُ الْكُونِ وَعَنْصَرُهُ الْفَرِيدُ. وَسُمِيَّ هَذِهِ الْمَادَةُ الْقَدِيمَةُ "الْغَيْرُ الْمَحْدُودُ" أَوْ

١- : (١) رَاجِعٌ فِي النَّفْسِ لِأَرْسَطُو: ٥ - ٤١١: ٥ ثُمَّ ذِيْجِينِسِ الْلَّاثِرِتِيِّ: ٢٢٧.

"غير المتميّز" أو "غير المخبور". خرج كل شيء من هذا الجوهر الفرد القديم، بالافتراق والتميّز. وسيعود إليه يوماً، على أن يخرج ثم يعود لمصدره إلى ما لا نهاية له. لأن حياة الكون الحاضرة ليست في سلسلة التوالد والتواري الموزونة الوئيدة المتعاقبة سوى فترة أو برهة قصيرة. فهل نحن مع هذا المفكّر الفذ بعيدون عن أحدث النظريات الكونيّة؟

والماء بعد خروجه بالافتراق من المادة "غير المحدودة"، ولد أوليات الحيوان وولدت هذه حيوانات أخرى. فتكاثرت الأنواع وتميّز بعضها عن بعض، وتكاملت حتى أبرزت النوع البشري. فالإنسان أحدث أنواع الحيوان. وهذه النظرية على قاب قوسين من نظرية دروين. ونحن بعيدون فيها عن خيال الأسطورة، مع أن انكسيمندرُس لم يعاد الشعراً الأولين، الغنائين منهم وأصحاب الماسِي، ولم يصلهم حرباً عواناً ولا خالفهم جهاراً. لا بل جاراهم في بعض تعلياته للكون. فهو عندما يتكلّم عن المادة غير المحدودة، يقول: "إنها تشمل كل شيء وتقدّم كل شيء وتهيمن على كل شيء... وهي غير مائنة ولا نهاية لها^(١). ويدعو النجوم والكواكب آلهة سماوية^(٢). ويعد في تفسيره سلسلة مواليد الكون وانمحاقاته المتعاقبة إلى ما يسميه "إثم العالم وظلمه"، فالعالم "يحمل تبعية مساوئه وأخطائه"^(٣).

٣ - أكْسِنْفَاتِس

نشأ هذا الشاعر الفيلسوف في مدينة كُلُوفون من أعمال غينيا في آسيا الصغرى حوالي عام ٦٠٠ ق. م^(١). ولما ناهز الخامسة والعشرين من عمره، أخذ يتجول في بلاد اليونان، حيث قضى على حد قوله سبعة

(١) الطبيعتايات لأرسطو : ٣ : ٤.

(٢) أبلوتريخس: آراء الفلسفـة : ١ : ٧

(٣) راجع زيلر ص ٢٣ وما يليه، ومولاخ المقطوعة الثانية ص ٢٣٧ - ٢٣٩.

(٤) ذيجينس اللاثري : ٩ : ٢٠.

وستين سنة^(٢). تعرّف خلالها إلى مذاهب أسلافه ثالِس وأنكسيمندُرس وبِثَغُورَس.

وانطلق أيضًا إلى مدينة إيلينا من أعمال لوكانيا في جنوب إيطاليا، وألف ملحمة بداعي تشييد تلك المدينة، كما نظم آخر بداعي تأسيس وتشييد مدينة كلفون موطن رأسه. وقد كان يقرض الشعر ويتعذّر به هو نفسه كالشعراء الغنائيين المتجولين^(٣). ومن مجموعات قصائده لم يحفظ لنا الكتاب إلا شذرات متقطعة، نستشف من خلالها مذهبة وأفكاره دون أن نعرف دقائق نظرياته.

وما يلف النظر في مقطوعاته تحفظه تجاه العقل البشري واعتقاده بوهن هذا العقل وبالغموض المحقق به: "أما بشأن ما أقوله عن الآلهة وعن كل شيء، فليس من إنسان كان أو سيكون، يستطيع معرفة الحقيقة بالضبط. ومهما بلغ كلامه من الدقة، فهو لن يعرف شيئاً من ذلك. فالوهم يهيمن على كل شيء"^(٤).

ومع تحفظ أكْسِنْفَانِس هذا فهو لا يعدل عن طلب الحقيقة، ولا يقتطع من البلوغ إليها، ويتحقق بتقدم العلم بعض التقدم. فليس فيلسوفنا الشاعر من أصحاب الشك المتكررين للمعرفة. وما يبدو له أكثر الأمور رسوخاً وثباتاً هو الطبيعة الإلهية.

فشاورنا الفيلسوف هو أول مفكر يوناني تكلم عن الإله الأوحد بمشاعر العبادة العميقه والسجود الخاشع. فكان لهجته تتبع بلهجة سocrates أو بلهجة السيد المسيح. فلا ريب في قوله عن الكائن الأسمى، ولا شيء مما يفرضه من التحفظ في موضوعات المعرفة. بل إنه يصفه هومِرس وهِسِينْس، وبينما شركهما ويقبح

(٢) مولاخ المقطوعة ٢٤

(٣) ذيجينس اللاثري ٩: ١٨.

(٤) المقطوعة ١٤ راجع المقطوعة ٥ و ٦.

تصویر‌های آلهه بصور البشر ونقائص البشر: إن هومرُس وهِيَنْس يخلعان على الآلهة جميع الجرائم. فكل ما يستحق النبذ والرذل بين الناس وكل أعمالهم المخزية يتغنىان بها في شعرهما كالسلب والنهب والزنى والغش". فاكسِنفانِس يستخفّ بتلك السخافة ويزدرى عقول من لا يسمون عن مستوى اهم البشري في تصوّرهم الآلهة: "يحسب المائتون أن الآلهة يولدون نظيرهم بحواس وصوت وجسم. فلو كان للثيران والأسود أيد، ولو أقنت الرسم كالبشر، لاصطنعت لنفسها آلهة على شبهها ومثاليها. ولتمثلتها الخيل مماثلة للخيول، والعجول مماثلة للعجول بأشكال وأعضاء تحاكي أشكالها وأعضاءها".

وهكذا آلهة ثراقية لها شعر أحمر وعيون زرقاء، وآلهة الحبشه أجسامها سوداء وأنوفها فطساء.

فهو لا يتمثل الألوهه على ذلك الوجه، وهي لا تشبه البشر لا بالجسم ولا بالفكر. والإله الأسمى "يرى ويعقل ويسمع بذاته كلها"، بلا أعين ولا آذان ولا حواس. وفكرة النافذ يهيمن بلا عناء على كل شيء ولا يتحرك ولا يتبدل ولا ينتقل من موضوع إلى موضوع^(٥).

وقد سأله أهل إلينيا اكسنفانِس ذات مرة هل ينبغي أن يضحي للفُكِيَا وأن تنظم لها المراثي. فأجاب: "إن كانت آلهة فهي لا تحتاج إلى رثاء. وإن كانت امرأة فهي لا تستحق الضحايا لأن الألوهه لا تولد ولا تموت وإنما هي كائنة".

ومن ثم لم يسمع قط في الوثنيّة صوت أشد من صوته يحتاج على تصویر الألوهه بصور بشرية. وقد جابه النقل والتقليد وعارض الشعراه في أساطيرهم، وأخذ عليهم سخافة أوهامهم وبطل معتقدهم. وهذه النزعه الروحانيه وذاك الاعقاد الصحيح في طبيعة الله وتنزيهه عن كثافة المادة ونقص الخلاق، هو منعطف خطير ومنطلق مثير في تاريخ الفكر اليوناني. ولعل بثغورس هو الذي مهد له السبيل إلى ذاك التوحيد وإلى ذلك السمو في الخلق والإبداع والتجديد.

(٥) راجع المقطوعات ١ و ٢ و ٣ و ٤ و ٥ و ٩.

٤ - هِرَاكْلِتُس

وُلد هذا الفيلسوف في مدينة إفسُس من أعمال إِيُّنِيا في آسية الصغرى، حوالي عام ٥٧٦ م. انحدر من أسرة نبيلة، تشغل منصباً دينياً مرموقاً، ما يرجح يلقب بالملكية، لأن الملوك كانت تشغله سابقاً. ولما دعي هِرَاكْلِتُس إلى تبوء رئاسة الكهنوت الملكية في مدينته، رفض ذلك الشرف الأثيل لعتوه وترفعه عن العوام^(١). وقد توفي نحو سنة ٤٨٠ ق. م.

كان هِرَاكْلِتُس على جانب كبير من التيه والخيال، يؤثر الغموض في فكره وتعبيره حتى لُقب بالغامض. وقد ترك لنا كتاباً واحداً سماه "الطبيعة" أو "إلهات الشعر" وقسمه المفسرون إلى ثلاثة أبواب: في الكون، وفي السياسة، وفي علم اللاهوت. ومذهبها هو مذهب التطور والتحول. فكل شيء في كل شيء وما من شيء ثابت، بل كل شيء يتغير دوماً ويستحيل. والكون دائم الجريان وليس من شيء كائن، بل كل شيء ينتكون.

والأشياء كلها أصلها النهار الإلهية المتقلبة، ومعادها إلى تلك النار حتماً، بعامل القدر الذي لا مناص منه، وهذه الشريعة سارية المفعول على البشر والآلهة، وعلى كل الكائنات بلا استثناء. فالعالم إذن في تحول مستديم، يكون ناراً ثم يغدو هواءً فماءً فتراباً. والكون الدائم الجريان ينبع من النار الإلهية، ثم يعود إليها خلال فترات طويلة الأمد، تتعاقب بلا انقطاع، على تطور العناصر في هبوط وصعود. فالتنوع وهم. والكائنات وحدة ليس إلا. ولكن تلك الوحدة ليست جموداً، بل تحولاً متواتراً وتبدلاً لا ينقطع.

والعقل في نظر هِرَاكْلِتُس يستطيع وحده أن يعرف الحقيقة الثابتة الأزلية الغير المتحولة، خلا تعاقب الكائنات وجريان تيارها الدائم. وهذه الحقيقة هي تحول النار الأولى طبقاً لشريعة القدر المحتموم. أما الحواس فلا

(١) ذيginis اللاثري ٩: ٦

تشعر إلا بالتحول دون إدراك نظامه وهي عاجزة عن بلوغ المعرفة، وكل علمٍ بُني على أساس الحواس فهو خاطئ ضرورة وخداع.

وقد ميّز هذا الفيلسوف في المرء بين الجسم والروح. والجسم في ذاته لا قيمة له. وهو يقول فيه: "يجب أن تُبذِّ الجثة بازدراء، وأن تطرح كما يطرح الزبل"^(٢) والروح هواء ناشف ناعم. وكلما ازدادت نشوفة، ازدادت النفس عمقاً وذكاء. وإذا سكر المرء ترطّبت الروح وفقدت قوتها ونفوذها. والناس بعد الموت لهم مصائر غامضة، إلا أن النفوس التي مارست الزهد والقناعة وسمت نحو النورانية والنار، تغدو نفوس أبطال واللهة.

وعرف فيلسوفنا مذهب بِثَغُورَس، وطالع نظريات اكْسِنْفَانِس، فازدرى الطغام وسخر بمعتقدات الجماهير، "من يخشى ويضرع إلى التمايل والأوثان، فكانه يخاطب المنازل دون أن يعرف من هم الآلهة والأبطال"^(٣). فالآلهة قد يرون وفهماء جداً: "واحكم الناس ليس سوى قرد إذا قيس بالآلهة. والبشر في حكم الأطفال إذا قوبلوا بالآلهة".

ولكن فوق الآلهة والبشر كائن أسمى أزلي يهيمن على الكون ويسوسه. وهو سنة تعاقب الكائنات، فيدعوه هِرَاكْلِيس تارة "أغْنُومِي" الفكر، وطوراً ذِيكيًّا" الحق، وأحياناً الدهر أو زِفس. بيد أنه ينبهنا أن الاسم لا يهم كثيراً، وما يجب أن يتحاشاه المرء هو أن يعتقد بهذا الإله الأسمى اعتقاد العامة، وأن يذهب تفكيره بشأنه مذهب الجهال والبساطاء "إن الحكمة الوحيدة هي في معرفة الفكر الذي يدبّ الكل في الكل. فهو يريد أن يُدعى زِفس ولا يريد"^(٤).

وهذا الإله الأسمى لم يبدع شيئاً، ولكنه يشرف على تقلبات الكون، كما يشرف أحذنا على لعب الشطرنج يقلب قطعه. فهل هو القدر أو هو النار

(٢) مقطوعة ٥٣.

(٣) مقطوعة ٦١.

(٤) راجع مقطوعة ٧٨، ٦٢، ٦١، ١٩، ٢٧.

الإلهية كما يبدو في الأغلب؟ إن إله هِرَاكْلِتُس خفيّ المعالم غامضها نظير الفكر الذي أبدعه.

٥ - بَرْمِنِيدِس

بَرْمِنِيدِس هو أحد واضعي المذهب الإلياتي، ولعله مؤسس المذهب الحقيقي. ولد حوالي سنة ٤٥٠ ق. م. في زعم ذيجينس ال拉ئتي، والمعروف عن هذا الكاتب أنه يروي التاريخ على طريقته الخاصة بلا تحقيق ولا تدقيق. ويفيدنا أفلاطون في مواضع عده أن أستاذه الكبير سocrates في شبابه قد عرف هذا الفيلسوف واستمع له عندما زار أثينا وهو في الخامسة والستين من عمره. وقد ولد سocrates سنة ٤٦٩ ق. م فيرجح إذن أن بَرْمِنِيدِس قد أُمِّي أثينا سنة ٤٥٠ ق. م. وأنه ولد حوالي سنة ٥١٥ في أواخر القرن السادس قبل المسيح.

انحدر بَرْمِنِيدِس من أسرة كريمة ثرية، أقامت في مدينة إلئا الساحلية - وهي فيليا الحالية - من أعمال لوكانيا، في جنوب إيطاليا، على البحر التریني. وقد سن شرائع لموطنه، ولخص فلسفته في كتاب نظمه شعراً وسماه هو أيضاً في الطبيعة، وقسمه شطرين، يحوي الشطر الأول نظريته الحقيقة في الكون، وعنوانه "في الحقيقة". ويضم الثاني إلى أسطورة الشعراة تخرصات الفيزيانين الأيونيين، وعنوانه "في الظن"، أي التخمين والحدس المعتمدان على ظواهر الأمور كما تبدو للحواس. ولعله في هذا الجزء الأخير - وهذا أغلب احتمال على ما يبدو في مطلع الكتاب ومن تضاعيف الشطر الثاني منه - لعله كان ساخراً من آراء أسلافه الطبيعيين والشعراء المهووسين الذين لا يعتمدون الحقيقة في شعرهم، بل الشعور العاطفي والخيال المتقلب الخداع.

وهو يروي لنا كيف تجلى له مبدأ الكائنات. فقد نقلته مركبة الفكر بجoadتها الناصعي البياض إلى أبواب الليل والنهار، تقوده في رحلته بنات فرقـدـ النهـارـ السـاطـعـاتـ. ولما بلـغـتـ بهـ المـرـكـبةـ قـصـرـ "الـحـقـيقـةـ"ـ المـتـلـائـيـ،ـ خـاطـبـتـ بنـاتـ الشـمـسـ إـلـهـةـ العـدـلـ القـائـمـةـ عـلـىـ حـرـاسـتـهـ. فـفـتـحـتـ تلكـ الإـلـهـةـ

مصراعي الباب المتألقين نوراً وضياء، وأدخلت الشاعر إلى حضرة الحقيقة الأزلية فاستقبلته الإلهة أطيب استقبال وأكرمت مثواه ورحب به قائلة: "اجذل وابنهاج ولتطب نفسك، إذ لم يحدك إلينا في هذا السبيل الذي نجهله أقدام المائتين، مصير شؤم. وإنما جاء بك العدل والشرع. فينبغى أن تعرف أدق معرفة فكر الحقيقة المجردة ومزاعم البشر الواهية".

وتُعقب إلهة الحق قائلة: "إياك أن تتصور أن العدم موجود. حَوْل فكرك عن تلك الطريق الموبقة، ولا تلفت العادة المألوفة بصرك الأعمى إليها، ولا سمعك الأصم، ولا نطقك الأبكم. ولكن حَكْم عقلك في موضوع هذه المناقشة وفي ما أقدم لك من براهين، فلا يبقى لك سوى مخرج واحد وهو أن الكائن موجود".

"فالكيان موجود، وألف دليل يشير لنا أنه لم يولد ولن يموت. فهو الكل الفريد غير المتحول والكل الصمد. لم يكن ولن يكون وإنما هو كائن. إنه الكيان المطلق وهو الواحد السرمدي".

وتتابع إلهة الحق بعد ذلك المطلع الفخم بقولها: "وكيف تريد أن يولد الكيان، وعلى أي أصل؟ فمن أين يأتيه النمو؟ أمن العدم؟ إني أحظر عليك هذا القول وهذا الفكر. إذ لا يتاح أن يقال أو يُظن أن الكيان غير كائن. إذ أي ضرورة حتمية صارت به إلى الكون؟ ولم قبل أو بعد؟ فليس في الكيان مولد أو بدء. فهو مطلق الوجود أو غير موجود. ولا تسمح قوة برهان أن ينبع منه أبداً شيء لا يكون إياه. وأن يولد الكيان أو يموت، هذا ما لا يتحمله العدل"^(١).

تأمل فيلسوف الكون إذن فرأى: "إن الكائن كائن وإنه يستحيل أن لا يكون. أما اللاوجود، فالعقل لا يدركه لأنه غير موجود. ولا نستطيع أن نعبر عنه، لأن الفكر والكيان أمر واحد. ومن ثم يتحتم أن نفك ونقول إن الكائن

٥-٣: (١) مطلع كتاب برمنيدس "في الطبيعة".

كائن وإنه غير مخلوق. فلا سبيل على القول إنه كان أو إنه يصير، إذ إنه كان أو إنه يصير، إذ بكماله في اللحظة الحاضرة واحد متماساً وحيد. ومن اللاوجود لا يمكن أن يأتي الوجود، كما لا يأتي الوجود من الوجود. لأن الوجود موجود فليس للكائن إذن من مولد وليس له ابتداء. ولذا فهو قديم أزلي. وهكذا من الضرورة أن يكون مطلقاً أو أن لا يكون قطعاً.

"وهو أيضاً غير متحول، ثابت دائم الاستقرار، باق في ذاته وعلى نفس الحال وفي نفس المكان. وبالتالي يستحيل أن يكون بلا نهاية. وإذا له حد أقصى فهو كامل. وهو أشبه بكرة كاملة الاستدارة وكاملة التوازن".^(٢)

وفي نظر برمنيذس أن العقل وحده يعرف الحقيقة، أما الحواس فهي خادعة. ولذا فالعلم ينتج عن معرفة العقل. وأما الظن والوهم فهو ما تعرفه الحواس من ظواهر الأشياء. فالحواس تشعر أن الكون مؤلف من عنصرين متضادين هما النور والظلمة، الحرارة والبرودة، وأن الأشياء كثرة. وأما العقل فيدرك أن الكون كائنٌ واحد، ووحدانية لا تنفصّ عراها. فالحركة والإنتاج والتحول والتواجد إذن من وهم الحواس وانخداعها.

ولكن العقل يرى أن هذا كله مجرد ظواهر، لأن الكون لم يُعرف ابتداء. ولن يلقى انتهاء، إذ هو كائنٌ فريد غير متحول أزلي.

ومن ثمّ يؤكّد هذا الفيلسوف وحدة الكيان المطلقة. والكثرة والتعدد أو التباين ظاهرة مجردة من ظاهرات الحواس الخداعية وأوهامها الواهية. وبالتالي لا تعدد آلهة ولا تعدد كائنات أياً كانت. بل الوحدة مطلقة كاملة شاملة.

فإن تكلم في كتابه العميق عن آلهة أو إلهات، فما ذلك إلا أسوة بمن تقدمه من الشعراء، ومراعاة لمشاعر العامة دون الخاصة التي تستطيع التفكير وتبيّنَ قصده وهدفه. وما كلامه عن كريمات فرقـد النهار وعن إلهات العدل

(٢) راجع لفالكات: المفكرون اليونانيون قبل سocrates، باريس ١٩٤١.

والحق والنور إلا توريات شعرية وصوراً بيانية بهية. ولكنه لا يؤمن بها أكثر مما يؤمن زميله الشاعر الروماني لوكرتسيس بالزهرة إلهة الحب والجمال، عندما يناجيها ويحييها ويستوحيها في مطلع كتابه "طبيعة الكائنات".

لقد سما برمنيدس إلى عالم ما بعد الطبيعة بتفكيره العميق، ووثب وثبة فذة إلى أجواء الفلسفة الأولى وإلى عنصرها غير المحسوس، إلى الكيان موضوع الفكر. ولكنه كان مقصراً في علم النفس والمنطق. ولذا فاته أن الكائن والكيان - على ما سيوضحه أرسسطو - يؤخذ من نواح عدّة^(٣). وتقصيره هذا جعله يجدع الكون ويجدع الفكر ويمنع العلم.

إلا أن هرقلتس وبرمنيدس قد مهدا للفلسفة العالية وعبدًا لها الطريق عارضين عفواً أهم مسائلها، وطارحين في مجال الفكر أعوص وأغمض مشكلاتها. ولقد عنيت بأهم تلك المسائل والمشاكل مسألة الكيان والمصير، والكائن الأسمى وطبيعته ومشكلة الإدراك العقلي والحسي. وعلى الحلول التي تلقيانهما تقوم أكثر المذاهب الفلسفية إن لم نقل كلها. هذا وقد طبعا الفلسفة عموماً واليونانية منها خصوصاً بطبع شخصي عميق، كان له أثره الأكبر في تاريخ المذاهب الفكرية والمدارس الفلسفية.

٦ - انكسغورس

أنجبت هذا الفيلسوف مدينة أكزيمينه من أعمال إلينيا في آسيا الصغرى. وتقع هذه المدينة على مقربة من اسميرنا أو إزمير الحالية. ولد انكسغورس في مطلع القرن الخامس على عهد بركليس صديقه من أسرة كريمة غنية، وانصرف انصراً كاملاً إلى درس الفلسفة، وتفرّغ لها تماماً. وزعم بعضهم أنه تتلمذ لأنكسمينس. ثم قصد مدينة أثينا حوالي سنة ٤٦٠ ق. م. وصرف فيها في صحبة بركليس ونخبة من أهل الأدب والفكر ثلاثين عاماً. ويبدو من

(٣) راجع كتاب "ما وراء الطبيعة" لأرسسطو.

حوار فيدُن لأفلاطون أن سocrates لم يعقد مع هذا الفيلسوف صلات شخصية^(١). أما تكينيس المؤرخ وإفريديس الروائي فقد عرفاه وخالطاه، وأخذها عنه روح التحرر من الشعوذة والخرافات، في زمن لم يبرح فيه هرونتس أبو التاريخ بسيطاً ساذجاً ينقاد لتراثات الأسطورة وكل سخافاتها. ومن هذا القبيل تحوّف عرافٍ يُدعى لامبن، من وجود كبش في قطيع بقرن واحد. فشرح الفيلسوف جمجمة الحيوان، وبين أن تشاوم العراف في غير محله، وأن القرن الوحيد متأتٍ لا عن مشيئة الجنّ أو إله يبغي للمقاطعة سوءاً، ولكن عن تشويه طبيعي في رأس الكبش.

وأوجس بعض الأثينيين خيفةً من نقشّي نظريات الفلسفه ومن جرأة تعاليهم، لاسيما بشأن المعتقد والتقاليد الدينية. فوشي بفلاسوفنا وآتهم بالزندقة، فاضطرّ أن يغادر مدينة أثينا وأن يؤمّ مدينة لامبسكس حيث قضى نحبه نحو سنة ٤٢٨ ق. م.

الف أنكغورس عدة مؤلفات، واحداً منها في هندسة المسارح وتزيينها وآخر سمّاه هو أيضاً "في الطبيعة" وعرض فيه فلسفته وهذا الكتاب هو الوحيد الذي حفظت لنا منه شذرات، نستشفّ من خلالها مذهب أنكغورس ونظرياته الطبيعية.

وفي نظر هذا الفيلسوف، كما في نظر أفرانه أصحاب المدرسة الذرية: ليفكبس ونموكرس وإندنكليس، إن الحركة أكيدة ثابتة واقعية، وإن الواقع والموجود كائن.

فمن الحقيقة الأولى ينتج أولاً وجوب تقسيم كائن برمنييس الأوحد إلى كثرة من الكائنات لا نهاية لعددها وصغر حجمها، دعواها "أئومي مرينس" أي الأقسام اللامتجزئة. وهذه الكثرة ضرورة حتمية لتفسيير تنوع "المصير" أي تحول الكائنات. والنتيجة الثانية هي أن الخواص أو الفراغ يفصل بين "اللامتجزئات" أي

٦-٦: (١) راجع ذيجنس اللاثري: ٢؛ ٧. وانظر أيضاً لابلوترخس، سيرة الرجال العظام، بركليس ٤: ٦.

- الأئم والذرات -. وهذا الخواء هو ضرب من اللاوجود أو العدم الواقعي، لأن الخواء ضروري بمثابة مكانٍ تقع فيه الحركة. أما النتيجة الثالثة فهي أن الأئم أي الذرات تحركها قوة هي في نظرهم القدر أو الحتمية. وقد تكون تلك القوة اندفاع الحركة بالذات.

ومن الحقيقة الثانية وهي أن الواقع والموجود كائن ينبع إن "اللامتجزئات" تحفظ خواص الكائن الإلثاتي. ومن ثم فهي أولاً أزلية ملأى وكاملة في نوعها. وهي ثانياً متجانسة لا تنفصم عراها طبيعياً. ولذا سميت "لامتجزئات". وهي ثالثاً غير قابلة التغير والتبدل. ومهما تمازجت وتخالطت في تأليف أنواع الموجودات، فإنها تحفظ دوماً بطبعاتها الخاصة. لا بل في نظر الذريين الأولين لكل اللامتجزئات طبيعة واحدة. وكل شيء في الكون حتى النفوس والآلهة بالذات، مزيج من تلك الذرات، فالآلهة قابلة إذن في سنة الحتمية للفناء أو التقكك، وبالتالي ليست بخالدة مؤبدة.

ولكن ما يمتاز به أنكاغورس عن نظرائه وأقرانه السابقين هو نظريته الماورائية. فقبل هذا العبراني الكبير كان الفلاسفة الإيونيون أو الإلياتيون أو الذريون يعتقدون أن العالم والكون كله تسسيطر عليه سنة القدر أو شريعة الحتمية البلاهة، وإن تلك السنة والشريعة تتفذ على صميم الكائنات وتُسير سماتها وحركاتها.

فتأمل أنكاغورس نظام الكون ودقة تفاصيل ذلك النظام وشموله وإحكامه، فنسبه إلى عنصر أسمى وجوه مفارق أصلاً دعاه "تونس" أي الفهم والعقل. ولذا ما فتئ أصحابه وخلاقه يلقبونه بهذا اللقب، ويسمونه عقلاً، كما دعا غسendi ديكارت عقلاً أو روحًا.

فهو نظير الفلسفه معاصريه يقبل مع برمنيدس استحالة صيرورة حقيقية، أي ظهور جوهر لم يكن موجوداً من قبل على وجه من الوجه^(٢).

(٢) مولاخ المقطوعة ٤٧

ومن ثم فهناك عناصر أزلية، ولكن هذه العناصر لم تكن في نظره محدودة كما زعم إمبذكليس الذي ردها إلى أربعة فقط. ولا غير محدودة العدد وكلها من طبيعة واحدة كما قال ليفكبس، بل هي في اعتقاده لا عدد لها، ولا حصر لتنوعها وانقسامها. وهذه العناصر تختلف في كل الأجسام بنسبة مختلفة. ونسبة هذا الاختلاف تتشكل تنويع الأجسام. أما في البدء، فقد كانت العناصر كلها ممزوجة مختلطة بصورة فوضوية متشوشة، لا نظام فيها ولا ائتلاف ولا انسجام، تكثر فيها ذرات الهواء والنار لأن تلك الذرات هي أوفر شطر من العناصر^(٣). فتألفت الأجسام بفضل حركة دورية جمعت بين الأجزاء المتشابهة المتجانسة، وأتاحت لها أن ينضم بعضها إلى بعض وأن تتماسك وتتدخل. ولكن تلك الذرات المتشابهة المتجانسة لا تخلي أبداً من الامتزاج بذرات أخرى متباعدة متنافية. ومن ثم فالجواهر التي تتشكل عنها بالتماسك والتداخل ليست بثابتة ثباتاً نهائياً. ومن ثم فالجواهر الظاهرة المختلفة تستحيل وتتطور من واحد إلى آخر. هذه فكرة أنكسغورس الخاصة الأولى.

ولكن ما هو مصدر الحركة الدورية؟ هنا نلاقي بدعة أنكسغورس الرائعة. وهي فكرته الخاصة الثانية: "إن مبدأ الحركة الدورية الفعالة المنظمة هي العقل أو الفهم في ذاته وبطبيعته مفارق حر. لا يقبل الامتزاج أو الاختلاط. إنه أدق وأنفى من أي شيء. وهو مدرك فهيم وقوى. ما يحيى ويوجد يقع تحت حكمه. فهو في البدء أصل الحركة الشاملة"^(٤).

في معرض الكلام عن الطبيعة وتقسيم حركتها ونظمها لفظ هذا الفيلسوف، لأول مرة في تاريخ الفكر اليوناني، كلمة "العقل" أو الروح. وهكذا

(٣) المقطوعة ١.

(٤) المقطوعة ٦.

تجاوز حدود الطبيعة، الضيقية على رحبتها، إلى ما وراءها، إلى عالم اللانهاية عالم الفكر وعالم الروح غير المحدود. وبعد أن فقه مبدأ الكون والوجود، حاول أن يبين خصائص ذلك المبدأ، فقال أولاً بروحانية العقل. "إنه أدق الموجودات وأنقاها. وليس مركباً نظير سواه من ذرات متشابهة" وإنما استطاع أن يسود جميع الكائنات لمحاراته لها في النقص. "فالعقل إذن بلا نهاية، مستقل قادر وقائم بذاته -أفتوكراتس- لا يُخالط ولا يُمزاج أي شيء منفرد موجود في ذاته". فما هي بسيطة مفارقة، وهي وبالتالي روحية حقاً منزهة عن كل مادة.

ثم قال بعلم العقل. فلكي يُنظم لابد أن يعرف ويطلع. ولذا " فهو يعرف الكون بأسره ولا يفوته من علمه شيء". وقال أخيراً إنه عنابة حكيمـة، أبدعـ النظام واستـعاضـ عن فوضـى العـناصر وتشـويسـها بـعالـم منـمـقـ مـزـدانـ موـشـىـ. وهذاـ معـنىـ كـلمـةـ "ـكـوزـمـسـ"ـ الـتـيـ اـبـتـكـرـهـاـ بـثـغـورـســ.ـ وـلـكـيـ يـنـظـمـ الـكـونـ وـيـحـافـظـ عـلـىـ تـرـتـيـبـهـ لـابـدـ لـلـعـقـلـ مـنـ قـدـرـةـ لـاـ حدـ لـهـ:ـ "ـوـلـذـاـ فـهـوـ يـحـرـّكـ كـلـ شـيـءـ،ـ وـيـنـسـقـ كـلـ شـيـءـ مـاـ وـجـبـ أـنـ يـكـونـ،ـ وـمـاـ كـانـ،ـ وـمـاـ هـوـ كـائـنـ وـمـاـ سـيـكـونـ"ـ^(٥).

وهذا التعليم أثار إعجاب أرسطو، فامتدح صاحبه في كتاب ما وراء الطبيعة، بعد عرض موجز لآراء أسلافه الفلسفـةـ بشـأنـ عـلـةـ الـكـونـ،ـ فقالـ:ـ "ـإـنـ وـجـودـ الـنـظـامـ وـالـجـمـالـ فـيـ الـأـشـيـاءـ أـوـ إـحـدـاهـمـاـ لـاـ يـحـتمـلـ أـنـ يـكـونـ سـبـبـهـ الـنـارـ أـوـ التـرـابـ أـوـ عـنـصـرـاـ آخـرـ مـنـ هـذـاـ النـوعـ.ـ وـغـيـرـ مـقـبـولـ أـنـ يـكـونـ أـولـئـكـ الـفـلـاسـفـةـ فـكـرـواـ بـهـ فـعـلاـ"^(٦).ـ وـمـنـ جـهـةـ أـخـرىـ لـاـ يـعـقـلـ أـنـ يـرـدـ فـعـلـ عـظـيمـ كـهـذـاـ إـلـىـ مـجـرـدـ الـاـنـتـاقـ (ـأـفـتـمـانـتـنـ)ـ أـوـ إـلـىـ الـقـدـرـ (ـتـيـخـيـ).ـ وـلـذـاـ عـنـدـمـاـ قـالـ أـحـدـهـمـ إـنـ فـيـ الـطـبـيـعـةـ كـمـاـ فـيـ الـكـائـنـاتـ الـحـيـةـ،ـ "ـعـقـلـاـ"ـ (ـنـوـسـ)ـ هـوـ عـلـةـ

(٥) راجع لأرسطو: في النفس ١ : ٣.

(٦) يعني بهم الاثنين والذرين على الأغلب.

النظام والترتيب الشامل في الكون، بدا ذاك الرجل وحده محتفظاً بوعيه ورشده غير سكران تجاه هذيان وهَرْفُ أسلافه. ونحن نعلم بجلاء أن أنكُسَغُورس قد تطرق إلى هذه الأقوال. ولكن يعزى إلى هِرْمُوتُمس الكلازُميَّيْنِي أنه قد سبق إليها. وعلى كل حال، فالذين يعلّمون هذا التعليم ويرثّأون هذا الرأي قد جعلوا علة الجمال والخير مبدأ الكائنات، وأكدوا أن الحركة في الكائنات تتأتى من ذلك المبدأ^(٧).

لقد كان تعليم أنكُسَغُورس انقلاباً فكريّاً، وثورة حقيقية في عالم الفلسفة، ولذا أثار إعجاب أرسطو. فإلى عهد فيلسوف أكْلَزُميَّه كان المفكرون كلهم يرددون حياتنا الروحية والعقلية إلى ظاهرات طبيعية محضة وإلى عناصر فيزيائية. فجاء أنكُسَغُورس وقادم التيار الجارف القديم ورد الطبيعة برمتها، على كل شمولها واتساعها، مع كل أحداها وظاهراتها إلى العقل أو الروح كمصدر لها ومعين رائق ومبدأ راسخ حقيقي.

بيد أن فيلسوفنا لم يستخرج من مبدئه كل نتائجه الطبيعية، ولم يقل إن مصدر الخير والنظام وعلة حركة الموجودات هو في الوقت عينه لها علة سببية وعلة غائية. وهذا ما يأخذه عليه أرسطو نفسه وأستاذه الكبير أفلاطون^(٨) وهذا التقصير أمر طبيعي. فكل العلماء لا يرون لأول نظرة مدى مبادئهم وكل نتائجها. وفضلهم كله غالباً في اكتشاف تلك المبادئ وفي إثباتهم لها.

فضل أنكُسَغُورس إذن هو أنه أول من عالج موضوع العقل والروح معالجة علمية محضة. وهكذا عبد الطريق لسocrates ومدرسته الفلسفية الروحانية، ووضع أساساً متينة للفلسفة الماورائية أو علم اللاهوت الطبيعي ومهّد السبيل في الوقت نفسه للسكونولوجيا العقلية أو علم النفس الروحاني.

(٧) ر ما وراء الطبيعة لأرسطو ١: ٣ : ١٢ وما يلي.

(٨) ر لأرسطو ما وراء الطبيعة ١: ٤ : ٥. وفيذن أفلاطون ٩٧ - ٩٩.

٧ - أرسطو

ولد أرسطو سنة ٣٨٤ ق. م. في مدينة صغيرة غناء تدعى استغيرا من أعمال شبه جزيرة خلكذكي على الخليج الستريموني إلى شماله الشرقي، على مصب نهر السترمون. وكانت مدينة استغيرا هذه مدينة إيونية، ساهم في تأسيسها نحو سنة ٦٦٥ ق. م أهل جزيرة اندرس وأهل مدينة خلکيس موطن والدته فستياس وقد دمّرها سنة ٣٤٩ ق. م فيليبس الثاني (٣٣٦ - ٣٨٢) إبان إحدى الحروب التي مهدت له اجتياح بلاد اليونان. ثم أعاد بناءها وجعلها سنة ٣٤١ ق. م. وخصّتها بامتيازات كبيرة، نزولاً عند رغبة أرسطو مهذب وأستاذ أكشندر المعروف بالاسكندر الكبير (٣٢٣ - ٣٥٦). وقد سنّ الفيلسوف لها دستوراً حكيمًا. وأسمها الحالي استقروس أي مدينة الصليب.

وكان نوكومُخس، أبو أرسطو، صديق أمينتس الثالث (٣٩٦ - ٣٦٩) ملك مكُنِّينا وطبيبه الخاص. وعنه أخذ الفيلسوف ولاشك بالتلقيين والوراثة خصوصاً، حبّ العلوم الطبيعية وميله إليها واعتماده على الواقع الطبيعي، في شتى نواحيه، اعتماداً صحيحاً بالمراقبة والاختبار، ليبني صرح فلسفته الأولى، كما يدعوها، أي فلسفة ما وراء الطبيعة. وعنه أخذ ولاشك في ذلك أيضاً، تلك الواقعية الصرفة، التي أتاحت له أن يشيد نظرياته الفلسفية البحتة على صخر متين يصونها من تقلبات الدهور وغارات المناوئين.

وعندما ناهز السابعة عشرة من عمره سنة ٣٦٨ ق. م. وكان قد أنهى تفاصيـة الأدبـية والموسيـقـية والـرـياضـيـة الأولىـ، طـبقـاً لأـصولـ التـرـيـةـ المرـعـيـةـ فيـ ذـلـكـ العـهـدـ، وـالـتـيـ يـشـيرـ إـلـيـهاـ هوـ نـفـسـهـ فـيـ الـبـابـ الثـامـنـ وـأـوـاـخـرـ السـابـعـ مـنـ سـيـاسـيـاتـهـ، قـدـمـ أـثـيـناـ فـيـمـ كـانـ يـقـدـمـهـ مـنـ رـائـيـ المـعـرـفـةـ عـلـىـ اختـلـافـ فـرـوعـهـ، وـتـلـمـذـ لـأـفـلاـطـونـ أـجـلـ وـأـشـهـرـ أـسـانـذـ بـلـادـ يـونـانـ إـذـاكـ، لـأـبـلـ أـكـبـرـ فـيـلـسـفـ فـيـ ذـلـكـ العـهـدـ.

ولم يقصد الندوة الأفلاطونية أو الأكdemia - كما كانوا يسمونها - لميل خاص إلى الفلسفة، اللهم في الأوائل، إذ كان والده يُعَدُّ لمهنة الطب، ولكن لصيت

صاحبها ومؤسسها الذي كانت شهرته قد طبقت الآفاق. فما عتن الأستاذ الكبير والمفكر الحصيف أن خصّ تلميذه الجديد بعنية فريدة، ومحبة كبيرة، إذ استشف من وراء ذلك الجسم النحيل والبنية الدقيقة والكيان النحيف، عقلاً مرهفاً وذكاء متوفقاً وقوة جباره على المطالعة والإدراك والاستيعاب. وبعد أن عرك ذلك العود واستجلى باطنته المجوهرة - المركبة حسب زعمه في كتاب الجمهورية - لا من ذهب نضار فقط، ولكن - نستطيع أن نقول - من ماس كريم أيضاً، راح يدعوه "عقل الندوة" وقراءها "وذكر المدرسة وروحها". وكان يسميه أيضاً "فيلسوف الحقيقة" لصراحته واستقامته ونزاهته في البحث عن مجرد الحقائق.

فذاك العقل الكبير والعرقي الشهير وفيلسوف الحقيقة صرف جهده إلى البحث عن الحقيقة. وبعد أن غير اتجاهه وأكبّ بكل قواه على درس الفلسفة وجعل حياته وفقاً عليها، ألف تلك المؤلفات الضخمة فيها التي رفعته على أسمى المنازل الأدبية والفكيرية، حتى عده فلاسفة العرب ومفكرو المسيحية أمير الفلاسفة والمعلم الأول. وكلّ دراساته كلها ونظرياته العميقه بكتاب ما وراء الطبيعة أو الفلسفة الأولى كما يسميها أو أسمى علم بلغة العقل البشري. وهو يقول لنا في مطلع هذا المؤلّف الرائع:

"العلم والمعرفة لمجرد العلم والمعرفة" تلك هي الميزة الرئيسية لعلم أسمى ما يُعلم. لأن من يريد أن يعلم، يختار ويفضل لنفسه العلم الكامل أي علم أسمى ما يُعلم. والحال أن أسمى ما يُعلم هو المبادئ والعلل. فيها ومنها تعرف الأشياء الأخرى. وليس المبادئ والعلل هي التي تعرف بالأشياء الأخرى الخاضعة لها.

"فأرفع علم يفوق كل علم دونه، هو العلم الذي يعرف لأي غاية يؤتى كل عمل. وهذه الغاية هي الميزة في كل كائن. وعلى وجه الإطلاق أنه الخير الأسمى في مجلل الطبيعة"^(١).

٦-٧: (١) ما وراء الطبيعة ١: ٢ : ٥ و ٦.

وعلمُ أسمى ما يعلم هو في نظر أسطو علم المبادئ والعلل أو علم الفلسفة. وهنا يقول الفيلسوف إن المباحث الفلسفية ابتدأت بالدهشة والتعجب: "ما لفت نظر المفكرين الأولين في البداية كان البسيط من الصعوبات. ثم ما برحوا يخطون الخطوة تلو الخطوة إلى أن حاولوا أن يحلوا مشاكل أكثر خطورة؛ مثل ظاهرات القمر والشمس والكواكب، وأخيراً نشأة الكون. فمن يلاحظ صعوبة ويدهش لها، يتهم نفسه بالجهل. ومحبّ المثولوجية (أي الأسطورة) هو من بعض الوجوه محبّ الحكمة (أي فيليسوف). لأن الأسطورة تتركب من أمور مدهشة. ومن ثم إن انصرف فلاسفة الأولون إلى الفلسفة هرباً من الجهل، فجلي أنهم سعوا وراء العلم ابتغاء للمعرفة، لا لغاية نفعية^(٢)، لأن الفلسفة غاية لنفسها.

ولذا يستطيع المرء بحق أن يحسب امتلاك الفلسفة فوق مستوى البشر. لأن طبيعة الإنسان في الواقع مستعبدة من وجوه شتى. ولذا كما قال سُمِّيَّدِيس: الله وحده يتمكّن من التمتع بهذا الامتياز. ولكن لا يليق بالمرء أن لا يسعى وراء العلم الذي يوافقه. وإذا ما صدق الشعراة، وكانت الألوهة حسودة فلابد أن تحسد خصوصاً بشأن الفلسفة. ولا بد أن يشقى كل البارعين فيها والمتقويقين. غير أنه لا يُقبل أن تكون الألوهة حسودة، إذ إن الشعراة، طبقاً للمثل، كثيراً ما يكذبون. هذا ولا يحتمل أن يظن المرء أن علماً آخر قد يكون أنفس من هذا. وفي الواقع أكثر العلوم ألوهية هو أنفس العلوم. والفلسفة وحدها أكثر العلوم ألوهية، وذلك من وجهين: العلم الإلهي هو العلم الذي يجدر بالله أكثر من غيره أن يملكه، وهو أيضاً العلم الذي يتكلم عن الإلهيات. والحال أن الفلسفة وحدها قد حوت هاتين الميزتين: إذ يبدو من جهة أن الله علة من العلل لجميع الكائنات وأنه لها مبدأ. والله

(٢) ما وراء الطبيعة ١: ٢: ٨.

يملك وحده من جهة أخرى مثل هذا العلم أو يملكه أصلًا. فكل العلوم أكثر ضرورة من هذا العلم. ولكن ليس من علم أفضل منه"^(٣).

وبعد دراسات مسائية على الكيان والوجود والعناصر والمبادئ والعلل، يخلص إلى القول إن نظام الكون وحركة الكون، وديمومة الروح والعقل، كل هذا يقضي بوجود كائن أسمى هو فعل تام أكمل، لا مجرد إمكانية أو قدرة، لأن الفعل قبل القدرة، والوجود قبل إمكانية الوجود، والكمال قبل إمكانية الكامل. فالله هو المنظم الأزلي والله علة الحركة وعلتها الصمدية، والله غاية الكون والكيان. لأنه الكمال الذي لا ينقصه شيء، إذ هو ملء الكمال المنزه عن كل نقص. ووجوده ضروري لأنه مصدر الوجود وعلة كل موجود.

- "فالليل والخواء لم يوجدا فترة لا نهاية لها. بل نفس الأشياء وُجدت دائمًا.
- "إذ علتها سرمدية أزلية. وبما أن الأمر كذلك، ولو لم يكن ذلك كذلك، لصدر العالم عن الليل، وعن الفوضى الشاملة والعدم... وبما أن الحركة شاملة فالمحرك الأسمى يُحرّك دون أن يَحرّك وهو الكائن الأزلي والجوهر الكامل والفعل التام. وهذا يُحرّك المرغوب والمعقول. إنهمَا يُحرّكان دون أن يتَحرّكا..."
- "والله هو المرغوب الأسمى لأنَّه الخير الأسمى، والمعقول الأسمى لأنَّه الجوهر الكامل الذي منه كل كمال.
- "فهذا هو المبدأ الذي تتعلق به الأكون والطبيعة، وحياته في ذاته تتحقق أسمى الكمال - لأنَّها روحية محضر - . ونحن لا نحيها إلا فترات عابرة. أما هو فإنه يحيا تلك الحياة بصورة دائمة، وهذا يستحيل علينا، لأنَّ ذاته فعله بالذات. وما السهر والشعور والفكر أعظم لذَّاتنا إلا لأنَّها أفعال. وما الأمل والذكرى لذَّة إلا بتلك.

(٣) ما وراء الطبيعة ١: ٢٠ و ٩.

• "والحال أن الفكر - والفكر القائم بذاته - هو فكر الأفضل بالذات. والفكر الأسمى هو فكر الخير الأسمى. والعقل يعقل ذاته إذا أدرك المعقول. لأنه يغدو هو نفسه معقولاً عندما يتصل بموضوعه ويعقله، بحيث تنشأ وحدة ذاتية بين العقل. والمعقول. لأن العقل وعاء المعقول والماهية. والعقل في فعله. هو امتلاك المعقول. ولذا فالامتلاك قبل الملكة هو العنصر الإلهي الذي ينطوي عليه العقل، وفعل التأمل هو اللذة الكاملة القصوى.

• "فإن أحرز الله إذن بلا انقطاع الحبور الذي لا نملكه إلا فترات متقطعة فذلك أمر مدهش. وإن أحرز الحبور أكثر منا بكثير فذاك مدعاه أكبر لدهشتنا. والحال أن الله يحرز الحبور على هذا الوجه.

• "ثم إن الحياة من صفات الله. لأن فعل العقل هو حياة. والله هو هذا الفعل بالذات. فهذا الفعل الجوهرى في حد ذاته، هو نفسه حياة الله الكاملة الأزلية. ولذا ندعو الله حياً أزلياً كاماً. فالحياة والديمومة المتواصلة الأزلية من خواص الله، لأن هذا بالذات هو الله"^(٤).

أما ماهية الله وجوهه الله، فهو العقل والفكر: "إن العقل الأسمى يعقل نفسه - إذ لا يمكن أن يعقل غيره كمخارج عن ذاته-. ويعقل نفسه أو ذاته لأن ذاته خير ما يوجد، وفكرة هو فكر الفكر. وبما أنه لا فرق في الأشياء المجردة عن المادة، بين الفكر وموضوعه، ففكر الله وموضوعه واحد بالذات". وفكير الله يدرك ذاته أي الخير الأسمى مدى الأزلية كلها^(٥).

هذا هو إله أسطو روح محض وكمال مجرد وصلاح مطلق. فعل تام أي الكيان بالذات والعقل بالذات وفكير الفكر أي فكر ذاته لأنه أسمى كيان

(٤) ما وراء الطبيعة ١١: ٧.

(٥) ما وراء الطبيعة ١١: ٩.

والكيان وأسمى خير والخير. ومن ثم فهو سعادة كاملة وحياة كاملة وفرح سرمدي، علة العلل وغاية الغايات. فهو البدء وهو المعاد.

وما رأي أرسطو بالآلهة؟ لقد رأى أنها عقول مجردة تشرف على سير الكواكب والأفلاك. أما بعض الآلهة التي أكرمتها العامة، فقد ازدراها ازدراه، بعد أن نسب شيئاً من الحكمة للشعراء الذين اختلفوا عنها. فهو يقول في كتاب السياسيات^(٦): "بما أننا ننبذ من الدولة النطق بإحدى القبحات، فمن الظاهر أننا ننبذ أيضاً منها مشاهدة الرسوم وسماع الأحاديث الغير اللائقة. فليعن الحكم إذن بـالـأـلـهـةـ يـمـثـلـ رـسـمـ أوـ تـمـثـالـ أوـ شـيءـ آخرـ قـبـاحـةـ منـ تـلـكـ القـبـاحـاتـ إـلـاـ فيـ هـيـاـكـلـ بـعـضـ الـآـلـهـةـ مـنـ يـدـعـ لـهـمـ الشـرـعـ هـزـلـمـ الـخـلـاعـيـ وـالـقـانـونـ يـسـمـحـ لـمـنـ تـقـدـمـواـ فـيـ السـنـ أـنـ يـقـصـدـواـ تـلـكـ الـهـيـاـكـلـ، لـكـيـ يـؤـدـواـ الإـكـرـامـ لـلـآـلـهـةـ عـنـ ذـوـاتـهـمـ وـأـوـلـادـهـمـ وـنسـائـهـمـ".

ويشير الفيلسوف هنا بقوله بعض الآلهة إلى فاكحُس أو ذيونُس وأفروذيني وأرتميس ومن إليها، ومن دارت عبادتها على الحب الشهوانى والخلاعة أو رافقت عبادتها بعض مظاهر الفحش والتهتك. وأرسطو ينتقد بكلامه هذا انتقاداً مبطناً ولكن لاذعاً، تلك الشعائر الدينية السخيفة السافلة، وتلك الآلهة التي قد يلحق بها الإهانة والضرب لو أنها بشر. مما يليق في نظره بالعبد، لأنها أحط من العبيد منزلة.

هذا وقد كنا نود أن نقف في بحثنا عن تطور المعتقد بشأن الأسطورة عند هذا الحد. ولكن تتمة للفائدة واستكمالاً للعرض، لابد أن نقول كلمة عن كاتب رومني عَبَّر في القرن الأول ق. م. عن فكر فئة كبيرة من أهل عصره، ضمّت العظماء والوجهاء والكتاب والمفكرين، وعن أديب يوناني عاش في أواخر القرن الثاني بعد المسيح وسخر من آلهة الوثنية وتهكم بمعتقداتها السخيفة وأساطيرها الصبيانية.

(٦) السياسيات: ٧: ١٥: ٨.

ج- طور الانكار

٨ - لُكْرِتُسِيُّس

ينحدر هذا الشاعر من أسرة عريقة نبيلة، تعدّ بين أجدادها زمرة من قناصل روما وهي أسرة لُكْرِتُسِيُّس. ولد في روما سنة ٩٨ ق. م وصادق انتشِيرُو أي فيرون واتِّكُوس وكتُولُس. وانصرف عن السياسة إلى حياة الأدب والشعر والفلسفة، وتوفي سنة ٥٥ ق. م. وما إعراضه عن السياسة إلا لاشئزازه من خصوماتها وموارباتها وإنها وأنانياتها ودسائسها. وقد كره الدين أيضاً ونفر من معتقده وشعائره، لأنَّه أصبح لعبة في أيدي الطامعين والمستغلين من أصحاب الغaiات السياسية والمتتفدين فيهم. ولمَّا راحوا يكرثون لدعایاتهم طغمة الآلهة، ويزيدون عدداً أكثرها سوءاً وشرراً، تمرد على تلك القوات السماوية المزعومة، وقد أبدعها الجهل والخوف والجشع واستخدمها الطغاة لقمع رعاياهم.

وفي تلك الحقبة العصيبة من تاريخ روما، فترة تضخم الامبراطورية الرومانية وفتحاتها الكبرى واتساع رقعتها، قادته تأملاته ودراساته الفلسفية إلى اعتناق مذهب إِبِيِّكُرُس، وغدا من غلاة الداعين إليه عند الرومان. ولم يخل المذهب من العظمة والمهابة، إذ دعت الأخلاق فيه إلى التغلب على الذات وضبط الأهواء والحد من الرغبات ومقاومة المخاوف الخرافية. وهذه التعاليم أمنت الشهامة في القلوب واستهوت النفوس الأبية، بما انطوت عليه من زهد وشظف في العيش. وقد لاءمت نظريات إِبِيِّكُرُس استعداد لُكْرِتُسِيُّس الروحي، وقد آلمته الحروب الأهلية الضاربة حتى الصميم، فوجد أن فلسفة ذلك الحكيم اليوناني الكبير الطبيعية تروي غليله وتشفي نقمته من آلة بله ومعبدات عاجزة من كُبُولها، وهو أولميس الرومان، تضع حدًا للمجازر الأهلية، وتكتف الأيدي الآثمة عن سفك الدماء البريئة.

وما كان في نظر إبيكرس نظرية علمية موقعة، غدا في وهم لكرتسيس عقيدة راسخة وإيماناً متعنتاً أعمى. هذا وهو لم يزد شيئاً على نظريات ذموكرتس الطبيعية، وقد قبلها أستاذه على علاتها. إلا أن شاعرنا الروماني أضفى على تلك التعاليم النظرية المجردة الرزينة وشاحاً أخذأً ناصعاً من شاعريته الثائرة الجياشة ومن عاطفته العميقه المتألمه.

يبتدئ لُكْرِتْسِيُّس ملحنته بالابتهاج على فِينُس الزهرة إلهة الحب وهو لا يعتقد بها أكثر مما يعتقد بغيرها من الآلهة. ولكنه يعتبرها "حراصاً على التقاليد" أصل الأمة الرومانية ومصدر الخصب الرمزي في الكون. ثم يُطب في مدح إبيكرس (٣٤٠ - ٢٧٠ ق. م) وينسى أن المذهب الذري، الذي يقضى على العقل والروح والآلهة والحياة الأخرى والدين، ليس من معلمه بل من فلاسفة عاشوا قبله بكثير، نظير ليفكبس وذموكرتس (٥٢٠ - ٤٤٠ ق. م). وإبيكرس بالذات الذي أخذ عن أنكسرس، تلميذ مترنورس الخيسى، تلميذ ذموكرتس، لم يزد هو نفسه شيئاً يذكر على تعاليم جده الأكبر بالروح.

فذموكرتس يقول قول ليفكبس أن "ليس من العدم إلا العدم"، وأن كل شيء تفسره الذرات وحركتها في الفضاء. فهذه الذرات أزلية لا متناهية العدد، وهي متجانسة مختلفة الأشكال، ملائى وغير متجرئة. ومن ثم لا تنقسم المادة إلى ما لا نهاية، ولكن ذراتها هي التي تتدانى فتسجم وتتباین فتنقسم، لأن الأجسام كلها والكائنات الحية والأرواح والآلهة لا تختلف في الماهية. وما يختلف فيها هو إنطلاق ذراتها. أم الإنلاف أو الأشكال التي تتخذها الذرات فمنشؤها الإنفاق وحركة "الأتم" الثانية، العمودية الأصلية والمنحرفة الناشئة عن تلاقي الذرات وتصادمها. والحركة تقضي الخواء أو الفراغ. وبرهان الفراغ الذي يقدمه ليفكبس لأصحاب المذهب الإلياتي هو الحركة بالذات وتقلص بعض الأجسام وتمددها وتدخلها وغذاء بعضها ببعض، وامتصاص هذا الغذاء بالذات. ولكن الفراغ بين الذرات ليس عنصراً إيجابياً. لأن العنصر الإيجابي الفريد هو الذرة والأتم.

هذا مذهب ليفكبس وقد أقره نموكرتس وكمله. وفرض أن الفضاء بلا نهاية تسبح فيه الذرات وعدد من العالم. وأن العالم كالبشر والحيوان خاضعة هي أيضاً لغير الدهر وسنة الإزدهار والانهيار. وليس الذرة التقيلة في نظره. ولكن الفراغ إذا زاد أو نقص في المركب أحث التقليل أو الخفيف وأنشأ الوزن.

وقد أضاف نموكرتس إلى هذه النظريات الطبيعية، بعض الآراء الفسائية والماورائية والأخلاقية. وزعم أن روح الإنسان تتراكب هي أيضاً من ذرات دقيقة مستديرة شبيهة بذرات النار. وفسر عملية الشعور أو الإحساس: من جهة الأشياء "بصورة مادية مثيلة" أيّدلا، تبعثها الأجسامجزئيات مادية إلى حواسنا، ومن جهة الحواس فسر تلك العملية بـ إئتلافات ذرية هي المشاعر والوجودان والفكر والعقل أو الإدراك.

وما الآلة إلا تراكيب ذرية أقوى من تراكيب النفوس البشرية. ولذا يطول أمد حياتها. ولكنها هي أيضاً مائة أو فانية، لأنها خاضعة لسنة الحتمية وتفكك المادة، وشرعية إلتحام العناصر وانقسامها التي تسير الكون.

وبالتالي لا خرافات ولا أوهام ولا مخاوف سخيفة إذ الآلة والبشر في البلاء سواء. فلتخلد النفس البشرية إذن إلى السكينة والدعة، ولتحي مطمئنة هانئة ولتقطف أطيايب الحياة في أوانها، ولكن باعتدال وفطنة. وقيل إنه كان ينبذ الزواج وحب الوطن لما يولدان من مشاكل ومتاعب. وكانوا يقابلون نموكرتس الضحوك المتفائل بهراكلنس العبوس المتشائم.

وقد أضاف إبيكرس إلى فلسفة نموكرتس الطبيعية انحراف الذرات التلقائي أو الذاتي. ومن هذا الانحراف تصدر ميول النفس وإرادتها الحرية. والعوالم المماثلة لعالمنا الناشئة عن إئتلاف الذرات لا نهاية لها. أما الآلة فهي تعيش في البطلة ولا تتدخل في أمور البشر. ومن ثم لا داعي إلى الخوف منها بل يليق أن يحترمها المرء ويكرمها رغم اعتزالها في قصورها النائية.

هذه هي التعاليم التي يتبعها الشاعر الروماني خطوة خطوة، ويسكبها في قالب شعري بديع. وبعد أن يعرضها في الكتب الأربعة من ملحمته، يعود إلى إطاء أستاذه إينيكروس ويبلغ في مدحه و يؤله ثاليلهاً، ناسياً أو متجاهلاً أن مذهبـه ليس سوى إعادة لمذهب المدرسة الذرية، وتـرداد ليفكـس وذموكـرس و غيرـهم من الفلاسفةـ من حـدوا حـنـوـهـمـ وـنسـجـواـ عـلـىـ غـرـارـهـمـ. فهو يـبـدـيـ حـمـاسـ المـهـتـدـيـنـ حـدـيـثـاًـ، وـيـنـدـفـعـ بـكـلـ قـوـاهـ وـرـاءـ تـعـلـيمـ يـحرـرـ قـلـبـهـ مـنـ الخـوفـ وـعـقـلـهـ مـنـ عـقـالـ الـخـرـافـةـ. ولـذـاـ لـمـ يـتـكـلـمـ أـحـدـ قـطـ عـنـ الرـوـمـانـ بـمـثـلـ مـاـ يـتـكـلـمـ لـوـكـرـتـسـيـسـ مـنـ الـحـرـيـةـ وـالـجـرـأـةـ وـالـصـرـاحـةـ عـنـ تـلـكـ الـآـلـهـةـ التـيـ يـخـضـعـهـاـ لـلـقـدـرـ نـظـيرـ كـلـ شـيـءـ. فـفـلـسـفـةـ اـبـيـكـرـسـ رـاقـتـ فـيـ نـظـرـ ذـلـكـ الـدـهـرـيـ الـمـلـحـدـ. وـمـاـ وـرـائـيـتـهـ هـيـ الـمـادـيـةـ الصـرـفـةـ، إـذـ يـنـكـرـ، بـعـدـ أـسـاتـذـتـهـ الـيـونـانـ، عـلـىـ النـفـسـ خـلـودـهـاـ وـعـلـىـ الـآـلـهـةـ سـرـمـيـتـهـاـ. لـأـنـ الـعـالـمـ وـالـكـوـنـ أـدـأـةـ طـيـعـةـ فـيـ يـدـ الـحـتـمـيـةـ الصـمـاءـ.

ولـكـنـ شـائـيـةـ تـلـكـ الـتـعـالـيمـ وـعـبـيـهـاـ الـفـادـحـ الـأـكـبـرـ هوـ سـذاـجـتهاـ وـسـطـحـيـتـهاـ وـسـخـفـهاـ. فـمـنـ أـيـنـ الإـحـسـاسـ وـالـشـعـورـ لـكـتـلـ الـذـرـاتـ؟ـ وـمـنـ أـيـنـ الإـدـرـاكـ وـالـتـمـيـزـ لـمـجـمـوعـةـ "ـجـرـئـيـاتـ"ـ وـمـنـ أـيـنـ الـوـجـانـ وـالـعـاطـفـةـ وـالـحـيـاةـ لـعـنـاصـرـ مـادـيـةـ كـثـيـفـةـ؟ـ وـكـيـفـ يـنـوـبـ الـقـدـرـ وـالـاـتـفـاقـ مـنـابـ الـعـنـيـاـةـ الـإـلـهـيـةـ الـعـاـفـلـةـ؟ـ وـكـيـفـ تـنـظـمـ الـحـتـمـيـةـ هـذـاـ النـظـامـ الـدـقـيقـ الشـامـلـ؟ـ وـكـيـفـ تـقـسـرـ الـآـلـيـةـ الـعـمـيـاءـ نـوـاحـيـ الـحـيـاةـ الـمـذـهـلـةـ، وـالـحـيـاةـ فـيـ جـوـهـرـهـاـ تـنـتـافـيـ وـالـآـلـيـةـ كـلـ التـنـتـافـيـ وـتـنـتـاقـضـ وـإـلـيـاهـاـ أـتـمـ التـنـاقـضـ، لـأـسـيـماـ عـلـىـ الصـعـيدـ الـفـكـرـيـ وـالـرـوـحـيـ وـالـخـلـقـيـ؟ـ وـهـذـاـ هـوـ بـالـذـاتـ مـأـخـذـ أـرـسـطـوـ الـكـبـيرـ عـلـىـ الـمـذـهـبـ الـذـرـيـ، وـهـوـ أـنـ يـحـاـوـلـ أـنـ يـفـسـرـ كـلـ شـيـءـ بـالـحـرـكـةـ، وـلـاـ يـنـبـئـنـاـ عـنـ مـصـدـرـهـاـ وـلـاـ عـنـ كـيـفـيـتـهـاـ وـلـاـ عـنـ غـايـتـهـاـ.

٩ - لـكـيـنـوسـ السـمـيـسـاطـيـ (١٢٥ - ١٩٥)

نشأ لكينوس في الشمال الشرقي من سوريا، على ضفاف الفرات في مدينة اسمها سميساط عاصمة كُمْجيَا. ولما شب رحل إلى إينينا وقد ازدهرت فيها المعرفة على عهد الأباطرة الأنطونيين، وتنقفت فيها في الفلسفة

والخطابة، ثم هبط إلى أنطاكية ومارس فيها المحاماة. ولكن لم يطل به الأمر حتى هجر تلك المدينة وتتجول في عواصم بلاد اليونان وغالية. ثم عاد إلى أثينا وأقام فيها زهاء عشرين سنة. وقد فضلها على روما. وكان في رحلاته قد اغتنى جداً. ولما أخذت ثروته التي حصلتها في الغرب بتعاطيه مهنة السفسيين تتلاطم وتتضاعل نزح إلى الإسكندرية حيث تذكر عهد المحاماة، وشغل منصباً مرموقاً في القضاء، درّ عليه دخلاً وافراً. وكان يأمل أن يبلغ منزلة والٍ على إحدى مقاطعات الامبراطورية الرومانية^(١).

ألف هذا الكاتب تأليف كثيرة عرفت كلها بالدعابة والمرح وخفة الروح. وسمتها الرئيسية السطحية والعبث. ومن أهم تلك المؤلفات "أحاديث الأموات" و"محاورات الآلهة" و"زفس المهرج" و"زفس المسفة" و"عرفة الموتى" و"مينيس" و"الوصول إلى الجحيم" و"الديك أو الحلم" و"النحل الفلسفية في المزاد العلني" و"مجلس الآلهة".

ففي زمن انعدم فيه الفكر الشخصي وغدا التعليم في كل المضامير ترديداً وترجيعاً لأقوال وآراء ونظريات الأقدمين، تتجلى روح النقد في هذا الأديب السوري إلى مدى بعيد، ولكن لسوء الحظ تتناول هذه الروح عنده كل الموضوعات بالخفة نفسها، وبكثير من اللامبالاة وعدم المسؤولية. ومع أن فكره نبيه نقاد لاذع، فهو يخلو أو يكاد من التؤدة والحساسة والعمق.

لقد انتقد أخلاق المجتمع وما نقشّ فيه من الشوائب والنقائص والرذائل، لاسيما الطمع والجشع القائد إلى الإثم، والوصولية وحب الظهور، والتهافت على الملاذات^(٢). انتقد الخطباء والسفسيين "باعة الكلام" كما يدعوهם أفلاطون أو "تجّار المعرفة" كما يسمّيهم ارسطو. أما الخطباء فقد انتقدتهم لأن فنّهم أمسى مجرد منافسات ومسابقات كلامية، في عصر حُرمت

(١) راجع له هرمونتس أي المذاهب الفلسفية، وكتاب الدفاع.

(٢) أحاديث الموتى والديك.

الشعوب الخاضعة لنير رومة من حرياتها السياسية ومن حق انتقاد السلطة والمطالبة بحق تقرير المصير. فعند تلك الشعوب لم يبق للخطابة إلا أن تشيد بحمد الولاة والحكّام والسلطين، وتدافع عن بعض المصالح الشخصية التافهة. وفي انتقاده الفئة الثانية التي انتمى إليها ردهاً من الزمن، قد شمل "باعة الكلام" والفلسفه الحقيقيين.

لقد جرّح السفستيين لسفه تعليمهم ومتاجرتهم بالمعرفة واستخفافهم بالعلم وتنزيتهم الخلقي ومدارس العظاماء والوجهاء وذوي المناصب وأصحاب السلطة. وكان ذوقه وثقافته قد منعاه من اقتقاء أثرهم والنسيج على منوالهم.

أما الفلسفة والفلسفه فقد ساءه فيهم تضارب آرائهم وتناقض مذاهبهم وتباین تعاليمهم. ولذا نعى عليهم زيف الفلسفة وبطلانها وانهيارها. وادعى أنها أفلست من العلم "لتعدد مذاهبها وتشعب ملأها ونحلها وتناقض تعاليمها حتى بشأن المبادئ والغاية^(٣)". ولكثره الهرج والمرج واللغط لا يستطيع الفكر أن يستقرّ ولا أن يختار لنفسه طريقة أو مذهبًا، "إذ لابد للمرء أكثر من مشتى سنة لمجرد الاطلاع على مختلف المدارس والمذاهب الفلسفية^(٤)".

وهو لا يفتأّ يتهجّم على الفلسفه ويطعنهم بلا هوادة ويهزأ بهم ويتهمّ وينعتهم بأسوأ النعوت. ففي كتاب له دعاه "إكرُميُنْبِس أو الرحلة الفضائية"، يضع على لسان زفس وقد صعد إليه بطل رحلته ليزوره في علائه، المديح التالي بحق الفلسفه. وقد كان رب الأرباب يبحث شکوى القمر في محفل الآلهة: "إن ما حداني إلى استدعائكم هو قدوم ضيفنا يوم أمس. فمنذ عهد بعيد كنت أبغى أن أتلّو على مسامعكم بياناً بشأن الفلسفه. واليوم فقد عزمت أن أبحث معكم هذه القضية، وعقدت النية على عدم إرجائها، لاسيما وأن القمر وترّمه يستحثني إلى ذلك.

(٣) المتطفل.

(٤) هرمومتس.^٨

"يُوجَدُ الآن طائفةٌ من الناس بُرِزَتْ إِلَى العَالَمِ مِنْذِ أَمْدٍ قَرِيبٍ. وَهِيَ شَرِذَمَةٌ كَسُولٌ مُشَاغِبَةٌ مِنْهَا غَضُوبٌ، شَرِهَةٌ، طَائِشَةٌ، مُتَكَبِّرَةٌ سَرِيعَةٌ إِلَى كُلِّ ضَرُوبِ الْعَنْفِ وَعَلَى حِدْ قَوْلِ هُومِرُسْ، عَبَءٌ عَلَى الْأَرْضِ لَا جُدُوْنَهُ".

"وَقَدْ تَفَرَّقَ أَوْلَئِكَ الرِّجَالُ إِلَى نِحْلٍ. وَقَدْ اسْتَبَطُوا أَقْيَسَةً عَقْلَيَّةً مُلْتَوِيَّةً، وَسَمِّيَّوا أَنْفُسَهُمْ: هُؤُلَاءِ رَوَاقِيَّينَ، وَأَوْلَئِكَ أَهْلَ النِّدوَةِ أَوْ اتِّبَاعِ إِبِيْكُرْسُ أَوْ مَشَائِنَ، وَانْتَهَلُوا لِنَفْوِهِمْ أَسْمَاءَ أَخْرَى تَزِيدُ هَذِهِ مَهْزَلَةً وَلَيْسَ هَذَا دَأْبُهُمْ فَحَسْبٌ، وَلَكِنْهُمْ يَتَرَبَّوْنَ بِاِسْمِ الْفَضْيَّةِ الْمَهِيبِ وَيَقْطَبُونَ حَوْاجِهِمْ وَيَسْدِلُونَ لَحَامَ الْعَرِيْضَةِ، وَيَتَجَولُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَهُمْ يَسْتَرُونَ أَخْلَاقَهُمُ السَّافِلَةَ وَرَاءَ مَظَاهِرِ جَلِيلٍ".

"إِنَّهُمْ يُشَبِّهُونَ كُلَّ الشَّبَهِ مَمْثَلِيَّ الْمَآسِيِّ فَإِنْ نَزَعْ هُؤُلَاءِ أَقْنَعَتْهُمْ وَأَلْبَسَتْهُمْ الْمَقْصِبَةَ يَعُودُنَ عَصَارِيَّتَ اسْتَوْجَرُوا لِلتَّمَثِيلِ بِسَبْعَةِ دَرَاهِمْ...".

وَيَتَابَعُ زَرْفُسُ، أَوْ بِالْأَحْرَى لُكْيَنُوسُ عَلَى لِسَانِ الْأَلَهَةِ، ثَنَاءَهُ الْعَاطِرُ هَذَا وَيَبْيَنُ نَهْمَنِمْ تَلْكَ الزُّمْرَةَ بَعْدَ تَعْفُّفٍ، وَدِعَارَتِهَا بَعْدَ تَزَهُّدٍ، وَجَشَعَهَا بَعْدَ إِعْرَاضِ وَادِعَاهَا الْخَيْرِ وَالْإِصْلَاحِ وَهِيَ مُنْصَرَفَةٌ إِلَى الْبَطَالَةِ، فَلَا تَنْتَفَعُ لِحَرْبٍ وَلَا تَقْيِدُ فِي شَوْرِيٍّ". وَيَنْحُوا بِاللَّائِمَةِ خَصْوَصًا عَلَى جَمَاعَةِ إِبِيْكُرْسُ الْفَائِلَةِ بِانْطَوَاءِ الْأَلَهَةِ عَلَى نَفْوِهِمْ وَإِعْرَاضِهِمْ عَنِ الْاِهْتِمَامِ بِشَؤُونِ الْبَشَرِ، وَيَضِيفُ: "إِنْ أَقْنَعْتَ هَذِهِ الطَّغْمَةَ النَّاسَ بِصَحَّةِ ادْعَائِهَا، فَمَصِيرُكُمْ أَيْهَا الْأَرْبَابُ إِلَى الْعَسْرِ بَعْدِ الْيُسْرِ، إِذْ مَنْ يَشَاءُ أَنْ يَقْدِمَ لَكُمُ الْأَضَاحِيِّ إِنْ لَمْ يَرْجُّ مِنْكُمْ بَعْدَ الْيَوْمِ خَيْرًا^(٥)؟"

"هَكَذَا تَكَلَّمُ ابْنُ اخْرُونُسْ وَأَيْدِيْدُ قَوْلُهُ بِنَقْطَبِيْبٍ مِنْ سُودِ حَوْاجِهِ^(٦)".

هَذَا رَأِيُّ كَاتِبِنَا بِالْفَلْسَفَةِ وَالْفَلَاسِفَةِ، وَهُوَ يَمِيلُ خَصْوَصًا إِلَى مَذَهَبِ إِبِيْكُرْسُ وَإِنْ خَالِفُهُ بِشَأنِ وَجُودِ الْأَلَهَةِ. فَإِنْ تَبَيَّنَتِ الْأَرَاءُ وَتَتَوَافَّتِ إِلَى هَذَا الْحَدِّ،

(٥) الرَّحْلَةُ الْفَضَائِلِيَّةُ ٢٩ وَمَا يَلِي.

(٦) الْإِلْيَازَةُ ١: ٥٢٨.

فالأفضل في نظره أن يرکن المرء إلى رأي الطعام وأن يعيش عيشهم: إن خير حياة وأحكامها هي حياة الراعع والجهال. فاعدل إذن عن جنون المباحث العویصة المتعلقة بالظاهرات الفلكية، وعن استقصاء المبادئ والغايات. ازدرِ القياسات والأدلة العقلية العالمية، وعدّ كل ذلك هذرا وهذيانا. ولا تعول في كل شيء إلا على أمر واحد وهو استعمال الحاضر. مرّ ضاحكاً تجاه الباقي ولا تتعلق بشيء". هذه مشورة مينبس إثر عودته من الجحيم، وقد جذبه العراف ترسيس من طرف جبته وانتهى به جانباً وأسدى إليه بهذا النصح^(٧).

وما هو رأيه في الآلهة والأبطال وأنصار الآلهة والإلهات. إنه ناقم على هؤلاء جميعاً نقامة عارمة، تبدو تارة تتكيناً ظريفاً كله مرح ودعابة، وتارة استهتاراً سافراً وتجرحاً مستخفاً وثورة واستتكاراً. فهو يأخذ على تلك الآلهة مخازيها وفحشها ثم قسوتها وشرّتها، وأكثر من ذلك تقافتها ولا مبالغتها. ويعود إلى هذا القدر والتغيير والاستهتار والاستكثار في أكثر من مؤلف، ولا رادع في زمانه ولا وازع، وقد غدت الوثنية مهلهلة واهية متداعية. قضت عليها المذاهب الفلسفية ودكت دعائهما مفاسد الأخلاق وحيرة الأفكار والقلوب، إذ نضجت عقول الجماهير وتعطشت أفئتها إلى تعليم أعلى وأسمى وإلى أهداف أرقى وأنقى.

فهل كان كاتبنا دهرياً ملحداً؟ لا يبدو ذلك جلياً واضحاً من خلال مؤلفاته. ولكن ما حير عقله ولبه هو في زعمه قسوة القدر المهيمن على كل شيء، على البشر وعلى الآلهة، وتفشّي الشرور والمحن، لا يدفعها إله عن بريء ولا ينزلها بآثم أو مسيء. هذا ما حداه إلى رذل مثل تلك الآلهة وإلى نبذ معتقدات نقر كل تلك التناقضات.

فهو في حوار "زفس المُسْكَه" يحّج رب الأرباب ويقطع عليه مذاهبه، ويكرهه على الاعتراف بعجزه والإقرار بأن سيد الكون هو القدر الغاشم

(٧) مينبس أو عرافة الموتى ٢١

المهيمين على مصائر الجميع بواسطة ربات الأقدار والمصائر الالئي يغزلن لكل إنسان، لا بل لكل إله أحداث حياته وعواقب آخرته أو وفاته^(٨).

وفي حوار "زفس المهرّج يظهر لنا سيد السماء والأرض بمظاهر زري، يستدعي محفل الأرباب وهو خائف وجُلٌّ، لا يدرى بما يخاطب به الآلة، وقد بدت في محياه علائم الرعشة والحيرة والذهول واصطكَ حنكاه وصرت أسنانه وتلعثم لسانه لأن تمسكيس الفيلسوف الرواقي قد وهن أمام خصمه نميس الفيلسوف الابيكري. وقد هاجم هذا الآلة وعنایتهم بالبشر وسهرهم على مسیر العالم، وحاول ذاك الدفاع عنهم والذود عن عبادتهم وعن شعائر دینهم وعن اللجوء إليهم بالأضاحي والصلوات. وبعد هزيمة الأول هزيمة مخزيةً وانتصار الثاني انتصاراً مشرقاً، يعزّي هرميس أباه زفس بكلمة للشاعر الهزلي مينتندرس: "لا تشعر بالسوء ما لم تعرف به". ويضيف قوله: "إذا رفض الجمهور ووافق بعضهم على زعم نميس -المتكّر لوجودنا وعنایتنا بالكون وشعائر دیننا- فهل يشكل ذلك بلاءً كبيراً؟ إن الأغلبية الساحقة تعتقد العكس. ويؤلّف هذه الأكثريّة لا طغام الشعوب اليونانية فحسب، بل كل الأمم البربرية أيضاً".

فيجيبه زفس في مرارة العلم: "صحيح يا هرميس... بيد أنني كنت أفضل أكثر بكثير أن أحرز نميس وحده كنصيرٍ وموالٍ، على أن أحرز عشرة آلاف مدينة كمدينة بابل".

لقد انتقد لكتابوس الفلسفة والدين عند اليونان. ولكن نقاده كان نقاداً هداماً، كلّه سلبيّ ما خلا الناحية الأخلاقية منه. وهو على كل حال بعيد كل البعد عن حصافة الفلسفه الحقيقيين الذي يتوجه عليهم، ولاسيما سocrates وأفلاطون وأرسطو، وعن رجاحة رأيهم وعن أسلوبهم العلمي النزيه السامي.

(٨) زفس المسفه.

١ - الخاتمة

هذا نموذج من تذكر الأدباء اليونان في تلك الحقبة للأسطورة اليونانية وسخف معتقداتها وهدر شعرائها الأوّلين، وما طال بها الزمان بعد ذلك حتى أضحت أثراً بعد عين من جهة الإيمان باللهاتها والتمسّك بشعائرها وفرائضها. وما عَتَّمت أن تضاءلت ودرست وعفت أمام المسيحية الصاعدة، إلى أن غدت مهبطاً لوحِي الشعراً والأدباء في عصر النهضة الغربية وفي الأجيال الحديثة ولما كانت تعبرأ رائعاً في شتى مجاليها عن عواطف الإنسانية ونزاعاتها وميلوها ليثبت مُنْتَجِعاً شجياً ساحراً ما انقطع الغرب عن ارتياه في كل فورة من فورات فكره وكل حقبة من أحقاب أدبه.

هذا ما أحيبنا إثباته عن مصدر الأسطورة عندهم وعن تطور معتقداتهم بشأنها. ولا غرو أن قدامى اليونان، في طور بدواوتهم وجاهليتهم، عاشوا في جوّ رائق خلاب، وفي ربع فاتنة طليقة بهية؛ تشبه أبهى ما في بلادنا من فتنـة وروعـة وجـمال. ولذا نرى فنـهم من أروع وأبدع الفـنـون، في كل عـصـر، وأدبـهم من أرقـى وأسمـى الـآدـابـ.

وقد قال أرسطو: "إن العامل يعمل على شبهه ومثاله". وذاك الشعب في تعشّقـهـ الفـنـ والـجمـالـ، أضـفـىـ علىـ آلهـتـهـ منـ سـحرـ فـنـهـ سـحـراًـ شـجـياًـ، وـمـنـ سـمـوـ أـدـبـهـ سـمـوـ رـائـعاـ بـهـيـاـ.ـ ومعـ آنـهـ آلـهـتـهـ ضـعـفـهـ البـشـريـ،ـ فقدـ وـشـحـهـاـ أـيـضاـ بـأـسـمـىـ العـواـطـفـ إـلـىـ العـفـفـ وـالـطـهـارـةـ،ـ وـالـتـعـلـقـ بـقـدـاسـةـ الـأـسـرـةـ،ـ وـتـقـدـيرـ الـعـلـمـ وـإـلـاءـ شـأنـهـ وـطـمـوـحـ المـرـءـ إـلـىـ الـحـيـاـةـ وـإـلـىـ الـهـنـاءـ وـالـخـلـودـ.ـ وـالـبـشـرـ يـقـولـ الفـيلـيـسـوـفـ كـمـاـ يـسـوـونـ مـنـ بـابـ المـمـاثـلـةـ بـيـنـ صـورـهـمـ وـصـورـ الـآـلـهـةـ،ـ يـسـوـونـ كـذـلـكـ بـيـنـ عـيـشـهـمـ وـعـيـشـ الـآـلـهـةـ^(١).ـ وـيـضـيـفـ فـيـلـيـسـوـفـ آـخـرـ "ـلـوـ كـانـتـ الـخـيـلـ عـاقـلـةـ لـتـمـثـلـ الـآـلـهـةـ بـهـيـةـ الـخـيـلــ".ـ

(١) كتاب السياسيات لأرسطو : ١ : ٣ - ١٠ .

والعقل البدائي إذ يخبر الطبيعة يميز من عناصرها شطرين، شطر المعلوم الخاضع لحواسه وأداته وأدواته البدائية، وشطر المجهول وهو الأعظم والأضخم والأوسع. وهذا الشطر لا يطاله ولا يستطيع تكييفه بوسائله الضعيفة الأولية أو بمداركه العلمية والروحية. وعالم المجهول هذا هو عالم الرهبة وعالم التحسب والحذر والرغبة.

ولذا يحاول المرء أن يضفي عليه من إنسانيته ومن ميوله وعواطفه. وإن يستحيل على ذلك المرء أن يعمل في ذلك العالم بقوته، فيحاول أن يجرده من رهبته، ويحلله إلى عالم أنس واستثناس، وإلى عالم ثقة يعيش فيه بدعة وهناك أو على الأقل براحة وبلا وحشة أو عناء. وهذا ما حاوله شعراء اليونان وأدباؤهم الأوائل.

وبعد أن يجرد الإنسان ولو بالفکر عالم المجهول من وحشته ورهبته يتمثل فيه شيئاً من الوعي والمعرفة والنية الصالحة. فلا يكفي بتجريده من الرهبة ولكن يندفع إليه بعامل الرغبة، ويأمل أن يكون له مصدر خير وإحسان وبركة. فيشخص عناصر الطبيعة ويؤتيها مع الحياة الفهم والإدراك والمعرفة، ويولّه الجماد ويسجد له ويعبده. وبدل أن يسمو فوق المادة ليرى بارئها ومنظمّها ومبدعها، يتّيه في عالم المادة بعامل الرهبة التي حاول أن يقصيه عنها. وهكذا يستعيد للخلق بدل أن يعبد الخالق ويدع الهواجس والأوهام تسيطر عليه، ويستحق لوم الوحي^(٢).

• "إن جميع الذين لم يعرفوا الله هم حمقى من طبعهم، ولم يقدروا أن يعلموا الكائن من الخيرات المنظورة. ولم يتأمّلوا المصنوعات حتى يعرفوا صانعها.

(٢) العهد القديم: سفر الحكمَة١٣: ١ - ١٠ ثم ١٤: ١٢ - ١٤. ثم العهد الجديد رسالة القديس بولس إلى أهل روما١: ١٨ - ٢٦.

- لكنهم حسروا النار أو الريح أو الهواء اللطيف أو مدار النجوم أو لجة المياه أو نير السماء آلهة تسود العالم.
- فإن كانوا إنما اعتقدوا هذه آلهة لأنهم خلوا بجمالها، فليتعرفوا كم ربها أحسن منها إذ الذي خلقها هو مبدأ كل جمال.
- أو لأنهم دهشوا من قوتها و فعلها، فليتقهموا بها كم من منشئها أقوى منها.
- فإنه بعظام جمال المبروعات يُبصَرُ فاطرها على طريق المقايسة.
- غير أن لهؤلاء وجهاً من العذر لعلهم ضلوا في طلبهم الله ورغبتهم في وجوده.
- إذ هم يبحثون عنه متربدين بين مصنوعاته، فيغيرهم منظرها لأن المنظورات ذات جمال.
- مع ذلك ليس لهم من مغفرة.
- لأنهم إن كانوا قد بلغوا من العلم أن استطاعوا إدراك كنه الدهر، فكيف لم يكونوا أسرع إدراكاً لرب الدهر... واحتراز الأصنام هو من أصل الفسق ووجودها فساد الحياة.
- وهي لم تكن في البدء وليست تدوم إلى الأبد.
- لأنها إنما دخلت العالم بحب الناس للجد الفارغ ولذلك عُزم على إلغائها عن قريب... إذ غضب الله يعتن من السماء على كل كفر ولم للناس الذين يعوقون الحق بالظلم.
- لأن ما قد يعرف عن الله واضح لهم، إذ أن الله قد أوضحه لهم.
- فإن صفاته غير المنظورة، ولا سيما قدرته الأزلية وألوحته، تبصر منذ خلق العالم، مدركه بمبروعاته. فهم إذ بلا عذر.
- إذ إنهم مع معرفتهم لله لم يمجّدوه كإله ولم يشكروه. بل سفهوا في أفكارهم. وأظلمت قلوبهم الغبية.

- رَعَمُوا أَنَّهُمْ حُكَمَاءٌ فَصَارُوا حَمْقِيًّا .
وَاسْتَبَدُلُوا مَجْدَ اللَّهِ الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ الْبَلَى ، بِشَبَهِ صُورَةِ إِنْسَانٍ يَبْلِي ،
وَدَبَابَاتٍ وَزَحَافَاتٍ .
فَلَذِكَّ أَسْلَمُوهُمُ اللَّهَ فِي شَهْوَاتِ قُلُوبِهِمْ إِلَى النُّجَاسَةِ لِفَضْيَحَةِ أَجْسَادِهِمْ
فِي ذُوَانِهِمْ .
لَأُنَّهُمْ اسْتَبَدُلُوا حَقِيقَةَ اللَّهِ بِالْبَاطِلِ ، وَاتَّقُوا الْمُخْلُوقَ وَعَبْدُوهُ دُونَ
الْخَالِقِ الَّذِي هُوَ مَبْارَكٌ إِلَى الدَّهْرِ " .

ولقد ظهر لنا بجلاء أن بين مفكري ذلك الشعب، وبين فلاسفته من عرف وحدانية الله، وزنّهه عن خلائقه وعن كل مادة. وجعله روحًا محضة، وقدرة شاملة وعنية فائقة، بعيدة عن غير الزمن وصروف الدهور، قريبة إلى الإنسان رؤوفة به، قوة ثابتة غير متحولة، أزلية سرمدية، كاملة الصفات كاملة السعادة. ومن هؤلاء أنكُسْغُورَس وأنكُسْمِينِس وأفلاطون وارسطو. وقد رأينا أن هذا العبقرى الفريد يعتقد أن الله سعيد في ذاته لا في سواه. وأن قدرته تشمل الكون وأن عمله داخلي وأن الذات الإلهية تحق خدمتها قبل أي خدمة وقبل أي مهمة في الدول^(٣).

وقد تخيننا في بسط سير الآلهة، أسلوباً روائياً سهلاً، لأن تلك السير من نسج مخيّلة الأدباء والشعراء. فحاولنا أن نتعقب خطاهم وحرصنا أن تكون أمينين في عرض ما رأوا وما اعتقدوا حفاظاً على تراثهم ومن باب الأمانة التاريخية. ونأمل بعملنا هذا أن نخدم وطننا وأمتنا، والله الموفق إلى كل هدٍ وخبر.

المؤلف

الأب فؤاد بربارة

(٣) راجع كتاب السياسيات ٧: ١: ٥ - ٧: ٣: ٦ ح ١٦ . - ٧: ٤: ٦ - حريصا طبعة ١٩٥٧.

- oΛ -

البَابُ الْأَوَّلُ

مبادئ الكون

الباب الأول

الفصل الأول : ظهور العالم ومولد الآلهة الأولين

الفصل الثاني : سلالة أرنوس أو أبناء السماء

الفصل الثالث: سلالة أخرونوس أو أبناء الزمان -

١ - عند التيطان

٢ - مولد زفس وحداته

٣ - صراع الآلهة في سبيل الملائكة

١ - تطاحن التيطان والعماليق

٢ - حرب العماليق أبناء الأرض

٣ - زفس والإعصار تيفن

الفصل الرابع: مهد البشرية

الفصل الأول

ظهور العالم ومولد الآلهة الأولين

١ - "كان الخواء قبل كل شيء، ثم بدت غيّاً الأرض الرحيبة الصدر المترامية الأطراف... وأخيراً ظهر إرُس الحب الذي يذبل النفس ويسسيطر في قلوب الآلهة والبشر طرّاً على العقل والإرادة النبوية.

وولد الخواء إِيرِفُس، مربض الديجور المدلمم^(١)، وولد دجنة الليل الحالك.

٢ - ودجنة الليل الظماء أَنجبت الأثير والنهاز من اتحادها بـإِيرِفُس. ثم ولدت دونما زواج مُؤْرُس القدر المحظوم، وكِبْر البلاء المشؤوم وثأْنَس الموت الزعاف^(٢). وحملت من جديد وخلفت النعاس وموكب الأحلام والهزء القبيح والآلين والعويل والخطب الجليل. وولدت أيضاً هِسِيرِيدَه، أي المغريّات اللواتي يسهرن على تقاح الذهب في ما وراء المحيط، وعلى الأشجار الظللية الوارفة التي تحملها.

وعادت فولدت المصائر الثلاث^(٢) اكْلُوثُو ولاخِسْ وآتِرِبُس، اللائي يقسّمن لكل إنسان منذ مولده، الهباء والشقاء، السراء والضراء.

وولدت أيضاً إِيكِيرِس إِلهات الموت والبلي، تلك الإلهات القاسيات اللائي يلاحقن أخطاء الآلهة والبشر بلا هوادة، ولا يكفن عنهم حتى ينالوا عقابهم الشديد.

١ - (١) الإِيرِفُس عَنْهُمْ مَكَانٌ تَحْتَ الْأَرْضِ يَكْتَفِيهِ الْدِيجُورُ وَيَقْعُدُ فَوْقَ الْجَحِيمِ.

٢ - (١) البدل العربي يؤدي معنى الأوضاع الأعمجية عادة.

(٢) وهي التي تسمى أميره Les parques لأنها لا تعفو عن أحد.

وولدت أخيراً غي نيميس قسمة الحق والإنصاف، وباء البشر القتال^(٣).
وبعدها الغبن والرفث والهرم والنزاع الصاخب.

والنزاع البغيض ولد بدوره العناء الأليم، والنسيان والجوع، والآلام
مسيلة الدموع، والحروب والمعارك والمذابح والملامح، والخصومات والنفاق
والمشاجرات والبلابل ولزيماتها الكوارث، والقسم أكبر أرzaء البشر إن حتى
أحدهم بيمنيه.

٣ - أما الأرض فقد وضعت ابننا لا ينقصها عظمة وجلا، وهو أرنوس
جلد السماء الزاهرة، ليكتفها كلها، ويلبث للآلهة المغبوطين مقرأً وطيداً
راسخاً.

ثم ولدت الجبال الشامخة، مراتع الإلهات عرائس^(١) الوديان والينابيع
والغدران. وأنجبت دون ارتياح الحب، بُنطُس أيضاً، البحر العقيم يزخر
بأنماجه العاتية.

٤ - والبحر بُنطُس، من افترائه بأمه الأرض غيئاً، ولد نِرْفُسَ الصديقَ
بكر أولاده. ولُقب هذا بالشيخ لأنَّه صادق رفيق، لا ينسى الإنصاف والرحمة
ويتمسك بسنة العدل وهو دائم الحركة دائم التقلب، كأنسياب الأمواج.
وعاد البحر فأنجب ثقماً العجب العجاب وفركيس الشجاع وكبتُو
الوسيمة وإفريقيا الشهمة الباسلة.

٥ - وخطب نِرْفُسُ وَدَ دُرِيُسُ ابنة المحيط أكيнос، فأنجبت له خمسين
فتاة دُعين نِرِيَّة وهن إلهات البحار: أشهرهن مفتربي وثيت وغليري
واغلافكي.

(٣) دعا هسينس قسمة الحق والإنصاف وباء البشر لأن من قصر عنهما إثم ومن تجاوزهما إثم وجلب النكمة على نفسه، ولزومهما في كل حال هو غالية الكمال.

(١) عربنا بكلمة عرائس كلمة (نمfe) المشتركة التي تطلق عندهم على إلهات الوديان والغدران.

واقترب العَجَبُ ثقمانٌ بِالْكُتْرَا إِحْدَى بَنَاتِ الْمَحِيطِ السَّاحِقِ الْغَورِ،
فَوَلَدَتْ لَهُ إِرِيسُ الْزَّاهِيَّةَ بِالْأَوَانِ فَانْتَهَى، أَوَانِ قَوْسٍ قَرْحٌ: كَمَا وَلَدَتْ لَهُ إِيْهَارُبِّيهِ
الْإِلَهَاتِ الْخَاطِفَاتِ، ذَوَاتِ الشِّعْرِ الْجَمِيلِ السَّابِحَاتِ فِي الْفَضَاءِ، يَجَارِينَ النَّسِيمِ
وَيَتَعَقَّبْنَ النَّسُورَ.

٦ - وَوَضَعَتْ كِتُو لِفُرْكِيسُ الْعَجَائِزِ ذَوَاتِ الْوَجْهِ الصَّبُوحِ، الْلَّوَاتِي وُلَدَنَ
وَالشَّيْبُ يَكُلُّ شَعْرَ رَؤُوسِهِنَّ، وَأَنْجَبَتْ لَهُ أَيْضًا الْغُرْغُونِسُ اسْتِنِو وَإِفْرِيَالِي
وَمِذْوَسًا، السَّاكِنَاتُ وَرَاءَ الْمَحِيطِ فِي بَلَادِ الْهِسْبِرِيَّةِ^(١).

٦ - (١) رِهْسِيَّدُسُ: مُولَدُ الإِلَهَةِ ١١٦ - ٢٨٥. وَقَدْ أَتَيْنَا عَلَى ذِكْرِ أُولَئِكَ جَمِيعًا مِنْ آلهَةِ
الْإِلَهَاتِ لِكَيْ نَعْرِفَ أَصْلَهُمْ عِنْدَمَا يَعُودُ ذِكْرُهُمْ فِي سِيَاقِ الْحَدِيثِ عَنِ الْأَسْطُورَةِ
الْإِلَهِيَّةِ عِنْدَهُمْ.

الفصل الثاني

سلالة أرْنُوس أو أبناء السماء

١ - اقترنت الأرض غِيَّباً بابنها أرْنُوس، فأعقبا نسل التيطان، وهم اثنا عشر، من الذكور ستة هم أكِينُوس^(١) وكِيس وَاكْرِيس وهِيرِين^(٢) وبيتوس وأخْرُونُس^(٣)، ومن الإناث ست هن ثِيَا الإلهية وريئا وامْتِسِيني الذاكرة وفي المتألقة وتِئِيس وثِيمِس إِلهة الحق والعدل.

٢ - وأنجبا بعد التيطان أمة العمالة الكِيكُلِيس: افْرُنْتِيس الهدار كالرعد واستِرِبِيس الساطع كالبرق، وأرْغِيس^(١) المنقض كالصاعقة. وهؤلاء يُشبهون الآلهة الآخرين في كل شيء ما خلا عينِهم المفردة في وسط جيبيهم.

٣ - وأخيراً ولد للأرض وابنها أرْنُوس أولاد هائلون، لا يعرف الكون لهم من مثيل: كُوتُس المحتال وافريارِيس الجبار وغيُس الفلاح. وقد أطلق عليهم اسم هِكتُونْخِري العمالقة أصحاب "المئة يد" إذ قد انطلقت من أكتافهم العريضة مئة ساعد أو ذراع شديدة، وasherأبَت فوق أعناق كل منهم خمسون

١ - (١) هو النهر المحيط.

(٢) هو أبو الشمس أو الشمس بالذات.

(٣) هو الوقت أو الزمن. وهؤلاء الثلاثة هم البارزون في الأسطورة. بينما الإناث الست لهن مركزهن المرموق كما سنرى.

٢ - (١) أولئك العمالقة الثلاثة كما تشير إليه أسماؤهم اليونانية يمثلون من قوى الطبيعة الرعد والبرق والصاعقة.

رأساً مخيفة، ومظهرهم الضخم كان ينْمَّ عن قدرة لا تُقْهَر. وكانوا أقوى وأشرس أبناء أرْنُوس.

ولذا أبغضهم أبوهم منذ مولدهم، وحشرهم في أحشاء الأرض أمّهم قبل أن يصعدوا إلى النور. وارتاح لصنيعه هذا. وأما غيئاً قرينته فقد اشمارّت من فعلته التكراء، وتملّلت من الضيق المحيق بها، وغضبت ثم ثارَ تأثيرها، فأضمرت الشر لبعضها أرْنُوس، ومضت تحيك له مؤامرة شنيعة، تنتقم بها منه وتؤمن شره إلى مدى الأحقاب.

٥ - فاستمدّت من جوفها الحديد الصلب، وصنعت لنفسها منجلاً كبرى، وعرضت قصدها على بنيها. ولكي تنهض عزائمهم خاطبتهم بعنف وقلّبها جائش بالغضب: "هيا بني الأباء، يا من ولدتهم لأب معتوه، إن شئتم أن تذعنوا لقولي، فلسوف نثار لذواتنا مما أحق بنا من مذلة. وهو مع أنه أبوكم فقد بادكم بعمل لا يليق".

٦ - قالت. فذعوا جميعهم، ولم ينليس أحد ببنت شفة. غير أن آخرُونُس ذا الجلال وصاحب الدهاء والاحتيال تشجع وأجاب أمّه غيئاً الكريمة: "يا أماه أنا أتولى هذا الأمر الخطير، وأخذ إنجازه على عاتقي، غير آبهٍ لوالد بغرضٍ لأنه على كونه أبانا، فقد بادأنا بعمل لا يليق".

٧ - قال. وغمر الفرح قلب الأرض الضخمة الفسيحة الصدر، فخفّأت ابنها في مكمن، ودفعت المنجل المسننة إلى يديه، وأطلعته على تفاصيل الدسيسة. وعندئذ أقبل أرْنُوس يجرّ أذيال الليل. فعانق الأرض بشغفٍ، وتمدد فوقها من كل جانب. فنهض أخرونَس من كمينه ومدّ يده الطويلة، وتناول المنجل المحددة الأسنان بيمّناه، وبتر أباه أرْنُوس ورمى بعضوه إلى الوراء فسال الدم نجيعاً، وتلطّخت الأرض بقطراته، فدار الزمان دورته، وحملت الأرض وولدت من تلك الدماء القائمة الإلهات التأثيرات، إلهات السخط

والانتقام^(١). والعمالقة الأشداء حملة الرماح الفتاكـة^(٢) ، وعـرائـس الـوديـان والـجـنـان فوقـ البـطـاح الشـاسـعة.

٨ - ولما بـتـرـ أـخـرونـسـ أـبـاهـ، وـرمـىـ بـعـضـوهـ إـلـىـ الـبـحـرـ، طـفـاـ عـلـىـ سـطـحـ المـيـاهـ، وـراـحـ المـوـجـ يـتـقـادـفـهـ، وـأـرـغـىـ حـولـهـ وـأـزـبـدـ، فـانـبـرـتـ مـنـ ذـلـكـ الزـبـدـ الأـبـيـضـ، إـلـهـةـ فـتـيـةـ فـاتـتـةـ، تـتـلـقـ بـهـاءـ وـرـونـقاـ هيـ إـلـهـةـ أـفـرـذـيـتـيـ^(١). وـارـفـقـهـاـ الـحـبـ وـالـلـوـجـ مـنـذـ مـوـلـدـهـاـ، فـانـطـلـقـتـ إـلـىـ جـزـيرـةـ كـثـيرـاـ يـُدـاعـبـهـاـ زـبـدـ الـأـمـوـاجـ، وـمـنـهـاـ إـلـىـ جـزـيرـةـ قـبـرـصـ. وـانـضـمـتـ إـلـىـ رـهـطـ الـآـلـهـةـ، يـنـعـمـونـ بـصـحبـتـهـاـ الـمـؤـنـسـةـ، وـتـعـطـفـ عـنـهـمـ عـلـىـ هـذـرـ الـكـوـاعـبـ، وـتـرـتـاحـ لـبـسـمـةـ الشـابـ، وـنـشـوـةـ الـحـبـ وـأـنـّـاتـ الـحـنـينـ وـآـهـاتـ الـفـرـاقـ وـالـوـصـالـ.

٧ - (١) المعروفات عنـهـمـ بـلـقـبـ إـرـنـيـسـ، وـيـشـرـنـ إـلـىـ وـهـزـ الضـمـيرـ الطـالـبـ الـكـفـارـةـ أوـ الـانـقـامـ.

(٢) وـهـمـ غـيـرـ السـابـقـيـنـ أـبـنـاءـ الـأـرـضـ وـالـسـمـاءـ.

٨ - (١) وـاسـمـهـاـ يـعـنيـ المـحـفوـفةـ بـالـزـبـدـ، وـهـيـ الـزـهـرـةـ إـلـهـةـ الـجـمـالـ وـالـنـقـاءـ سـابـقـاـ.

الفصل الثاني

سلالة اخْرُوئُس أو أبناء الزمان

١- عهد التيطان

١ - ولما جُدِعَ ارنوس وناله العجز من ذلك، تسلّط مكانه ابنه اخْرُوئُس، وأطلق التيطان أخوتَه إلى النور. ولم يحرر أخوتَه الآخرين، العملاقة ذوي العين الواحدة، ولا أصحاب الخمسين رأساً والمئة يدٍ، الكِيْكِلِيس والهِكْتُونْخِري.

٢ - واقترن التيطان بأخوتَهم، فأنجبوا منها نبنين وبنات. واتّخذ أكْنُوس امرأةً أختَه تِيشِيس. فولدت له ثلاثة آلاف ابنٍ هم الأنهر الزاهية الصفاف الظليل الأرياف، وثلاثة آلاف بنتٍ هنّ عرائس الغدران والينابيع^(١). ولم يكُفَّ المحيط النهر الكامل بكل أولئك المواليد، بل أنجب أيضاً مِيسَ المزدانة بالفهم والحكمة والدهاء، وتِيخِي الحظ المعروض بالعماء واستيكس نهر الجحيم وديار العفاء، الذي يحلف به الآلهة ويقسمون أيمانهم المغلظة. واقترنَت استيكس نهر الجحيم، بِيلاس بن عمّها اكرُبُس.

٣ - ووُلد لهِيرِين من أخته الإلهية افْرِفيَا هِيلِبُس الإله الشمس، وسِلِينِي القمر، وإِسَ السحر. وخَلَفَ كِبُس وفِيفِي لِتو وأسْتِيرِيا. وأنجب

٢ - (١) فعرائس الوديان والجنان هن بنات الأرض وأرنوس المجدوع، وعرائس الغدران والينابيع هن بنات المحيط وأخته تِيشِيس. ومن جملتهن آسيا الرزينة وافروبا البهية وكلبسو الفاتنة.

اكرِيس من أخته افْرِيَا أَسْتِرِيُّسْ وبَلَسْ وَبِرِيسْ. وَوْلَد لِيَتْوُسْ مِنْ اكْلِمِينِي ابْنَةُ الْمَحِيطُ - وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ - مِنْ أَسِيَا أَطْلَاسْ وَمِنِيَّسْ وَإِبْرِيَّسْ وَإِبْرِيَّسْ.

٤ - أَمَا اخْرُونُسْ فَقَدْ اتَّخَذَ خَلِيلَةً لِهِ أَخْتَهُ رِيَّا فَأَنْجَبَتْ لَهُ ثَلَاثَ بَنَاتٍ هُنْ هِسْتِيَا وَذِمِيَّتْرْ وَهِيرَا، وَثَلَاثَةُ أَبْنَاءُ أَعْزَاءُ هُمْ آذِنْ وَبُسِدُونْ وَزِفْسْ. وَتَنَازَلَ لِهِ أَخْوَانُهُ التِّيَطَانُ عَنِ السِّيَادَةِ، عَلَى أَنْ لَا يَعْقِبَ نَسْلًا. وَقَدْ تَدَخَّلَتْ أَمْمَهُمْ غِيَّا فِي النَّزَاعِ، وَفَضَّلَتْ عَلَى ذَلِكَ الْوَجْهِ. وَكَانَ اخْرُونُسْ قَدْ سَمِعَ أَيْضًا أَنَّ أَحَدَ أَبْنَائِهِ، إِنَّ أَفَاقَ هُوَ ذَرِيَّةُ لِنَفْسِهِ، سِبِسْتُولِي عَلَى الْعَالَمِ وَيَخْلُعُهُ عَنِ الْعَرْشِ، فَعَكَسَ فَعْلَهُ أَبِيهِ أَرْنُوسْ، وَأَخْذَ يَبْتَلِعُ كُلَّ أَوْلَادِهِ، وَيُوَارِيَهُمْ فِي أَحْشَائِهِ.

٢ - مَوْلَدُ زِفْسِ وَحْدَاثَتِهِ

١ - فَشَقَّ الْأَمْرُ جَدًا عَلَى قَرِينِتِهِ رِيَّا. وَتَمَنَّتْ لَوْ بَقِيتْ عَقِيمَةً، وَلَا أَنْ تَقْدُ أَبْنَاءَهَا بَعْدَ مَوْلَدِهِمْ، عَلَى تِلَاقِ الصُّورَةِ الْمُفْجَعَةِ. وَصَعُبَ عَلَيْهَا خَصْوَصًا أَنْ تُحْرَمَ مِنْ ثَمَارِ أَحْشَائِهِ، وَأَنْ يَكُونَ وَالَّدُهُمْ هُوَ الَّذِي يَجْنِي عَلَيْهِمْ بِضَرَواةِ مَا بَعْدَهَا ضَرَواةً. وَقَدْ ازْدَرَدَ هَكُذا هِسْتِيَا وَذِمِيَّتْرْ وَهِيرَا وَآذِنْ وَبُسِدُونْ.

٢ - فَعَمِدَتْ إِلَى أَبِيهِ أَرْنُوسْ وَوَالِدَتِهِ الرَّؤُومِ غِيَّا وَهِيَ حَامِلَ بَابِنَاهَا زِفْسَ، وَتَنَسَّتْ مِنْهُمَا الْعُوْنَ لِتُحْمِي جَنِينَهَا عِنْدَ وَلَادَتِهِ فَنَصَحاَ لَهَا أَنْ تَقْصِدَ جَزِيرَةَ كَرِيَّتْ وَتَلَدْ أَبْنَاهَا فِي مَغَارَةِ عَمِيقَةٍ، تَحْتَ جَبَلِ اغِيَّسِ وَفِي ظَلَالِ غَابَاتِهِ الْكَثِيفَةِ. فَصَارَتْ إِلَى هَنَاكَ وَوَضَعَتْ أَبْنَاهَا الْمُحْبُوبَ زِفْسَ، فَتَقْبَلَتْهُ جَدَّتِهِ غِيَّا وَعَهِدَتْ بِتَرْبِيَّتِهِ إِلَى اثْنَتَيْنِ مِنْ عَرَائِسِ الْوَدِيَّانِ: أَذْرَسْتِيَا وَإِيَّا.

٣ - أَمَا رِيَّا فَقَدْ أَخْذَتْ صَخْرَةً ضَخْمَةً، وَلَفَّتْهَا بِلَفَائِفِ وَقَمَطِ، وَلَكِي تَخْفِي عَلَى بَعْلَهَا أَمْرَ فَلَذَةِ كَبَدَهَا، قَدَّمَتْهَا لَهُ بَاكِيَّةً، عَلَى أَنَّهَا الْمُولُودَ الْجَدِيدَ،

كي يزدرده على عادته. فتناول اخرون الصخرة الصلدة، وابتلعها في شره ونهم، ولم يخامره ريب في ما دبر له.

٤ - ومضت أذرستي وإيذا بزفس الإله الرضيع، إلى جبل من جبال كريت، وأوزعتا إلى كهنة غينا^(١) بالرقص أمام الإله الصغير، وإثارة الجلبة والضوضاء حوله، كي يحجبوا صوت بكائه عن أبيه. وكانت العزة أملثينا^(٢) تقدم للطفل حليبيها ويأتيه نسر بالعنبر عطر الآلهة وأكلهم، وسرب من الحمام بالنكتار، مشروب الآلهة في مأدبهم.

٥ - فنشأ زفس وترعرع، ونجا من شراسة أبيه ومن غير الزمان وصروفه. ولما كبر وتشدد، أراد أن يعيد إخوته إلى النور ويأخذ الملك من أبيه، ويجزيه جراء أعماله، ويعاقبه بشنيع فعاله. فاستوحى ابنة عمّه المحيط مينس ذات الفهم والدهاء، فقدمت لاخرونوس مقيتاً، فقاء الصخرة التي ازدردها، ولفظ الآلهة أبناءه وأعادهم إلى الضياء والنور. فشدوا إزر أخيهم زفس، فدحر بقوته الهائلة أبوه zaman الطاغية، وطرده من أعلى السماء، وأغلق عليه في أساسات الكون، في المتأهات المنبسطة عند أطراف أقصاص الأرض وقعر البحر القاحلة. ولما استتب له الأمر، عاد ونفى أبوه zaman إلى أبعد بقاع الكون، حيث ينعم بغبطه السعداء يغمره هنالك سبات هنيء. وهذا تمت بحقه نبوءة القدر المشؤوم.

٦ - وعنده أعتقد أعمامه السماويين، العملاقة الأقوباء والجبابرة الأشداء، فأهدوه اعترافاً بفضله هدية سنية فائقة، الصاعقة المحرقة والرعد المزممة والبروق اللامعة. فسيطر بها على الكون.

٤ - (١) كانوا يعرفون عندهم باسم كريتس وكرينتس وذاكتلي.

(٢) وقد كافأها زفس عندما استولى على الكون. وجعلها برجاً من أبراج السماء مع جديبيها الصغيرين. وأعطى أحد قرنيها لحاضنته أذرستي وإيذا، فغدا لها قرن إخلاص يفيض لهما كل خير تشتهيه نفاسهما.

٣- صراع الآلهة في سبيل الملك

١- تطاحن التيطان والعماليق

١- عزّ على التيطان أن يروا أبناء أخيهم اخرونُس يملكون مكان أبيهم ويستأثرون بالعرش لنفوسهم. مع أن المعايدة بينهم وبين أخيهم اخرونُس قضت بأن لا يعقب نسلاً، وبأن لا يرث الملك من بعده وارث.وها هو ذا قد أنجب ذرية، وقد زُرْجَح عن عرشه واستولى أبناؤه على الكون. فثار ثائرهم وتادوا لل伊拉克، ما خلا أكينُوس.

٢- وتحصّنوا على جبل اثريّس، ومنه شنّوا على أولمبيس مقرّ الآلهة الجدد، حملات وغارات شعواء. فلم ينالوا مأرباً ولا بلغوا الهدف، وبقي المرمى عزيزاً. مع أن حربهم الضروس دامت زهاء عشر سنوات، ولم تُسفر عن نتيجة حاسمة.

٣- عندئذ تدخلت الجدة الكبرى، وانحازت الأرض إلى أحفادها. وأشارت على أبناء رئا كريمتها المحبوبة المفضلة، بأن يطلقوا سراح العمالقة: الرعد والبرق والصاعقة، وأخوتهم الثلاثة الآخرين الذين أخافوا أيامهم ارنوس فحشرهم في دياجير تارتيس، مكبّلين بسلسل الأسر، يئدون ويهدرون. وبذلك غيّا لأحفادهم أن أولئك الصناديد إذا صاروا إلى النور، وناوأوا إخوانهم التيطان، غدا النصر مؤكداً وفاز الآلهة الألّميّيون بأعدائهم الأشداء.

٤- فانحدر زفس إلى تارتيس، إلى قرارات الجحيم، وسامم أعمامه العماليق ذوي العين الواحدة، الجبارية الأقوباء، وأعمامه الآخرين الأشداء أصحاب الرؤوس الخمسين القائمين على مئة قدم والمتسلحين بمئة يد، ذوي البأس والجبروت. فوجّه إليهم هذا الكلام: "اسمعوا لقولي يا أعمام، أيها الآلهة النباء، أبناء الأرض والسماء، اسمعوا ما جاش بصدرِي: منذ عهد بعيد طويل، نحن في صراع رهيب مع التيطان أبناء أرنوس. وقد هبّوا بجموعهم

علينا ينazuوننا السؤدد والسلطان. ففي هذا الاشتباك العنيف، أبدوا الآن بأسمكم الفريد، وبطش سوادكم القاهرة. اذكروا عهد المودة التي حببناكم بها، وكيف أطلقناكم إلى النور بعد ضنك أسر مرير، وبعد عذاب شديد عسير".

٥ - قال، فهربوا جميعاً إلى الوغى بنفوس عاتية وهم عالية. والتهم الفريقان في صدام هائل، أبناء اخرنوس وأبناء أرنوس. وتطايرت الصخور في الجو تصدع الرؤوس والصدور، وعجز البحر عجيجاً وضجت السماء ضجيجاً، واشتد النزال واحتدم القتال. وعلا الصراخ إلى أوج السماء. وزلزلت الأرض إلى رؤوس الجبال وانبرى زفس من أعلى أولمبيس، يرسل بروقه بلا انقطاع، ويدوي برعده يصم الأسماع، ويرشق بالصواعق قلوب الأعداء. فاندلعت النيران في الغابات وامتد لهبها إلى الهضاب وانساب منها على الوديان. فقهرت التيطان وهزموا، وأغلق عليهم في أعماق الأرض، في دياجير التارتيس الرهيب وقام العملاقة الأقوباء في قصورهم المتاخمة لثالث الأرجاء، على حراسة المهزومين من أبناء أرنوس الأشقياء. وفاز زفس بنصر مبين.

٢- حرب العمالق أبناء الأرض

١ - بعد انتصار أبناء اخرنوس على أعمامهم التيطان، صفا الجو لعميدهم أبي الآلهة والبشر زفس، فترة من الزمن طويلة انقادت له فيها مقاليد الأمور. فساس شؤون الكون بدرایة، وتمل برحيق الحياة في ديار الغبطه والهنهاء، وولد له بنون وبنات، بعضهم من إلهات، نظير اثنا وابولن، وهكاتي وهفستوس وآرس، وبعضهم من نساء فانيات، نظير نيوننسس وهرقليس^(١).

١ - (١) ستأتي في الباب الثاني والثالث على ذكر هؤلاء جميعاً وعلى تفصيل سير حياتهم وأعمالهم عند كلمنا عن آلهة السماء والأرض.

٢ - ونشأ من دماء أرنوس القائمة، بعد أن جده ولده أخرون، سلالة جباررة أشداء، وعالية عنيفين أقوياء، ذوي سحن مخيفة شناع، وجذوع أشبه بجذوع الثنائي والثعابين الرقطاء. وأولئك العماليق حملة الرماح والتروس والمذاريق والرؤوس، برزوا من الأرض بذلك الشكل المهيب والمنظر المخيف الرهيب، وأمعنا في خيلائهم وفي شرهم وخبيثهم ودهائهم. وقد تقدم فيهم برفرین والكينفس.

٣ - وقف هؤلاء جميعاً من الصراع الأول ومن نطاحن التيطان موقف الحياد، وقد صور لهم وهمهم وزينت لهم كبرياتهم أنهم قد يفوزون بأكاليل تلك المعارك الحامية، ويتدوّقون ثمارها الدانية، إذا تضعضع الفريقان وبطش الواحد بالآخر. ولكنهم لما رأوا سيطرة زفس الكاملة، وأنه قد توازع السيادة على الكون هو وإخوته وبنوه، قرروا مدة طويلة كي يعملوا في المناولة فكرهم ويستجلوا فيها حذفهم ومكرهم. ولما أنعموا النظر دفعهم البطر والأشر إلى مقارعة أبي الآلهة والبشر.

٤ - فشمروا عن سواعدهم المفتولة وهاجموا أعلى الأولمبيس مقر الآلهة أبناء أخرون. وكى ينالوا منه مرمى، كدسوا الجبال فوق الجبال، اطواود أوسا على بليون. وزعزعوا قمم الرواسخ ورؤوس الراسيات الشوامخ. وراحوا يقذفون قصور الآلهة الثابتة، بهضاب بنغي وتلال إيتا. فانبرى لهم الخالدون الأبطال، وتنادوا جميعهم للطعن والقتال، أخوان زفس وما أنجب من أنجال، ماعدا شقيقته نمير، إلهة الزرع وربة الغلال، وقد أبْت خوض غمار الحرب والنصال.

٥ - فتصدى أبلن لافيالتس، ووقع بيلرس وميماس تحت ضربات آرس الشديد البأس. وأوقعت هكاتي وهفستوس بالعملاق الجريء أكليتيس. وتعقب الإله بسدون الجبار القوي بلفيتيس، ورماه بجزيرة نسروس وأغرقه في قاع بحر بنطس.

٦ - وبعد هذا البراز العنيف، لصد الجبابرة الغضاريف، لم يحظ الآلهة الخالدون بظفرٍ إليه يخلدون وبهناوته يسعون. وذلك أن القدر قد أبأً بأن أولئك العمالقة الأشداء لا يقهرهم قاهر سوى البشر. فاستجد زفسٌ بابنه هركليس، كما استقر ابنه ذيؤنسُس.

٧ - فنازل هذا الأخير العملاق الجبار ريتُس، وانبرى هركليسُ للوحش أكينفس. لكن البطل القديم الجبار، كلما صوبَ للوحش ضربة تلقاها خصمه بدون اكتراش. وعندئذ أعلمه أثناً أن الوحش لا يُعمل فيه الطعن والقفز ما لبث في أرض موطنه. فأجهز عليه هركليس، وأخذه بين ذراعيه وحمله خارج حدود أرضه وقضى عليه بالخنق.

٨ - وهب بُرْفِرِينْ لتأثير أخيه، فأغراء رِفْس بهوى هيرا. ولمّا انقض على الإلهة رماه هركليس بسهم قتال. وحاول عبثاً بلاس وإنكلادس أن ينالا من منعة أثنا. لكن الإلهة القادر صرعت هذا وذاك بنار السماء. واتخذت الإلهة من جلد بلاس درعاً حريزة واقية، ودحرت الجبار إنكلادس وكبتته تحت جزيرة صقلية. ولذا إلى يومنا هذا، تميد تلك الجزيرة كالسکرى كلما تلوى تحتها الجبار. وعقب تلك الواقعة لُقبت أثنا باسم خصمها بلاس.

٣- زفسُ والإعصارُ تيُفُن

١ - ظفر الآلهة ظفراً أكيداً وأحرزوا انتصاراً سعيداً مجيداً. وظنوا أنهم سينعمون على الدوام بطيبة الهناء وغبطنة الصفاء، لا يعكر عيشهم كدر ولا يوجل قلوبهم حذر، إذ قد أمنوا شرّ من غدر، وارتاحوا من غائلات القدر.

٢ - غير أن جذتهم غيئاً، وما برحت تحنو عليهم وتحميهم في النائبات الجسم، تو لاها الأسى هذه المرة لا لاندحار أبنائها البررة، بل لما نالهم من شديد العقاب. ولما عصف بها اليأس أثارت على معاشر الآلهة الإعصار الرهيب تيُفُن.

٣ - وقد ولد تيقن لعنة الأيام من اقترانها بالهاوية تارترس. وبدا ذلك الهول المعروف بالحول والطول وحشاً ضارياً رهيباً، وكائناً عجيباً غريباً، ذاته مذلة هائلة وقامة شامخة طائلة. يفوق مداها قمة الجبال. ويرى الناظر فوق كاهليه مئة رأس تنين هجين، تتطلع من أشداقها السنة سوداء، دونها أسنة الرماح، وقد غشى الريش بدنه وتشابكت الثعابين حول فخذيه وتطاير الشر من عينيه.

٤ - فلما انقض ذلك الهول على مقر الآلهة، هالهم رأسه الكبير المكسو بوبر مجعد، وخلع قلوبهم منظره المخيف، فلاذوا جميعهم بالفرار وقطعوا البراري والبحار حتى بلغوا بلاد مصر.

٥ - ولكن زفس أبا الآلهة خشي العار والشنار وأبى مذلة الفرار، ولبث في حصن الأولمبوس. فهاجمه الإعصار العنيف وبهره بالشرر المتطاير من عينيه، فلم يستطع زفس أن يتناول الصواعق ليرشق بها خصمه الصنديد، فانسابت من جسم الوحش التنانين والثعابين، وطوقت رب الآلهة الرعادي، فأسره الإعصار العنيد وكبله بالسلسل والقيود، وقطع أعصاب ساعديه ورجليه، وسباه إلى غوره السحيق في متأهات كيليكيا.

٦ - غير أن ابن زفس هرميس، رسول الآلهة وعدائهم السريع، خطف من قصر أبيه الصواعق والبروق الساطعة، وجاء بها أباه زفس. وفي سكرة من سكرات تيقن وغفوة من غفواته العميقية، شدّ أعصاب أبيه وناوله صواعقه الساحقة. فصوب أعنفها إلى الإعصار وقضى على ذلك الوحش الجبار وعلى ذلك المقاتل المغوار. وأحرز إلى مدى الأدوار إكليل الغلبة والانتصار. وغدا الوحيد الغالب القهار، لا يقاوم سلطانه مناوئ ولا يجلب أحد عليه المساوى.

الفصل الرابع

مهد البشرية

١٤- أصل البشر

١- ولدت أكلميسي ابنة المحيط، للنبيطان ييتوس أربعة أولاد. ولما اشتركوا مع أبيهم في شق عصا الطاعة على الألبيين، عاقبهم زفس في عصيائهم فرمى بمنيتس في هاوية الإيرفس. وقضى على أطلس أن يدعم بكفيه قبة السماء، عند جنан المغرب في أقصى الأرض.

أما أبرمثس المتبصر في الأمور، وابرمس الغير المتقطط لها، فلم يخوضا المعركة بصورة سافرة. لا بل مال الأول إلى زفس أبي الآلهة، لما رأى كفته راجحة. وقبل هكذا في مقر الخالدين وديار السعداء المغبوطين.

٢- ولكن الضغينة كانت توغر صدره على الألبيين، لأنهم قضوا على أبناء جنسه. ولذا انحاز إلى البشر وأملاهم وأحسن إليهم. ولعل ميله هذا أعمق. مما يظن، إذ ادعت بعض التقاليد القديمة أنه هو خالق البشر ومكون جسم الجدين الأولين. فقد اتخذ من الأرض تراباً وجبل منه بدموعه طيناً وأعطاه شكل إنسان، ونفخ فيه روحًا، فدببت في خلاياه الحياة وجرت في أوصاله ومفاصله. وغدا بشراً سوياً. وعاد أبرمثس المدرك القدير وصنع له امرأة بِإِزَائِه^(١).

(١) راجع التوراة، سفر التكوين ٢: ٧.

ويقال إن أتنا لما رأى الإنسان ورأى جمال تكوينه، عرضت على أبرمتوس جولة في أرجاء السماء، ليختار ما يحلو له هدية للبشر. فصعدا معاً في جنبات الفضاء وبعد تردد طويل وقع اختياره على النار الإلهية. فاستمد جذوة من الشمس وحملها إلى البشر كهدية بهجة سنية.

٢ - عصور البشرية الأربع

١ - العصر الذهبي

١ - بيدَ أن التقليد الأصح، فضلاً عن أنه الغالب الأعم، يرد البشر والآلهة إلى أصل واحد، إلى الأرض الجدة الكبرى ووالدة الجميع. ولذا نرى البشر المعاصرين للآلهة الأوائل. فهم الذين يعطفون على زفاف، ويحوطون في كريت مولده الخفي، ويشهرون عليه في نعومة أطفاله. وتغنى بذرُّس الملهم بذلك الاعتقاد حيث أنسد:

"تحن والآلهة من أرومة واحدة، وإن مدینون بنسمة الحياة الجائلة منا في الصدور لأم وحيدة هي الأرض".

٢ - فقد كانوا معاصرين لآخرُونُس، يتمتعون في عهده، وهو عهدهم الذهبي، بكل صنف من الخير وبكل أنواع الهناء. وقد وصف لنا هسيُّنْس تلك السنين السالفة والعصور الغابرة فقال: "كون الخالدون السلالة البشرية الأولى وأضفوا عليها طبيعة النضار^(١)". ولا يعني أن أعضاء تلك السلالة وخلايا جسمها ركبت من ذهب. بل إن مزاياها وأخلاقها تسامت وصفت وازدهرت صفاء الذهب الإبريز النقي إذا فيس بغيره من المعادن.

(١) ر هسيُّنْس، الأعمال والأيام.

٣ - عاش أولئك الناس في زمن أخرونُس بن ارنوس، طيلة عهد تسلطه على الكون فكانوا يحيون حياة الآلهة، لا ينخر قلبهم هم ولا غم، ولا ينالهم عناء أو شقاء. لا تهدهم الشيخوخة ولا يخشون كر السنين. يسرحون ويمرحون على أرض طيبة. نشيطين مسوروين لأنها تؤتيمهم من خيراتها كل ما طاب ولذ، وما اشتهرت نفوسهم. لا ينتهون من وليمة حتى يصلونها بأفخر منها. لا يمسهم أذى ولا ينتابهم داء أو سوء. وبعد عمر مديد هنيء، ينتقلون إلى حياة أفضل، وما موتهم غير سبات عميق.

٤ - وبزوال عهد أخرونُس زالت معه تلك السلالة الكريمة الفاضلة السعيدة. واستحالت بعد انفراطها، وبعد أن غطتها الأرض بالزهور، إلى أرواح طيبة هي أرواح الجن الطيبين، يقيمون في الأرض يرعون الصالحين ويغدقون الغنى على الناس ما داموا لربهم طائعين. ذاك هو امتيازهم خصهم به الخالدون.

٢ - العصر الفضي

١ - بعد انفراط السلالة الذهبية، عاد الآلهة وكوتووا سلالة أخرى وأضفوا عليها طبيعة الفضة. فبانت عن الأخرى كل البون، وانحطت عنها منازل ومنازل، في بهاء الصورة وجمال الروح. أمة عاجزة بلهاه، لا تبلغ المراءفة والكهولة حتى تقضي ضحية الغباوة والكفر.

٢ - فالغلام فيها يظل رضيعاً فترة من السنين لا نقل عن المئة. وطيلة هذه المدة كلها كان يلزم الأحسان لا يريم، بسيطاً ساذجاً كالطفل الفطيم. وعندما يبلغ البنون أشدتهم ويغدون شباناً يافعين، يستسلمون للأشر والبطر وينساقون للخصومات وللنزوارات والكرياء. لا يؤدون فروض العبادة ولا يضحون ضحية لإله ولا يكرمون أرباب السماء كما يجب على الأنقياء.

٣ - فحق زفس ابن اخروننس على أولئك المردة الحمقى إذ أهملوا شعائر الدين والتقدى فحمقهم من الأرض محقاً. وبعد أن درسوا وواراهم الثرى، غدوا هم أيضاً من جماعة الجن، يحوطهم البشر بشيء من الإكبار، لأنهم ينعمون في جحيم الأخيار.

٣ - العصر النحاسي

١ - عقب زوال السلالة الفضية، كون زفس أبو الآلهة، سلالة بشرية ثالثة، وأضفى عليها طبيعة الشبه فعرفت بسلالة النحاس.

٢ - وقد أنشأها من شجر الدردار، فبرزت أمة عنيفة عاتية، رجالها كبار أشداء، تخلقا بالخشونة والجفاء. ولم يميلوا إلى السلام بل إلى الحرب اللهم وإلى صنوف الحرام. وابتزوا بيوتاً من نحاس، وسنوا سلاحاً من نحاس، وفشت قلوبهم كالنحاس. فانقضوا بعضهم على بعض فلفهم البلى والفناء، وانحدروا إلى دار الشقاء إلى الجحيم مقر العفاء، حيث يُحجب النور والضياء.

٤ - العصر الحديدي

١ - هذا العصر هو العصر الأخير من عصور البشرية الفانية. فبعد اندثار السلالات الأولى، عهد زفس إلى ابرمِثْس، أن يجلب إنساناً آخر، يعقبه نسلاً على الأرض. فكونه ابرمِثْس وأضفى عليه طبيعة الحديد. وآتته أثنا نفساً حية. وعمل له الآلة امرأة بإزائه. فتكاثر البشر وانتشروا في أرجاء المعمور. وكثير أيضاً شرّهم وفسادهم، واختلط لهم الهباء بالعناء، ومارج صفاءهم الشقاء.

٢ - لأن قلوب الناس في هذه السلالة أيضاً قد خامرها الخبث والفساد فلم ينهج الابن نهج والده، وما عز الضيف على مضيفه، ولا كرم الخليل لدى صاحبه، وما أخلص الودّ أخ لأخيه.

٣- وَحَقَّرُوا وَالْدِيَهُمْ، وَأَسَاوُرَا إِلَى ذُوِّيهِمْ، وَلَمْ يَحْتَرِمُوا شَيْوَخَهُمْ، وَلَا
صَانُوا لَهُمْ حِرْمَةً أَوْ كَرَامَةً، وَلَا بَادَلُوهُمُ الْخَيْرَ بِالْخَيْرِ، بَلْ اسْتَخْفُوا وَأَهَانُوا
شَيْبَتِهِمْ، وَلَمْ يَخْشُوْا فِي هَذَا كُلَّهُ سُخْطَ الْآلَهَةِ وَنَقْمَتِهِمْ.

٤ - ولم يقدّسوا الحقيقة والحق، وحذّروا بآيمانهم وأقسامهم، ولم يرعوا جانب العدل ولا مالوا إلى البر والإحسان. بل انقادوا للزيف والبطلان وجنحوا إلى الخزي والهوان، وإلى السعاية والوشایة، وإلى الضلال والكذب والبهتان. فتجلّب الإنصاف والوجدان بجلباب أبيض ناصع النقاء، وانطلقا يشقّان عنان السماء، هاجرين أرضنا إلى مقرّ السعداء. فلم يبق للبشر سوى البلاء وكلّ صنف من صنوف الأسواء.

٣ - بندورا حالية النقم

١- ساد التقاحم والوئام بين الآلهة والبشر في عهد اخْرُونُس كله. إذ ذاك كما يعلمنا هسيّدنس، تناهـد الآلهة والأنـام وأولـموا الـولـام الضـخـام، وعـقدـوا المجالـس الحـافـلة وتبـادر الـطـرفـان بـالـإـكـرـام.

٢- ولكن لما تسلط زفُس أراد السيطرة على الإنسان. وعقد الأرباب الخالدون وبنو البشر المائتون مؤتمراً خطيراً في مكوني - وقد غدت الآن سكيوني، ليحدّدوا ما يعود للخالدين من أضاحي المائتين.

٣- وعهدوا بالقسمة إلى ابْرُمْثَقْس، فقسّم الضحية قسمين، وجعل اللحم الفاخر والأحساء والدهن من جهة الأكاري العظام والشحم من جهة وإجلالاً لمقام زفس دعاه أولاً للاختيار. وكان يعرف حيلة ابْرُمْثَقْس، فأخذ الحصة الثانية، واستشاط غضباً وغيضاً.

٤- ولكي يقتص من البشر استرداد النار الإلهية. ولكن الدهاية ابرمثقس
صار إلى جزيرة لمُنس، وخادع هيسْتُس الحدّاد، وأودع قبساً من النار في

قصبة وجاء به جنس الأنام. وقيل إنه صعد إلى الشمس وأضرم من إحدى عجلاتها مشعله.

٥ - فعاد زفس وحقق من دهاء ابرمِنْقس ومن اختلاسه النار الإلهية، وأراد الحقيقة بالبشر، فعهد إلى ابنه هِيُقِسْتُس، وهو الشهير بحذقه، أن يكون جسم امرأة من التراب والماء الزلال، فيؤتيها فتنة العذارى ويُسْبِغُ عليها جمالاً ساحراً، ويهبها الحياة والنشاط، ويزينها بصوت شجيّ. وشاء رب الآلهة والبشر أن يُسْهِم الأرباب بزينة تلك الفتاة الحسناء، فأغدق الآلهة عليها الهبات، وبدت ساحرة البهاء، ودعى كل موهاب.

٦ - إلا أن هِرَكْلِيس المغوار، بإيعاز من أبيه زفس، وهب تلك العذراء البهية، مع الغنج والدلائل شيئاً من الاحتياط، ومن الهذر وفاتن الأقوال، مما يدهى بعقول الرجال. وقدّم لها زفس نفسه وعاءً من ذهب محكم بالإغلاق، وبعث بها إلى ابرمِنْقس النبيه.

٧ - فلما قدمت بصحبة هِرَكْلِيس، تتبّه ابرمِنْقس لخدعة زفس، ومع كل إغراء الفتاة ردّها إلى صاحبها القدير. لكن هِرَكْلِيس الجبار مضى بها إلى إيمِنْقس الغبي. فقبلها هذا بفرح وسرور ولم يتتبّه لإيعاز أخيه، بأن لا يقبل من زفس شيئاً، لئلا يجلب على البشر شراً.

٨ - فرح إيمِنْقس لمقدم الحسناء، واتخذها له حلية، فولدت له ابنة دعاها بِرّا. وشاعت أمرأته بنذوراً أن تعرف محتوى الوعاء النفيس، المصنوع من ذهب ابريز، هدية رب السماء زفس. وكانت قد مُنعت عن فتح الوعاء عندما أهدى إليها، فأخذته بين يديها وجاها فاستعصى عليها. وأخيراً بعد عناء طويل تمكنت من رفع الغطاء.

٩ - وما كاد يرفع الغطاء، حتى انتشر على وجه البسيطة سحاب كثيف من الأرزاء وضباب كالح من الأسواء. فذعرت بنذوراً لذلك المشهد وأسرعت فغطت الوعاء فلقي على شفاه الرجاء.

٤ - الطوفان

١ - ومع هذا كله لم يهدأ غضب زفس، نظراً لازدياد الشرور، وما لقي من منافسه المستتر ابرُمِثَس، الذي كان يحنو على البشر ويسلّهم بعطفه. ولذا عزم زفس من جديد أن يمحو البشرية، ويُعرّقها تحت خضم من المياه.

٢ - ولكن ابرُمِثَس كان يسهر على جيلته، فنبه ابنه ذفَكَلِين إلى الشر المستطير. وقد كان يملك على تِسْلِيَا هو وقريبنته وبرَا، ابنة أخي ابرُمِثَس. وأوعز إليه أن يصنع فلكا وأن يأوي إليه هو وامرأته.

٣ - فعمل ذفَكَلِين بإشارة والده النبيه، وبني له فلكا ودخله هو وامرأته. فهطلت الأمطار وما انفكَت عن الانهيار حتى غطت الأمسار، وأهلكت الصغار والكبار. ولم ينفع من طوفان المياه إلا ذفَكَلِين وبرَا. فقد لبّثا عائدين بفلکهما على وجه الغمر تسعة أيام وتسع ليال. وفي اليوم العاشر حطّ بهما الفلك فوق جبال بَارْتُسُس.

٤ - فخرج ذفَكَلِين من الفلك، وقدم ذبيحة لأب الآلهة. فداخت الرحمة قلب زفس، وتنتسم رائحة الضحية بانشراح، ورضي عن مقدمها بلطف، ووعده بتحقيق أولى أمانيه. فرغب ذفَكَلِين في الحال أن تبعث البشرية من جديد^(١).

٥ - فأمره زفس بالانطلاق إلى المدينة المجاورة وهي مدينة ذلفي الشهيرة. ليستشير الإلهة ثميس. فأجبت الإلهة الملك وقريبنته بأن يعتم كل منها وأن يحلا منطقتيهما وأن يرميا وراء ظهرهما عظام جدتهما الأولى.

٦ - فذهل كلاهما لهذا المعنى. وبعد التفكير والتأني الطويل. عصب كل منهما جبهته وحلا المنطقة على خصريهما، وراحَا يتناولان الحصى

٤ - (١) راجع الكتاب المقدس: العهد القديم، سفر التكوين ف ٧ و ٨.

ويرميان بها من فوق الكتف. فالحصى هي عظام الأرض جدّة الجميع. فما رماه منها ذفكلين استحال رجالاً، وما رمته برأ استحال نساء. وازدهى جنسنا وازدهر. واعتبر الهلين أبرمثقس أباً لسلالتهم، وأول من شاد المدن ورفع عماد الهياكل.

٥ - عذاب أبرمثقس

١ - ومع اصطلاح الحال بين زفس والبشر، فهي لم تصطلح بين ابن آخرؤنس وأبرمثقس. وبقي زفس يخشى سطوة خصميه المتستر وبطشه. لاسيما وقد أطلع أبرمثقس الماهر المتوفد الفواد على سر خطير يتعلق بمصير الآلهة والبشر.

٢ - فأُوزع زفس إلى ابنه القدير هيفستس، وإلى البأس والجبروت ابني استيكس الهائلة، وأن يكلا أبرمثقس على جبل الكوكاز. وسلط زفس عليه عقاباً، ينهش كبده في آناء النهار. وما نهش منها الطير الجارح يعود ويكتون في أثناء الليل.

٣ - بقي أبرمثقس يعاني آلامه المبرحة ثلاثة ثلثين ألف سنة لم ينْ طيلتها ولا وهنت عزيمته. بل لبث مصعر الرأس، متمرداً عاتياً، يقذف زفس بحم غيظه ولاذع سخطه، يتهدده ويجهوه هجاء أليماً، ويتوعده وعيداً غامضاً، بأرعب العواقب وأسوأ المصائر.

٤ - فلان زفس أخيراً، وخشي شر المنقلب، وفوض إلى هرقليس ابنه البطل أن يفك أبرمثقس من عقال أسر طويل ويخلصه من هول آلامه. وحينئذ أطلع أبرمثقس ابن عمه زفس على سره الخطير. وصده عن اتخاذ ثيتس ابنة نروفس الفتاتة، قرينة وحليلة له إذ قد تتجب له ابناؤه من شأنه أن يخلعه عن العرش.

٥ - فعدل زِفَسْ عن مغازلةِ ثِيُتِسْ، ابنةِ نِرْفَسْ، وخلوّها الاقتران بِبِيلِفْسْ، أبي البطل الصنديدِ أَخْلَفْسْ. أما إبرُمْثِقْس فلم يُمْكِن رغم ذكائه واقتداره، من استيطان ديار الآلهة. وكان عليه أن ينيب منابه أحداً في ديار آذِنِ إِلَهِ الجَحِيمِ.

٦ - فبعد أن جُرِحَ الْكِنْقَرُسْ خِيرُنْ، ويس من التئام جرحه، قبل أن يحلّ محل إبرُمْثِقْس في الجَحِيمِ، وأخذَ هذا إلى الراحة الدائمة، في مصاف الآلهة المغبوطين. ونظرأً لما أسدى للبشر من خير عميم، أقام له الأثنينيون هيكلأً في حدائق الأكاديمية وأكرموه كأب للعلوم والفنون.

-λξ-

البَابُ الْثَانِي

الْهَمَةُ السَّمَاءُ

الْكَابِرُ وَالْأَصَاغُرُ

الباب الثاني

الفصل الأول : في ديار الخلود

الفصل الثاني : زفس أبو الآلهة والبشر - يُوبِتَر عند الرومان -

الفصل الثالث : هِيرَا شريكه زفس في الملك - يُونُو عند الرومان -

الفصل الرابع : أَنْتَا إِلَهَ الطَّهْرِ - مِنْرَفَا عند الرومان -

الفصل الخامس: أَبُولَنْ إِلَهُ النُّورِ وَالْفَنِ - فِيُبِيسْ عند الرومان -

الفصل السادس: أَرْتِمِيسْ إِلَهَةُ الصَّيْدِ وَالسُّحْرِ - دِيَانَا عند الرومان -

الفصل السابع : هِرْمِيسْ ساعي الآلهة ورسولهم

الفصل الثامن : آرِسْ إِلَهُ الْحَرْبِ - مَارِسْ عند الرومان -

الفصل التاسع : هِيفِيْسْتُسْ إِلَهُ الصَّنْاعَةِ - فُلْكَانُوسْ عند الرومان -

الفصل العاشر : الزُّهْرَةِ أَفْرُونِيتِي إِلَهَةُ الْأَنْوَثَةِ وَالْجَمَالِ - فِيُنِيسْ عند الرومان -

الفصل الحادي عشر: بُسِدُونْ إِلَهُ الْبَحَارِ - نِبْتُوْنُسْ عند الرومان -

الفصل الثاني عشر : هِسْتِيَا إِلَهَةُ الْمَوْقَدَةِ - فِسْتَا عند الرومان -

الفصل الثالث عشر : آلَهَةُ السَّمَاءِ الْأَصْغَرِ

الفصل الأول

في ديار الخلود

١ - مقر الآلهة

١ - لما انصرم عهد اخرونُس، وتقاسم أبناؤه بالقرعة أرجاء الكون، نال آذُنُ الهاوية وأعماق الأرض، فامتدت سيطرته على الجحيم. ونال بُسْدُونَ البحر الراخنة، المتلاطمة الأمواج. وبسط زُفُس سلطانه على الفضاء والأثير وأجواز السماء. وأجمعوا على أن يبقى أولمبُس مقام الآلهة ومقر الخالدين.

٢ - وتمتد جبال أولمبُس على ساحل بحر إغِيُّس، وتتأخِّم بلاد مكُنْدِنِيا شمالاً، ومقاطعة شَلَّيا جنوباً. وتحدر نحو الشمال انحداراً وئداً، في سلسلة متراقبة من الهضاب والغابات. وأما نحو الجنوب فتهبط تلك الجبال في أغوارٍ سحرية ووديان عميق، تتساقط فيها الشلالات من أعلى تلك الجبال وتحفر في الصخور تجاعيد كثيرة، فتظهر بشكل أردادٍ أرديةٍ ضافية، وشحت الآلهة بها جدران قصورها الشامخة المنيفة.

٣ - وتبدو قمم الجبال المرتفعة إلى أكثر من ثلاثة آلاف متر، المكللة بالثلوج الأبدية، عروشاً متألقة ساطعة، يتربع فيها الأرباب الآلهة العظام. فيرى الرائي ذلك المنظر السحري، ويُوحِي إليه مشاعر الجمال ومشاعر الجلال، تمازجها المهابة والخشية والرهبة، فيؤمن دون ريب أن تلك القمم

هي هام البسيطة، وينذكر كيف احتقر زفس وادي تمبى، في حربه مع التيطان ليفصل بين معلقه أولميس وبين أوستا معقل الأعداء.

٤ - ويصفو الجو فوق تلك الجبال، وتصعد فيها غيوم قطنية زاهية تعكس عليها أشعة الفجر وأنوار الأصيل. وتنساب في وديانها الطليلة الوارفة غدران وأنهار رائقة، تترقرق مياهاها برخاء، كوثيرية منعشة صافية. ففي تلك الأجواء البهية اصطفي الآلهة سكانهم الأزلية، وأقاموا فيها على السعة والرخاء، في أعلى الجبال وفي كبد السماء.

٢- منهج حياتهم

١ - يرتع الآلهة في مقر الخلود، وينعمون بمباهج الحبور، في عيش رتيب وئيد. لا يخلو مع ذلك، بين الفينة والفينية، من المتابع والمشاكل. إذ تختدم فيهم المشادات، وتقوم الأحن والخصومات، ويصطرون عن صراع البشر، ويغتصبون ويتحزبون.

٢ - والآلهة مراتب ودرجات، قمتها زفس والأحد عشر الكبار معه: بُسدون وذِمِّيْر وَهِيْرَا، وأفْرِذِيْتِي وَهِسْتِيْتِسْ، وَهِرْمِيْس وَأَرِسْ وَأَبُولُون، وَأَثِنَا وَأَرْتِمِيْس. وفي منزلة ثانية بعدهم: ثِمِّيْس وَإِلِيُّوس وَهِيلِبُس، وَسَلِّيْنِي وَلِيْتُو، وَذِيُّونِي، وَذِيُّونِيْس.

٣ - أما حاشية الألمبيين وأعوانهم ومنفذو أوامرهم، فهم الساعات والأقدار وقسمة الحق^(١)، وإلهات الأناقة واللطف الكوابع الناعمات، وإلهات الشعر الغانيات، وإيرس الزاهية وهيفي الفتية وغنميس. أما آذس شقيق زفس فقد اعتكف مع برسفوني وهكاطي في غياهب الجحيم، وأقام فيها معتزلاً لا يريم.

(١) تلك الحاشية معروفة عندهم باسم هوره وميره ونيمس.

٤ - وإذا خطر ببال هؤلاء أن يتمردوا أو يتآمروا أو يتآلبوا على رفس مولى الجميع، يقمعهم بعنف وقسوة وبيطش بهم بشدة. وهو ينتهرهم أحياناً ويحذرهم بصراحة:

"ألا فليذعن الأرباب لمشيئتي... وإلا قبضت عليهم ودحرتهم إلى ظلمات التارُّس. ومن شاء أن يمتحن قوتي فليحاول. أيها الآلهة والإلهات خذوا سلاسل من ذهب وجروا رفس ما شئتم، فلن تحدروه إلى الأرض، ولكنني إذا شئت أن أسحبكم بدوري، أجذبكم جميعاً مع الأرض والبحار والجبال، وألف سلاسل الذهب على قمم أولمْبُس، وأدع الكلَّ معلقاً في الفضاء".

٥ - ولكن هنالك من يعنون له الجميع حتى رفس نفسه، ولا سبيل لمعاكسة تدابيره أو مخالفة مراسيمه. وذاك المهيمن هيمنةً مطلقة دونما قيد أو شرطٍ، هو مؤُرُّس القدر المحتموم. فهو كأنه دُجْنَة الليل، يتخذ تدابيره في الظلام ويبسط سيطرته على الكون. وزفس كاحقر البشر ينقاد لأحكامه صاغراً، ولا يفكر قط في العصيان، لأنَّه في حكمته السامية، يعرف تماماً المعرفة أن الخروج على القدر معناه تشويش نظام الكون، وقد كلف هو بحفظه. ولذا لما دهم البلاء سربذون أحد بنيه، لم يحاول درعه عنه، بل استسلم للقدر وخلاه يجري مجرى.

٦ - والآلهة يفضلون البشر، بأجسام ضخمة قد تتجاوز مئتي متر وأكثر. فهيرا من أعلى الأولمبيس تمس الأرض بيد والبحر بالأخرى. ويجري في شرائينهم نجيع أكثر ميوعة من الدم البشري، يؤتيمهم حيوية دائمة ومنعة تامة. وإن كانوا قابلين الجراح، فأجسادهم تشفى أبداً مهما كانت الطعنات بلغة، وتحفظ بلا انقطاع نضارة الشباب وريعانه.

٧ - ومن مميزات الآلهة أن يتخذوا من الأشكال ما يشاورون، وأن ييدوا بهيئة البشر أو الحيوانات وحتى الجمادات. ويخلقون بأخلاق البشر وينحرفون

انحرافاتهم. وهم عرضة لأهوائهم وميولهم وغرائزهم، من حب وبغض وغضب وكبراء، وخوف وحسد وما إلى ذلك. وإذا نقموا على أحد صبوا عليه جام سخطهم. وإن حظي في عيونهم غمروه بالعطف والخير.

- ٨ - وفي سمائهم الألمبية يجلسون على عروش عسجدية، صاغها لهم هيفستس الحاذق. ويقضون أيامهم في الولائم يتذوقون العنبر والنكتار، ويشمون روانح الذبائح والأضاحي التي يقدمها لهم البشر. ويستمتعون بألحان أبولن يعزفها لهم على القيثار، ويطربون بأنغام الشاديات، إلهات الشعر والفن وتدور بهم هيفي إلهة الشباب، تسقيهم رحيق الحياة، فيرشفونه في كؤوس من الإبريز. وعندما ينحدر الكوكب على الأفق، ويميل نحو الأصيل، يغادرون ردهة الاحتفال، ويأوي كل إلى منزله وقد شاده لهم إلهه الحداد بمهارة منقطعة النظير.

الفصل الثاني

زفس

أبو الآلهة والبشر

١ - يُشير اسم زفس، حسب أصله السانسكريتي، إلى النور وإلى ضياء النهار. وقد كان في البدء إله السماء والظاهرات الجوية. فهو يأمر الرياح ويتحكم بالسحب والضباب، ويرسل الأمطار ويرشق بالصواعق. مقره الأثير ومشارف الأرض. إنه الإله العلي المتعالي. وقد كانوا يكرمونه فوق التلال وفي قمم الجبال، كالهكتون في فيتيا، وأولميس في مكذونية، وهيمتس في الأتكى، وإيدا في جزيرة كريت.

٢ - عظم زفس مع الأيام في نظرهم، واكتملت شخصيته الأدبية، وغدا في نظرهم الإله الأسماى يعلم كل شيء ويبيصر كل شيء، ويقدر على كل شيء، إذا تقييد بسنة القضاء والقدر. وهو مصدر كل عرافة، يجيب سائليه مباشرة كما يفعل في المبيا من أعمال إلیس، وفي ذنون من أعمال إپيرس، حيث أكرموه وذينوني، ابنة المحيط عمه وتثنيس عنته.

٣ - إنه مفيض النعم وباعت المساوى. يقتضى بشدة من الأشمار، ولكنه صالح رحيم، ميل إلى الشفقة والإحسان. وهو يدفع الشرور، ويحمي البائس والمسكين، ويغير الملحوظ والمشرد والمبسي. يسهر على الأسر والعيال، ويبارك الزواج والصداق، ويتعهد الضيوف والغرباء، ويحافظ على نظام المجتمع. فهو إله اليونان وصائن ديارهم وبلادهم.

٤ - ومع أنه حارس الأسر وصائن الأزواج، فقد خاض قبل زواجه الرسمي بهيرا، مغامرات غرامية لا تحصى مع الإلهات والجنيات والبشريات. ولم تنته بعد اقترانه بها -

١ - مغامراته مع الإلهات

١ - اقترن زفس لأول مرة بميتس الحكمة والدهاء، ابنة أكتنوس عمه وتثيس عمه. وكانت ميتس تعلم كل شيء، ويفوق علمها علم الآلهة والبشر معاً، فأشار عليه جده أرنوس وجذته غيئاً بأن يبتلع قرينته لئلا تتجنب له، بعد الابنة التي كانت تحملها، إبناً يفوقه فهماً واقتداراً، يقصيه عن العرش ويستبد بالآلهة والبشر. فلما قرب حين الولادة، جعل يتودد إلى ميتس حتى أغراها بمعسول الكلام وابتلعها هي وجنينها وواراها في أحشائه. وهكذا تلافي شرًا مستطيراً، وازدرد ذات الفهم والحكمة، ليعرف منها الخير والشر. فحقق لنفسه غنماً مضاعفاً.

٢ - وعاد زفس فاتخذ خليلة له عمه ثيمس إلهة العدل والإنصاف، والنظام السائد في عالم المادة وعالم الروح. فأنجبت له إفنيا الشرع الصالح، ونبيكي العدل والحق، وإريني السلام العادل، وأخيراً ولدت له الساعات، المتدفعات رونقاً وشباباً. وتسهر تلك الإلهات على تعاقب الأيام والفصول والدهور، وتفتح أبواب السماء لتبعد السحاب أو ترده، وتقيض الغيث في أوانه، وترافق سير القوانين، وترعى الطفولة والشباب، وقد حدبت على طفولة ذيوننس وهرميس.

وبعد اقتران زفس بهيرا، لبشت ثيمس في الأولمبي عزيزة مكرمة، تعاون زفس وتسدي إليه النصح. وتلك هن بناتها الأخوات الائنتا عشرة^(١).

٢ - (١) المعروفة عندهم باسم هوره وكانت ثلاثة: ساعة الربيع وساعة الصيف وساعة الشتاء ثم انضمت إليها ساعة الخريف، ثم أضحت اثنتي عشرة عندما وزع النهار إلى اثنى عشر جزءاً والليل إلى أجزاء مماثلة.

٣ - وبعد ثيمس تزوج زفس بعـمته الذاكرة امنسيني ذات الشعر الطويل الجميل، فأقام عندها تسع ليال. ولما آن الأوان، ولدت له ربات الشعر والفن التسع، اللائي يبهجن ولائم الآلهة ويطربن بجوقةهن مأدبهم. ومقامهن المفضل قمم أولمبس أو ذرى هلكون، أو مشارف بارنسس. وتلك الإلهات يعنيـن بالشعر والرقص، والتاريخ والفنون الجميلة، وهن يؤلفن فرقـة فنية رائعة، يديرها أبولن، وأشهرـن إفتيربي وأكليـو وملـميـني. وتـلك الإلهـات هـن الأخـوات التـسع.

٤ - وشـغـف زـفس بـحبـهـ أختـهـ ذـميـتـيرـ. ولـماـ اـمـتـعـتـ عـنـهـ اـسـتـحـالـ ثـورـاـ وـغـشـيـهاـ. فـولـدتـ لـهـ كـوـرـيـ أوـ بـرـسـفـونـيـ. وـعـلـقـ أـيـضاـ إـفـرـنـوـمـيـ اـبـنـهـ عـمـهـ أـكـنـتوـسـ وـعـمـتـهـ تـيـثـيسـ فـأـنـجـبـتـ لـهـ رـبـاتـ الـأـنـاقـةـ وـالـنـعـومـةـ الـثـلـاثـ: أـغـلـئـيـ السـاطـعـةـ وـثـالـيـاـ الـزـاهـيـةـ وـإـفـرـسـيـنـيـ الـمـبـهـجـةـ الـمـشـرـقـةـ.

كـانـتـ تـلـكـ إـلـهـاتـ توـعـبـ القـلـوبـ فـرـحاـ وـحـبـورـاـ، وـتـضـفـيـ الـلـيـاقـةـ عـلـىـ الـحـفـلـاتـ، وـالـأـنـاقـةـ عـلـىـ الـمـعـاـمـلـاتـ، وـتـزـيدـ بـكـيـاسـتـهـنـ وـأـدـبـهـنـ، مـبـاهـجـ الـآـلـهـةـ وـالـبـشـرـ، رـونـقاـ وـذـوقـاـ وـعـذـوبـةـ. وـهـيـ تـصـبـ رـبـاتـ الـفـنـونـ، وـتـشـارـكـهـنـ فـيـ صـوـغـ الـرـوـأـعـ وـإـبـدـاعـ الـآـيـاتـ الـخـالـدـاتـ. وـقـدـ أـكـرـمـ خـصـوصـاـ فـيـ السـاحـاتـ الـعـامـةـ وـالـمـنـتـديـاتـ، وـسـكـبـتـ لـهـنـ السـكـائـبـ فـيـ بـدـءـ الـوـلـامـ تـلـكـ هـيـ الـأـخـواتـ الـثـلـاثـ.

٥ - وأـخـيرـاـ اـقـترـنـ رـبـ الـأـرـبـابـ بـأـخـتـهـ هـيـراـ، عـلـىـ زـمـنـ أـبـيهـ أـخـرـوـنـسـ، وـقـبـلـ أـنـ يـغـتـصـبـ الـمـلـكـ لـنـفـسـهـ، وـذـلـكـ أـنـ أـخـتـهـ الصـغـيرـةـ عـهـدـ بـهـاـ إـلـىـ حـاضـنـةـ اـسـمـهـاـ مـكـرـيـسـ، فـيـ جـزـيـرـةـ إـيـقـياـ الـمـمـتدـةـ عـلـىـ سـاحـلـ الـأـتـكـيـ الشـرـقـيـ، فـقـصـدـهـاـ زـفـسـ ذاتـ يـوـمـ، وـحـلـمـلـهاـ إـلـىـ جـبـلـ كـثـرـوـنـ عـلـىـ تـخـوـمـ فـيـتـيـاـ وـالـأـتـكـيـ، وـاقـترـنـ بـهـاـ هـنـاكـ. وـمـنـهـمـ يـقـولـ إـنـ زـوـاجـهـ بـهـاـ قدـ تـمـ فـيـ أـقـصـىـ الـمـغـرـبـ فـيـ جـنـائـنـ الـهـيـسـبـرـيـذـةـ، وـمـنـهـمـ يـقـولـ إـنـ تـزـوـجـهـاـ قـرـبـ نـهـرـ ثـيـرـيـسـ بـجـوارـ مـدـيـنـةـ اـكـنـسـوـسـ.

٦ - ويروي بَفْسَنِيَّس ذلك الخبر رواية مختلفة. هام زفس بأخته هيرا، ولكنه خشي ألا تبادله المحبة. فأتتها أيام الشتاء في هيئة بليل جميل ترتجف فرائضه من شدة البرد. فرمقته الإلهة برفق وضمنه إلى صدرها في حنان، وراحت توليه آيات عطفها وتداعبه كل مداعبة. فمثُل أمامها عندئذ كما هو، وأبدى لها شغله ووجوده. فمازالت الإلهة تصدّه حتى وعدها بالزواج. وتم اقترانه في م浑 الآلهة بأبهة وحفاوة بالغة.

٧ - ولم يمنعه زواجه الحافل، في ديار الآلهة، من متابعة مغامراته، ومواصلة خديعة زوجته، وملاحقة الإلهات والغانيات، ولكنه أخفق مراراً ولم ينزل دوماً منها مأربه.

فهكذا قد صده ابْرُمْقَس عن مخالطة ثيُتِس ابنة نِرْفَس، خشية أن تتجبر مولوداً يفوقه قدرة وجبروتاً. وهكذا لم يُوفَق مع أستيريا ابنة عمّه كِيس وعمته فيفي. ولما ضايقها كثيراً، تحولت إلى سمنة وطارت، ومن إعيائها سقطت في البحر، فاستحالت إلى جزيرة طافية على وجه الخضم. فاستحضر زفس سلاسل من ماس وشدّها إلى قعر البحار. وسميت تلك الجزيرة أُرْتُغي أو جزيرة ذِيلُس اللامعة.

٨ - غير أن أختها لتو لم تبد كل هذا الإগفال، وسايرت ابن عمها أبا الآلهة، فأغضبت هيرا قرينته الشرعية، وأوغرت صدرها حنقاً وحقداً. فانبرت ابنة أخرُونُس القديرة تلاحقها وتضايقها وتضطهدّها بلا هواة، ولم تجد لتو الناعمة البهية، إلا بعد متابعتها جمة وتنقلات كثيرة، موضعاً تضع فيه مولوديها الإلهيَّين: أبُولُن الفاتن وأرْتِمِيُس الرشيق القد.

أما مَيَا ابنة أطلس ذات الضفائر الجميلة، فقد تجنبت ببراعة حسد هيرا وسخطها، إذ اعتزلت مقر الآلهة وأوت إلى مغارة عميقه، وهناك أخذت مودتها لرب الآلهة والبشر. فكان يرتاد كهفها ليلاً، بعد أن تستسلم زوجته هيرا البيضاء المرمرية الجسم، إلى سبات هادئ عميق، لا يخامرها شك

بأمانة زوجها. وأنجبت مايا لزفاف ابنه السريع هرميس ساعي الآلهة. وولدت له أختها إلكترا، ربة الأنغم والانسجام هرمونيا الأنيقة الهايئة، وذارنة.

١٠ - وأحب زفاف بنتاً ثالثة لابن عمّه أطلس كانت تدعى تقينيس. وحاول إغراءها طويلاً، ولكنها صدته بجفاء وتهربت منه بلا انقطاع، حتى طاردها مرة فعطفت عليها ابنته أرتيميس وأحالتها ظبية. ثم بعد فترة طويلة أعادتها إلى شكلها الأول. فوقفت تقينيس للإلهة غزاله وطلت قرنيها بماء الذهب. وادعى بعض الأسبرطيين أن تقينيس استجابت دعاء رب الأولمبيين. فأنجبت له ابناً سماه لكتيمون، وملك على بلاد اللكونيين، وأسس المدينة التي تدعى باسمه.

٢ - مغامراته مع الجنيات

١ - لقد أحب زفاف من الجنيات، بنتي آسبس إغيني وأنثيبي. أما الأولى فقد استحال إلى نسر وخطفها. - ومنهم من قال إلى لهيب ولكن الأمر يبدو عسيراً - وأخذها وطار بها إلى جزيرة غنوبياً، فولدت له ابناً سماه آبيكس، ملك فيما بعد على جزيرة إغيني. ولكن أباها آسبس، وهو النهر الذي يجري بلجب في شمال جزيرة بيلبس، استقدها فلم يجدها. فجداً في البحث عنها واتجه إلى مدينة كورنثوس. فهداه سيسفس إلى خاطفها، ودله على الطريق. ولما بلغ وباغت زفاف، صوب الإله إليه صواعقه وأكرهه على العودة إلى مسلية.

وزعم بعضهم أن سيسفس قد فاجأ زفاف على حين غرة، فبلغت رب الأرباب وذهل، وحول معبودته إلى جزيرة واستحال هو إلى صخرة صماء. وترى تلك الصخرة حتى هذه الأيام، فوق جزيرة إغيني.

٢ - تلك قصة زفاف مع إغيني. أما أنثيبي أختها، فقد لقيها زفاف في جولات الرعوية، مستلقية مغرقة في النوم، على ضفة ساقية صافية في أحد

الوديان الجميلة فاستحال إلى صَطْرٍ بشع^(١)، وخلط الفتاة البهية فهربت إلى مدينة سِكِيُونِي، حيث اقترنت بملكها.

وروي أن أباها نَكْفَسَ، انتحر عندما سمع بخبرها. وأوصى ابنه لِيكُسَ، قبل أن يقضي نحبه، بأن يثار للشرف المفقود. فحاصر لِيكُسُ سِكِيُونِي وقتل ملكها إِبْفَسَ واسترد أخته أَسِيرَة. فوضعت ولدين توأمين، عُرِضاً على جبل كثُرُونَ، وأصبحا بعد ذلك من أشهر أبطال ثيفَة، وهما أَمْفِيُونَ وزِيُّسَ.

٣ - عاشت عروسة الوديان كَلِسْتُو، ابنة لِكَائِنَ ملِكَ أَرْكَذِيَا مع الإلهة أَرْتِمِيسَ، وندرت أن تعيش بصحبتها عذراء^(١). فلمحها يوماً أبو الآلهة وسَابَه جمالها الخالب، فلقيها مرة في إحدى الأجمَات، تستريح من ملاحقة الطرائد. ولكي لا تجفل منه وتهرب، وقف بها في زَيِّ أَرْتِمِيسَ. فقبلته بترحابٍ وسرور. ولما عرفته في حقيقته كان قد فات الأوان. وحاولت إخفاء أمرها. لكن سيدتها أَرْتِمِيسَ تبيّنت ما حصل لها، بينما كانت تستحم وإياها. فشاعت أن ترميها بسهم، لكن رفس حولها إلى دُبَّةٍ كي يخفِ أَرْتِمِيسَ إلا أن الإلهة الباسلة رمتها بوابل من السهام وأماتتها كعاهرة. فنكلها رفس إلى الفلك وغدت في الدب الأكبر.

٤ - ويقال في ذلك قول آخر، وهو أن هِيرا علمت بخيانة زوجها وشقَّ الأمر عليها جداً. فبعد أن ولدت كَلِسْتُو، وسمّت مولودها أَرْكَاسَ وهو معمر مقاطعة أَرْكَذِيَا، أحالتها هِيرا إلى دُبَّة رهيبة. وملك أَرْكَاسَ مكان جده على عرش أَرْكَذِيَا. وبينما كان ذات يوم يصطاد في إحدى الأَجَام، طلعت عليه دُبَّة كبيرة، وراحَت تتأنّله بوداعة وترمقه بنظرات حانية، كأنها نظرات الأمّهات. ذلك أن كَلِسْتُو قد عرفت ابنها الحبيب، وأبدت كل حنينها إليه، وعجزت عن

٢ - (١) الصَّطْرَ كائن أسطوري له رأس إنسان ويداه وجسم تيس من المعز.

٣ - (١) سنرى أن الإلهة العذراء هي أثنا ابنة رفس. وهكذا يتتأكد المرء أن في البشر نزعة سرية إلى النقاء العذري وإلى الطهارة والبتولية.

التقرّب إِلَيْهِ واطلاعه على سرّها الخفيّ وسرّ حبها وعطفها عليه. أما الولد الحائر الداهش فلم يعرف أمه الرؤوم، وتتكرّر لهذا الوحش الوديع وحار طويلاً في أمره. ولكن الخوف تغلّب عليه وتناول سهماً ورام أن يُرديه. وعندما هم وتناول القوس، تحنّن زفس على الأم البائسة، وأشفق على لوعتها البائسة، وأحال ابنها أيضاً إلى دب صغير، ونقلهما إلى فلك السماء، فأمست فيه الدب الأكبر وأصبح ابنها الدب الأصغر.

هذا، ومغامرات رب الأرباب مع الإلهات والجنيات لا حصر لها ولا تعداد. وليس من شعب عندهم لا ينحدر جسده الأول من زفس أبي الآلهة والبشر.

٣ - زفس والأدميات

(آ) ١ - أولى من أحب زفس من بنات البشر نبوبى ابنة فرنفس وعروسة الوديان لذكى فولدت له آرغس. فأسس المدينة التي تُدعى باسمه.

(ب) ٢ - وكان لأبيها إله النهر إنخوس، ابنة جميلة سميت إيلو، تكمن في هيكل هيرا بين مكيني وتيرينثس، في شبه جزيرة بيلبس. فشغف بها أبو الآلهة واستحال إلى غمام ليغشاها. فلاحظت هيرا احتيال زوجها وأبدت له استياءها. فأنكر وحاول أن يتصل. ولكي يهدى خاطر قرينته الظنونة، حول الحبيبة إيلو إلى مهأة بيضاء.

٢ - غير أن غيرة هيرا لم تهدا، لباء تلك المهاة ورونق شكلها. وتظاهرت الإلهة بالارتياح. وفي كثير من الدلال، ألحت على قرينه الفاسق واستهده تلك المهاة. وادعت أنها أولى من غيرها بامتلاكها، لأن البقرة كانت كاھنتها سابقاً. فاستجاب زفس امرأته وأهداها المهاة. فأخذتها وأقامت على حراستها في غابات مكيني، عملاً مخيفاً يُدعى آرغس، ذا سحنة غريبة فيها مئة عين، إذا نام أغمض خمسين منها وسهرت العيون الأخرى. وهذا الجبار

اليقظ قد قتل إِيْخَنَا الضخمة، الحيةُ الغليظةُ الرقطاءُ بنتَ تَارْتُسُونْ وَغِيْنَا، كما أهلك ثوراً وَحشياً ضارياً، عاث في أرْكَذِيَا فساداً.

٣ - فشقّ على زفس أن ينغلب لآرغس بعد أن استكان لهيرا. ولم يشأن أن يصرعه بصواعقه المتلاظية. ولكنه أراد أن يتخلص من ذلك الجلف الغليظ بحيث لا يشعر أحد بتدخل رب الآلهة. فاستدعى ابنه هرميس وعهد له بهذه المهمة الخاصة.

فتكر هرميس وتزي بزي رعاة البلاد، وأخذ مزماره ودنا متحفظاً، وراح ينشر في أرجاء الغاب، أذب الألحان وأطف الأنغام، وأطرب الجبار بغنائه الشجي. فشجى آرغس وطابت له الألحان، وثمل من نشوة الطرب، فنام ملء عيونه كلها، واستسلم لسبات عميق، لم يعرف في حياته مثله.

٤ - وعندئذ ازدلف هرميس ورمى عنقه بضربة قاصمة، وخلص إيو من حارسها الشنيع. غير أن هيرا تبهت للأمر، وذررت عيون العملاق على ذيل الطاووس طائرها المفضل، فازدهى من ذلك الحين بتلك الألوان الزاهية. وفي اضطراب غيظها سلطت على إيو قمعة هائجة قاسية تسعها وتؤلمها وتجفلها إِجْفَالاً. فأطلقت تلك المهاة البائسة ساقيها للريح، تصعد نحو الشمال وتتحدر نحو الجنوب، تتسلق الجبال العالية، وتغور في الفجوج السحرية، في البرد والحر والتلوج والعواصف، ولا تزداد إلا ضنكًا ولا تجد سلوى أو راحة. فجابت البلاد كلها، صرودها وجرودها وسهولها ووديانها، وبلغت ذرى الكوكاز، حيث كبل التيطان الجبار ابْرُمِثْس بنِيابِتُسْ. فلما رأها رثى حالها، وبكت هي أيضاً عليه. وتنادما مدة طويلة وتبادلا التعزية والمؤاساة وأنباءها الجبار باقتراب الفرج.

٥ - ودَعَتْ المهاة صديقها الكبير، ومضت تتبع سيرها المضني. وقطعت سباحة مضيق البسفور^(١)، ومرت بآسيا وفينيقيا وأمعنت في متأهات

١ - (١) فسمي مضيق باسمها، لأن كلمة فسبرس باليونانية تعني ممر أو مضيق الثور والبقرة.

سيناء، حتى انتهت إلى ضفاف النيل، فتصالحت هيرا مع زوجها الطائش، وطردت القمعة عن ضحيتها إيو. فلما زفاف ظهر البقرة فاستعادت شكلها القديم. ولكنها ما عتمت أن ولدت لزفاف مولوداً أطلقـت عليه لقب إيفوس.

٦ - فعاودت هيرا غيرتها، ونقمت من جديد على إيو، وأوعلـت إلى كهنة رِئا في جزيرة كريت، بأن يخطفوا المولود الصغير. ولما نفذـوا أمر زعيمة الآلهـات، رشقـهم زفاف بصواعقه المبيـدة، ومضـت إـيو مـرة أخرى، تجـوب الدـنيـا وآفاقـها النـائية، تفـتش عن ابنـها الضـائع إـيفـوس. وبـعد لـوعـة وـعـذـاب مـرـيرـ، لـقيـته أـخـيرـاً في سورـياـ، ثم اـقـترـنـت بـملك مصر تـليـغـنسـ، واستـقـرـت هي وابـنـها نـهـائـياً هـنـاكـ، وأـسـسـ إـيفـوسـ مـدـيـنـةـ مـمـقـيسـ فيـ شـمـالـ مصر وـجنـوبـ الجـيـزةـ.

ج) ٧ - كانت دـنـائـيـ اـبـنـةـ أـكـريـسـيسـ مـلـكـ آـرـغـسـ، وـإـفـرـذـيـكـيـ اـبـنـةـ لـمـيـذـنـ مـلـكـ اـطـروـادـةـ. وبـعدـ أـنـ ولـدـتـهاـ أـمـهـاـ انـحبـسـتـ أحـشـاؤـهاـ عنـ الـولـادـةـ. فـسـأـلـ أـبـوـهاـ العـرـافـينـ فـقـيلـ لـهـ: سـتـجـبـ اـبـنـتـكـ دـنـائـيـ نـجـلاـ كـرـيمـاـ مـنـ أـصـلـ كـرـيمـ، فـتـمـوتـ بـيـدـهـ قـضـاءـ وـقـدـراـ، وـيـمـلـكـ مـكـانـكـ عـلـىـ عـرـشـ أـجـادـادـهـ. فـمـاـ سـمـعـ المـلـكـ ذـلـكـ أـشـأـ تـحـ الـأـرـضـ سـرـدـابـاـ، صـفـحـهـ بـصـفـائـحـ الـفـوـلـادـ، وـحـينـ بـلـغـتـ اـبـنـتـهـ سنـ الزـواـجـ أـغـلـقـ عـلـيـهـاـ فـيـ ذـلـكـ السـرـدـابـ.

٨ - وـرـآـهـاـ زـفـافـ وـأـحـبـ نـعـومـتـهاـ وـنـقـاءـهاـ، فـتـرـدـدـ عـلـيـهـاـ أـوـلـاـ بـشـكـ مـطـرـ منـ اـبـرـيزـ، ثـمـ كـشـفـ لـهـاـ عـنـ حـقـيقـتـهـ وـآنـسـهـاـ فـيـ سـجـنـهاـ وـهـوـنـ عـلـيـهـاـ مـكـارـهـ وـدارـ الزـمانـ دـورـتـهـ وـأـنـجـبـتـ نـجـلاـ مـنـ رـبـ الـآـلـهـةـ. وـلـمـ عـلـمـ أـبـوـهاـ بـالـأـمـرـ، خـافـ أـنـ يـقـتـلـ الغـلامـ، فـأـخـذـ سـفـطاـ مـحـكـمـ الـإـغـلـاقـ، أـوـدـعـهـ اـبـنـتـهـ وـرـضـيـعـهـاـ، وـرـمـىـ بـهـ إـلـىـ الـبـحـرـ.

٩ - فـعـامـ السـفـطـ وـرـاكـبـاهـ، وـنـقـاذـفـهـ الـأـمـواـجـ، وـالـطـفـلـ نـائـمـ عـلـىـ ذـرـاعـ أـمـهـ. تـهـدـهـهـ وـتـنـاغـيـهـ وـتـنـاجـيـهـ بـحـانـ: "واـحـسـرـتـاهـ عـلـيـكـ ياـ وـلـدـيـ، وـاحـرـ فـلـبـاهـ مـنـ هـذـاـ مـرـكـبـ الـحـرجـ... وـمـعـ ذـلـكـ فـأـنـتـ تـرـقـدـ يـاـ بـنـيـ رـقـادـاـ هـادـئـاـ هـنـيـئـاـ، فـيـ

هذا المسكن المريع، المصعد بمسامير النحاس، إنك ترقد في حضني يكتتفك
وإيابي ديجور رهيب. والغمري يتلاطم فوق رأسك وأنت لا تأبه لصخبه،
وتترخر العواصف حولنا وأنت غير مكترت لها، نسند هامتك الساحرة إلى
وسادة من أرجوان. فلو كانت الأهوال تذعرك لأنصت بحذر لأقوالي،
 واسترعي أذنك الغضة أنيبي وراعك همس تحسرى الشجي. نم يا حبيبي
أغف ونم. ولينم عنا الخضم بهوله، وللينم عنا خطبنا التزيع. يا زفس أباها يا
رب الآلهة، ليتاك تردّ عنا أحكام القدر، وإن كنتُ في دعائي أفرطت في
القول، فسامحني يا إلهي بحبك ابنك هذا الطفل الرضيع^(١).

١٠ - وما زالت الأمواج تقاذفهم حتى أرسى السفط في جزيرة سيرنس.
وهنالك عثر عليه ذيكتس وبليديكتس ملكاً الجزيرة، فأضافا الام وابنها وحوطاهم
بالإكرام والمودة. وبعد فترة من الزمن ثبت للملك بليديكتس أنها يحبها، وحاول
عيثاً أن يخطب وذها. فأبانت وبعد صروف خطيرة مرت عليها وعلى ابنها
برسفس، عاد بها ابنها إلى أرض الاجداد. وملك على مكيني وتيرنش.

د) ١١ - لقد كان زفس أبو الآلهة يعبث بسخط هيرا قرينته وبما يجر
من عواقب وخيمة على البايسات الضعيفات، ومن أشقاهن القدر وأحظاهن
في عينه.

وهذا ما وقع لسميلي. كانت ابنة لكادمس، ملك ثيفة في فيتا، ومؤسسها
وشقيق أفروبي، حظية أبي الآلهة. أحبها زفس بعد أن خطف إفروبى عمتها،
وعلق يرثاد قصرها ويتمنع بلذة صحبتها وأنس مجالستها ورفيع أدبها.

١٢ - فشقّ الأمر على هيرا وتذكرت بзи فروثي، حاضنة سميلي
ووصيفتها، ولاطفتها كثيراً ثم أوحت إليها بلطف وتودد، أن تلتمس من
عشيقها الإلهي أن يبدو لها في سناء مجده وضياء قدرته وجبروته. فطلبت

٩ - (١) هذا النشيد لسمينيدس الكيسي.

الحبيبة من حببها أن يتجلّى لها بكل عظمته. وعثناً حاول زفس أن يردع معبودته عن ذلك المطلب الوخيم العاقبة. وكان قد حلف لها بآيمان مغلظة أنه يؤتّيها سؤلها. وأقسم بنهر استيكس، نهر الجحيم الرهيب أنه يفي بما وعد. وإن أصرت في الطلب حزن جداً واضطر أن يظهر لها وسط البروق والصواعق واللهيب المتاجج. فأذاب الوجه كل شيء، القصر والحدائق وكل من فيها. غير أن زفس أخذ جنين س ملي وحشره في فخذه، حتى يحين أوان وضعه وهكذا انتمى ذيونسوس مرتين إلى أبيه. وأحصي في مصف الآلهة.

هـ) ١٣ - عن لزفس أبي الآلهة أن يتجلّى على سواحل فنيقيا بلغ مدينة صور وهناك على شاطئ بحرها اللازوردي، نزل عند الأصيل سرب الفتيات كأنه سرب من الحمام. وراح في هرج ومرج يسرح ويمرح على الرمال، يتسبّح تارة ويستريح أخرى. وبدت بين النهاد الكواكب إفروبي ابنة فينكس أو أغينير ملك فنيقيا.

تأمّل زفس تلك الأميرات وسباه حسن إفروبي وبياضها الناصع الفتان ورونق محياتها ورشاقة جسمها، وعقد النية على امتلاكها. فتقدّم بهيئة عجلٍ حولي، وانضم إلى قطيع أغينير الذي كان يرعى بقرب الساحل.

١٤ - ولاحظت إفروبي هذا العجل الوديع. فدنا منها بهدوء وظرف وشرع يداعبها بلطف. فأنسّت الأميرة واستحلّت نصاعة جده ومرونة وبره الكثيف. وانحنى العجل أمامها كأنه يدعوها بسان حاله، لامتطاء ظهره العريض. وعلت الأميرة الثور فراح ير هو بها نحو الموج. وما إن خاض في الماء، حتى انطلق كالسفينة السريعة، يشق بها عباب البحر. وإفروبي على ظهره الوثير تتفّلت في حيرة وذهول، حتى بلغ جنوب كريت.

١٥ - وولج زفس نهر ليثي بقرب مدينة غرتّي، ونزل على ضفاف النهر وتجلّى لإفروبي الحبيبة. وما انفك يرعاها ويستعدّ جوارها حتى أنجبت له ميسوس ورذامنثس.

وأعجب أستيريس ملك الجزيرة بجمال إفروبي، وتمنى أن تشاركه السيادة على المملكة، فرضي زفس عن ذلك الزواج، وعاشت أميرة صور عزيزة مكرمة، وبعد الممات رفعوها إلى مصنف الإلهات. وعقب اختطافها بقليل انطلق أخوها كادمس يبحث عنها في أرجاء أوربا، فأوعزت إليه عرافة ذلقي أن يكف عن البحث، وأن يبني مدينة ثيفة عاصمة فييتا. فبناتها وملك عليها.

و) ١٦ - ولم يتورع زفس صائن الزواج وحامى قداسته، عن هتك حسانته وعن دوس كرامته. إذ لم يكتفى بإغواء العذارى، بل أمعن في غيه وغازل المتزوجات واتخذ أشكالاً كثيرة لينال منهن وطرا.

فقد رأى مرة ليندا، امرأة تتدارس ملك إيلين، تستحم على ساقية صافية وبشرتها ألقى من الكوثر المترافق. فأغرم بها وارتدى بين ذراعيها، في شكل تمّ بديع، هارب من نسر يطارده. ذلك أن أفروديتى التي استحالت إلى إحدى الجوارح، قد تواطأت مع رب الأرباب لتنقم من تتدارس في شخص أمرأته. لأن الملك في إحدى الذبائح المقدسة للآلهة، كان قد سها ولم يقطع حصة أفروديتى. فحنقت وحدت زفس إلى الاعتداء على زوجته، ولم يك زفس بحاجة إلى حافر لتلبية ذاك الطلب الوخيم.

١٧ - وفي الليلة نفسها عرفها زوجها، فوضعت في حينها بيضتين، إحداها من زفس الطائر الولهان، وقد حوت كاستر وبلديفكس. والأخرى من تتدارس وقد تضمنت هليني وأكلمنيسترا. فأحصي الأولان بعد حياة مجيدة حافلة بالخير، بين عداد الآلهة، ورفعا إلى السماء حيث أمسيا برجين من الأبراج السماوية، التي ضج تاريخهم بذكرها.

١٨ - وهو زفس أيضاً ملكة ثيفة الفاضلة أكميني، امرأة أمفرين. ولما خشي الإله فضيلتها، وخاف أن يبوء معها بالفشل، اتخذ هيئة رجلها وأتاهها بشوشًا مستأنساً، فقبلته بارتياح وأبدت كل غنج ودلال. فلزمها فترة طويلة ثم

قبلها وارتحل. وبعد انصرافه بقليل أقبل زوجها الحقيقي، فدهش من أعراض قرينته وإحجامها عن ملاطفته. ولما أبدى استياءه لها، استغربت أنه نسي بسرعة قصوى ما غمرته به من دلائل الحب، منذ برهة قصيرة. فاستدعي العراف ترسيس واستطلعه حقيقة الأمر، فأوضح له العراف أن زفس أبا الآلهة والبشر أراد أن ينجب من قرينته ألميني بطلاً صنديداً يذود عن المائتين والخالدين. وولد المولود ودعى هرقليس.

١٩ - أخيراً عرف زفس آلهات وجنيات وبشريات كثيرات جداً، خالطهن في هيئات شتى إذ استحال هكذا إلى فrex حمام وإلى حسان أو أحد السباع. وأنجب هكذا من الأبطال تانتس وبرسيفس وبان وتينيس، وغيرهم عدداً لا يحصى. إذ تنافس رؤساء الشعوب ولفقوا الأحاديث لينموا أصلهم إلى رب الآلهة بالذات، الذي دعي لذلك أيضاً أبا البشر.

وربما كانت قصص كثيرة من قصص زفس تعبرياً عن تفاعلات العناصر والظاهرات الطبيعية، ونزعة ساذجة عند كثيرين لإحراز ألقاب شرفية أئلية.

الفصل الثاني

هيرا

شريكة زفس في الملك

١ - هيرا هي أيضاً في الأصل إلهة من آلهة السماء. وما اصطراعها وزفس على ما يبدو، إلا اصطراع عناصر الكون، التي كانت تمثلها هي وزوجها إله النور.

وقد عبدوها في البدء على المشارف وقمة الجبال نظير قرينها. وغدت مع الأيام مثلاً أسمى للمرأة، وقد أضفت عليها هالة الألوهة. وتمثلوها جليلة مهيبة، تحمل الصولجان يعلوه هزاراً، إشارة إلى ظروف اقترانها، وتصبّحها ابنتها هي في إلهة الشباب في ريعانه، وربات الأنوثة الثلاث، والأخوات الناعمات الائتلا عشرة.

٢ - وقد شادوا لها معابد، خصوصاً في المدن الشديدة النظم كآرغس ومكيني وإيسبرطة. وقد كانت تكره شعور آسيا وتحالف أعداءهم، وقد غدت إلهة مكرمة عند الرومان، ودُعيت باسم يُونو. ومن الأضاحي التي تقدم لها، الأغنام الحولية والخنازير، وامتنعوا تماماً عن تصحية البقر لها، لأنها في حرب العماليق هربت إلى مصر واستترت في إهاب بقرة.

٣ - ولدت هيرا على ما يزعم أهل ساموس في جزيرتهم، وقد عطفت الفصول أو الساعات إهوره على طفولتها. وترعرعت في جزيرة إيفيا.

حيث لقيها أخوها زفس وخطب ودها كما رأينا. وعقدا إكليلهما في قصور أولمبس بأبهة عظمى وحفاوة ما بعدها حفاوة. فوضعت على رأسها تاج السيادة، وجلست على عرش عسجدي متألق كالشمس واشترك الآلهة طرًا في الاحتفال.

إلا أن هيرا لم تلق السعادة الكاملة، إذ ما ونى زوجها يخونها، مع كل أمانتها وسحر جمالها الخارق. وأنجبت له أربعة أولاد آرس إله الحرب، وهيفيتس إله الصناعة، وهيفي الغضّة إلهة الشباب في أصفى رونقه وروعته. وإليثيا ربة الولادة وأوجاع طلقها. وكل سنة كانت هيرا تقصد ينبوع كانثس بقرب نفبليا أو نابلي الحالية من أعمال رومانيا، وتستعيد بها بكارتها.

٤ - ولو شاعت الانزلاق وركب مركب الهوى، لما خانتها الظروف أو فانتها الفرص. لأنها أحرزت من الفتنة مقداراً كان يسبى عقل رب الآلهة نفسه. إذ ما انفك يقول عندما كان يتأمل مذہنة معطرة مزدانة: "ما استثر الحب بمشاعري، ولا سيطر الوجد على شغاف قلب في هوى إلهة أو هوى فانية، سيطرته عليّ عندما أشاهد بها هيرا شريكه حياتي".

وقد دعي إكسين ملك الابته ذات يوم إلى مأدبة عند الآلهة، ولما رأى هيرا وجمالها الفائق، فتن بسحرها وخلب لبّه، فرام معانقتها، فكون زفس إزدراء به غمامه بشكل هيرا ودفعها إليه. فلما شاء مخالطتها في جنون هيامه، ربط بدولاب ملتهب وقدف به وإيه في أرجاء الفضاء، جراء قحته ومحاولته الآثمة.

٥ - ولما كانت شديدة الأمانة، تسهر على قداسة الزواج، وتتفر من تفكك الأخلاق، احتمد الخلاف بينها وبين زفس بعلها الخليل، في بدء حياتها الزوجية، واشتد النزاع مرة فهجرته وعادت إلى الأرض إلى بلاد طفولتها. فاحتلال عليها أبو الآلهة ليعيدها إلى أولمبس، واصطعنع تمثلاً بهياً وأمر أن

يُطاف به وأن يذاع في كل مكان، أن هذه خطيبة جديدة لزفس أبي الآلهة. وخدعت هير باللعوبة زوجها، ودنت من العربية حاملة التمثال، وراحت بغضب متقد تمزق ثياب الضرة الغاشمة، التي تجرأت على منافستها وعلى احتلال مكانتها. ولشد ما كانت دهشتها حينما تبيّنت غلطها، ففقلت راجعة إلى السماء.

٦ - ولما رسخت قدمها، وتولّت خيانات زوجها، عقدت النية على خلعه ودفع سلطانه إلى آخر بمؤازرة بُسيدون وأثنا وأبولن، وكبتته بالسلسل وقضت على سلطته نهائياً، لو لا أن تَثِيس عمه أسرعـتـ وانتشـلتـهـ منـ تلكـ الورطةـ واستدـعـتـ افـريـارـيـسـ -أوـ كـماـ يـسمـيهـ البـشـرـ إـغـيـيـسـ-ـ إلىـ نـجـدـتهـ^(١)ـ وـنـصـرـتـهـ.ـ فـجـاءـ ذـلـكـ الـجـبـارـ مـخـتـالـاـ مـسـيـطـراـ،ـ وـجـلـسـ إـلـىـ جـانـبـ زـفـسـ رـبـ الآـلـهـةـ،ـ الـذـيـ قـمـعـتـهـ هـيـرـاـ وـاذـلـتـهـ.ـ فـلـمـ يـعـدـ أـحـدـ يـجـرـؤـ عـلـىـ مـنـاوـأـةـ زـفـسـ أـوـ التـطاـولـ عـلـيـهـ.

٧ - وحسبت هيرا مولد أثنا من رأس زفس إهانة شخصية لها. فوطدت العزم على أن تلد هي أيضاً مولوداً قديراً، دون مخالطة زوجها. فابتهدت إلى السماء والأرض وسألت التيطان المحبوبين في دياجير تارترُس، أن يؤتوها هذه البدعة. فأوتيت طلبها وأنجبت وحدها تُونَ، ذلك الشعبان الرهيب الذي جرّ على البشر ويلاط كبرى وحسرات.

٨ - وقد جرت محاولات التمرد تلك على هيرا عقوبات شديدة. فقد انهال عليها زفس يوماً باللكم والضرب، فأشفق عليها ابنها هِيْقِسْتِسْ، وانبرى ليدفع عنها زوجها التائر. فأخذه أبوه برجله وقذف به في الفضاء من ذروة أولمپس. فسقط على الأرض وتهشمـتـ ساقاهـ،ـ وبـقـيـ أـعـرـجـ مـدىـ الـدـهـورـ.ـ واقتـصـ زـفـسـ مـرـةـ أـخـرىـ مـنـ قـرـيـنـتـهـ،ـ فـرـبـطـ يـديـهاـ بـسـلـسلـةـ مـنـ ذـهـبـ،ـ وـشـدـ إـلـىـ قـدـمـيـهاـ سـنـدـانـاـ تـقـيلاـ،ـ وـعـلـقـهـاـ عـلـىـ ذـلـكـ الـوـجـهـ فـيـ السـحـبـ.

(١) راجع ١: ٢: ٣ ثم ٣: ٣ - ٣ .

٩ - فارتدعت هيرا عن ثوراتها، ولكنها صبت جام غضبها على
البائسات المائتات اللائي حظين بمودة قرينها. فقد اضطهدت إيو، وأحرقت
سميلي. بلهيب زوجها المتجلبي، وبلغت إيو شقيقة سميلي بلية كبرى، لأنها
حنت على طفولة نيونيس الذي خرج من فخذ أبيه أبي الآلهة والبشر.

ولم يقتصر حقد هيرا على حظيات بعلها، ولكنه تعاون إلى كل منافس
أو مناوئ لها. فقد أحالت شعر أنتغوني ابنة لتمدن إلى حيّات، لأنها افتخرت
وفضلت شعرها على شعر ربة السماء.

١٠ - وقد ضربت ابنتي إبريتُس ملك آرغس بالجنون والبرص،
لاحتقارهما تمثلاً لهيرا مصنوعاً من خشب. ولم تuala الشفاء بعد أن طافتا
أرجاء المملكة ترتيان أطماراً باليه، إلا بعد تنازل أبيهما للساحر ميلمبس
عن ثلثي مملكته. وقد نكبت بلداً بأسره لأن باريس قد مس خيلاءها عندما
أعطى الأفضلية للزهرة أفروديتِي، في مباراة جمال، جرت بينها وبين
الزهرة وأثنا.

الفصل الرابع

أثنا

إلهة الطهر

١ - هذه الإلهة هي ابنة زفس المفضلة^(١). وقد أثار مولدها الغريب دهشة أهل السماء، وأثار عطف زفس عليها ورعايتها لها، غيره بعض الآلهة ونقمتهم الخفية المكبوتة. كما أثار سخط هيرا، فشاعت أن تلد هي أيضاً مولوداً عظيماً تتفرد في إنجابه، فوضعت هولةً ووباءً.

٢ - لما تخوف زفس من إنذار الجدين الأولين الأرض والسماء، وتحسّب لغير الدهر وصروف القدر، ابتلع قرينته مينوس، وازدرد هكذا الفهم والذكاء والحكمة والدهاء. ودار الزمان دورته وأن الأولان الذي كان يُنتظر أن تضع فيه قرينته المبلغة مولودها، فشعر أبو الآلهة والبشر، بصداع أليم لا يطاق، واستدعى ابنه هيفستوس وشكى له حاله وقال: "تشدد يابني ولا تخف أن تنفذ ما أمرك به. خذ فأسك وشق رأسي، فعلى أرتاح من الملي المبرح ووجعي الذي لا يطاق".

٣ - ذعر الإله الحداد من ذلك المطلب، وظنَّ أن والده يتربّص به شراً ويدسّ له دسيسة. فرفض وانقلب راجعاً إلى مصنعه، فاحتدم أبوه

(١) وتدعى عند الرومان منوفا.

غيطاً ولما عرف مخاوفه، طمأنه من جديد وألح في الطب. ولما انفلق رأس زفس ببرزت إلهة ساطعة كأنها نجمة الصبح، مشوقة القد بدبيعة المحيّا، يتلألأ ناظراها كفرقيين في السحر، تحمل الدرع والمذراق، وثيابها ناصعة منمقة في منتهى الفن.

٤ - بدت تلك الإلهة على ذلك الوجه الخلاب، فضمّها أبوها بكل حنان وجعل يقبلها بكل حب. ولما شاهدتها الأرباب سطا سحرها على القلوب وخليبت مفاتتها الألباب، فزلزل أولميس من بزوغها وارتجمت الأرض والسماء، واندفعت الأمواج من مرابضها إلى قلب الفضاء. ولما رآها آرس بسلاحها، خشي في شخصها منافسة عنيدة. وبعد فترة من الزمن، اشتد الحسد في قلبه لاسيما بعد أن عرف بأسها الشديد، وجعل يقرّع أبواه قائلاً: "قد أنجبت ابنة حمقاء، همّها التخريب والإساءة، وهي معنة في العصيان والجسارة، بينما ننقاد نحن لكل إشارة وأنت موافقها على غيّها، ولا تردعها في كبيرة أو صغيرة".

٥ - اشتهرت أثنا عندهم بالبطش والقوة، وقد أدت لأبيها في حرب العماليق أخطر الخدمات وأجلّها. مما زادها حظوة في عينيه، وضاعف حبها في قلبه. فقد أجهزت على بلاس، أحد الجبابرة الصناديد الذين نازعوا أباها الملك وسلخت جلده، واستمدت منه درعاً واقية. وحملت بمركبتها وجيادها الأربع على العملاق أنكلاذس، وفتنت في عضده وكبلته بسلاسل الخزي تحت جزيرة صقلية. وانبرت لآرس إله الحروب، مختالة على مركبة ذيميدس وصرعته بضربة رمح، لما عادت أهل اطروادة وناصرت شعوب اليونان.

٦ - وإذا اشتهرت بالفروسيّة والمفاخر الحربيّة، فقد ذاع صيتها لمهاراتها في الصناعة والحاياكة وبعض العلوم أو المعارف المفيدة. فقد اطلعت أهل القيروان على فن ترويض الخيول وبينت لأرخثونيس كيف يشدّ

الخيل إلى مراكب الحرب، وأشرفـت على بناء سفينة أرْغُو، وركبت دوابـ الخراف، وصنعت الأواني الأولى، وعلمت النساء الغزل والحياكة. وقد لجأت إليها هيرا لتطرز لها ثوباً بديعاً فانتـا. فقد كانت مغرمة بفنـها هذا ولا تقبل فيها منافساً.

ويُحـكى أن فتـاة من لـذـيا اسمـها أراخـني -أو عـنكـبوتـة- مـهـرتـ في ذلك الفـنـ، وـفـاقتـ كل فـنـانـةـ أخرىـ، حتـىـ تـحدـتـ أـثـناـ نـفـسـهاـ. فـظـهـرـتـ لـهـاـ الإـلـهـةـ بـهـيـئـةـ عـجـوزـ وـحـرـضـتهاـ عـلـىـ العـدـولـ عـنـ تـحـديـهاـ الـذـيـ لاـ يـلـيقـ. ولـمـ أـصـرـتـ الفتـاةـ عـلـىـ مـوـقـعـهاـ، بـدـتـ لـهـاـ الإـلـهـةـ كـمـ هـيـ، وـقـبـلـتـ مـبـارـاـةـ الفتـاةـ. فـرـسـمـتـ أـرـاخـنيـ مـوـضـوـعـاـ دـقـيقـاـ، يـتـنـاـولـ غـرـامـيـاتـ الـآـلـهـةـ وـمـضـتـ تـطـرـزـهـ بـإـقـانـ. ولـمـ فـرـغـتـ مـنـ عـلـمـهـاـ الـفـنـ عـرـضـتـهـ عـلـىـ نـدـتـهاـ أـثـناـ. فـأـكـبـتـ الإـلـهـةـ تـنـعـمـ النـظـرـ فـيـهـ ولـمـ تـأـكـدـتـ أـنـهـ لـاـ عـيـبـ فـيـهـ، حـنـقـتـ وـأـحـالـتـ أـرـاخـنيـ إـلـىـ عـنـكـبوتـةـ، تـفـرـزـ الـخـيـطـانـ مـنـ جـسـمـهـاـ وـتـحـيـكـهـاـ فـيـ حـرـكـةـ دـائـمـةـ.

٧ - وقد عـزـواـ إـلـيـهاـ اـخـتـرـاعـ المـزـمارـ. وـذـلـكـ أـنـ الإـلـهـةـ أـثـناـ بـعـدـ أـنـ قـتـلتـ الغـرـغـوـانـةـ مـذـوسـاـ، أـرـادـتـ أـنـ تـصـوـرـ زـفـيرـ الـهـوـلـةـ الـقـتـيلـةـ. فـاستـبـطـتـ تـلـكـ الـآـلـهـةـ السـمـجـةـ. وـانـبـرـتـ فـيـ مـحـفـ الـآـلـهـةـ تـنـفـخـ فـيـهـاـ بـحـمـاسـ. وـلـمـ رـأـيـ الـآـلـهـةـ خـدـودـهـاـ مـنـفـوـخـةـ عـلـقـواـ يـهـزـؤـونـ وـيـسـخـرونـ. فـحـنـقـتـ أـثـناـ وـنـرـفـرـتـ وـرـمـتـ بـتـلـكـ الـآـلـهـةـ الـبـشـعـةـ. وـلـمـ التـقطـهـاـ الصـطـرـ مـرـسـيـسـ اـقـتـصـتـ مـنـهـ الـآـلـهـةـ بـشـدـةـ.

ويـقالـ أـيـضاـ إـنـ أـثـناـ بـعـدـ قـتـلـ الـهـوـلـةـ مـذـوسـاـ، تـلـقـتـ دـمـاءـهـاـ فـيـ وـعـائـينـ، وـأـهـدـتـهـاـ لـأـسـكـلـيـوـسـ. دـمـ الـورـيدـ الـأـيـمـنـ فـيـ وـعـاءـ، وـدـمـ الـورـيدـ الـأـيـسـرـ فـيـ وـعـاءـ، لـأـنـ الـأـوـلـ يـعـيـدـ إـلـىـ الـحـيـاـةـ وـالـثـانـيـ يـوـردـ مـوـرـدـ الـمـوـتـ. وـقـدـ أـحـيـتـ هـكـذاـ الـمـهـنـدـسـ اـمـنـسـكـلـيـسـ بـعـدـ أـنـ رـفـعـ مـنـ شـاهـقـ، وـهـوـ يـشـرفـ عـلـىـ بـنـاءـ الـأـرـوـقـةـ الـتـيـ تـجـمـلـ هـيـكـلـهـاـ فـيـ أـثـنـاـ.

٨ - وـعـطـفـتـ أـثـناـ عـلـىـ المـدـنـ كـمـ عـطـفـتـ عـلـىـ الشـعـوبـ. وـكـلـ شـعـبـ حـوـىـ تـمـثـالـاـ لـهـاـ أـوـ لـصـدـيقـهـاـ الـمـحـبـوـبـةـ بـلـاسـ، كـانـ لـاـ يـقـهـرـ فـيـ الـحـرـوبـ. وـلـهـذـهـ

التماثيل الصغيرة روایات، منها أن أثنا ذات يوماً كانت تلاعب بلاس ابنة مربّيها أترتونیس، فقتلتها دون ما تعمّد. وشق عليها الأمر كثيراً، ففتحت في جذع شجرة تمثلاً لحبيبتها الراحلة، يمثّلها أفضل تمثيل. ووضعت التمثال أمام رفس، فألقى به رفس على أرض إيلين. وبني له إيلس هيكلاً، فكان حزاً وواقية منيعة للبلاد. ولم يستطع اليونان أن ينالوا من عزّة اتروادة، حتى سرق انسقُسْ وزِيمِيس ذاك التمثال الغالي، فانخلع قلب أهلها، وسطاً عليهم اليونان ونكبوهم أية نكبة.

٩ - أحبّ أثنا اليونان، وفضلتّ منهم شعب أثينا. فهي إلهتهم المعبودة وشفيعهم المشفعة، وباسمها دعيت مدینتهم. ومن أفالاتها الكبرى عليهم هبّتها لهم شجرة الزيتون. وذلك أنها تنافست ذات يوم هي وبُسِدون إله البحار، وطالبت أمم كِيرُبس، أول ملك على أثنا، بحماية الأنكي كإلهة خاصة وشفيعة، فضررت الصخر برمحها وابتت شجرة زيتون. وأما بُسِدون فأخرج من الأرض برمحه المشعب جواداً شامساً. فنصرها الآلهة، لدى التحكيم، على خصمها. وغدت هكذا أثينا شفيعة محبوبة ونصيرة.

١٠ - وهي في نظرهم، إلهة الحرب وإلهة السلام العادل أيضاً. إنها إلهة الذكاء والفهم، وطائرها المفضل هو اليوم، لأنّه يخترق الليل بنظره الحاد، كما يخترق الذكاء ظلمات المجهول وديجوره. وهي علاوة على ذلك إلهة العمل كما رأينا. وإلهة الفلسفة والفنون الجميلة والآداب. وفوق هذا كلّه فهي عندهم إلهة العذراء الطاهرة. وقد دعوا هيكلاً في رأس مدینتهم البرثون أو هيكل العذراء شاده لها ابن هِيْقُسْتُس إِرْخَنْقُسْ، عندما تبناء كِيرُبس وأضحى ملكاً على أثينا، اعترافاً بفضل الإلهة التي حدّبت عليه وربته واعتنت بأمره.

١١ - وقد أقام لها أعياداً، أشهّرها الأثينيّا. وقد نظمّها بعده شِفسْ، وأطلق عليها اسم بَنَاثِينِيّا، أي أعياد أثنا الحافلة، يشترك فيها كل الأثينيين في

تطواف فخم، وألعاب مختلفة فروسية ورياضية، وحفلات أدبية روائية وشعرية وموسيقية. وكانت هذه الأعياد الكبرى تقام كل أربع سنوات، وتجري فيها مباريات ومنافسات في الرياضة والرواية على تعدد أنواعهما. ويذهبون المنتصرين فيها جوائز مختلفة، من جملتها أكاليل من ورق الزيتون. وقوارير من الزيت المقدس.

١٢ - ويزفون للإلهة في تلك الأعياد البليس الشهير، وهو رداء فضفاض جميل وثمين جداً، تعنى بحياكته وتطريزه فتيات شريفات في أثينا مدة أربع سنوات، ليكون جاهزاً في أعياد أثنا الحافلة. وبعد إنجازه كن يضعنه على سفينة سحرية، تموج على اليابسة بجهاز سري. وغب عرضه على تلك السفينة ليرى الجميع آثار الإلهة مطرزة عليه، ويقرأوا أسماء الأبطال الذين حملتهم، ومشاهير الرجال الذين أغاثهم، يحملنه من الكرمكوس وهو محله كبرى في أثينا، مزداناً بالهياكت والأروقة الجميلة والملاعب والمسارح، يأخذنه إذن ويصعدن به في موكب فخم على البرشتون في قمة المدينة، وهنالك يقدمنه للإلهة العذراء.

١٣ - وكما خصت الشعوب برعايتها وعطفها، خصت الأبطال أيضاً بعونها وحمايتها. وقد دافعت عنهم، لأن هيرا قستهم وتحامت عليهم، كما قست أمهاطهم وتحامت عليهم. فلما باشر هرقليس بن زفس وألكمني أعماله المجيدة، لزمته أثينا وناصرته وبلغته الهدف. فهي التي أعطته صنوجاً من نحاس رجر بها طيور بحيرة استيمفلاس. وهي التي رافقته إلى الجحيم عندما قمع فيها كلها الشرس وحارسها كيرفرس، وجاء به إلى الأرض. وهي التي في نهاية مطافه، استقبلته على اعتاب السماء ودخلت به محفل الآلهة. ولذا اعترف البطل بفضلها وقدم لها كأي شكرٍ وإكرام ومحبة، تقاح الذهب الذي جناه من حدائق المغاربيات في أقصى المغرب.

٤ - وحامت أثنا بِرْسِفَسْ بن زِفْس وَنَاعِي، في حملته على الغُرْغُونِسْ، ولما حَوَّل نظره عن الهولة لَثْلَا يَسْتَحِيل إلى حجر، سَدَّدَتْ أثنا يَدِه لِيَحْزَ عَنْق العَجُوز الْبَشْعَة، ويقطع رأسها الثعباني. وقد أهدى في ما بعد الرأس المخيف إلى ربته ونصيرته، فوضعته على ترسها لِتَجْمَد وَتَبَيَّسَ كُلَّ من يَنْظَر إِلَيْهِ.

وأصل العداء بين أثنا وَمُذُوسَا إِحدى العجائز الثلاث، إن هذه خلافاً لأختيها كانت على شيء ساحر من الجمال، فأحبها بُسْدُونُ لبهائها ورونق شعرها الطويل. فاستحال على عقاب وخطفها. ووقع بها في أحد هياكل أثنا وعرفها هناك. فاشمأزت الآلهة صاحبة المقام، وفي سخطها على انتهاك قداسة المكان المقدس، جعلت سحنة مُذُوسَا مُنْكَرَة شنيعة هائلة. وأحالات شعرها الجميل إلى حيَايا زافرات.

٥ - وساعدت أثنا فَلَرُفُونَ عندما وَطَّ العزم على قتل خِيمِرا، تلك الهولة الضاربة التي لها من الأسد رأسه ومن تيس الماعز جسمه، ومن التنين ذيله. وهي ترمي بالحمم من فيها والشرر من عينيها. فأهدت الإلهة البطلة لجاماً من ذهب، ليحيط بيَنْجَسُسْ، ويجهز على الوحش المفترس.

وأخيراً درأت المخاطر عن أنسِفَسْ في عودته من اطروادة على إثاكى موطنها. ولما تاه في البحار زماناً طويلاً، ومضى تليمسُسْ في طلبه، بدت الإلهة في هيئة مُنْتَرَ الحكيم، وسَدَّدَتْ خطاه إلى مقر أبيه المفدى.

٦ - ولم تُبْدِ أثنا لأصدقائها من البشر تلك العناية وذلك العطف إلا لكرم أخلاقها وطيبة قلبها. ولم تنسق إلى ذلك بعامل الهوى أو الشهوة المنحرفة المسيطرة على الآلهة والبشر. لأنها وحدها بين سكان السماء أغرت بالطهارة كما أغرت غيرها بالعهارة، وحافظت على البتولية بكل حرص محافظتها على أنفس الكنوز وأكرم الجواهر وأقدسها.

ولذا بينما كانت تستحم ذات يوم مع وصيفة لها من الجن في إحدى البحيرات، مرّ بها اتفاقاً العراف تِرسيس. ولما أبصرها بلتة الإلهة بالعمى، لغطة لا تعمد فيها. وعثباً تدخلت الجنية خِرْكُلو في الأمر، وطلبت العفو عن العراف البائس، فلم تلن الإلهة ولم ترجع عن قرارها، ولكن نظراً لحسن نيتها منحه روح العرافة: فغدا مكفوف البصر مرهف البصيرة.

١٧ - وشُغف هِيَقِسْتُس بأشنا أخته وراودها كثيراً وحاول جرها إلى مأربه. ولكنها كرهته واشمأزت من مناوراته. وذات يوم قصدت مصنوعه والتمست منه بعض الأسلحة، فأمسك بها وشاء اغتصابها. فهربت مغضبة مهددة صاحبة، وأبدت له كل ازدراء ونفور. لكن الإله الأعرج لحق بها وكاد يكرهها. فدافعته ومنعه أخيراً ولم يقض منها وطرا، بل أفسد على الأرض الجدة الكبرى، فولدت له في الأوان إِرْخُثُونُيس. فأخذته أشتا وعهدت بتربيته إلى بنات الملك كِرْبُس. لكن الإلهة دفعته إليهن في صندوق، وأمرت البنات الثلاث أن لا يفتحن الصندوق. فتقيدت واحدة بالأمر، وأما الاتنان فحداهما الفضول إلى فتح الوعاء. ولما رأتنا ثعباناً ملتفاً حول الرضيع اعتبراهما الجنون فطّوحتا بنفسيهما من أعلى الحصن في رأس المدينة. وأما الولد قد شب وترعرع وملك بعد كِرْبُس على أثينا، وحوّط إلهته المحبوبة وحامية طفولته، بالتجلة والعبادة والإكرام.

الفصل الخامس

أبولن

إله النور والفن

١ - مولد أبولن وتأسيس هيكله في ذلفي

١ - لا يُعرف بالضبط شيء من أصل اسم هذا الإله. وهو عندهم أبهى الآلهة وأكثراهم ضياءً ورونقاً وإشعاعاً، ولا عجب لأنَّه إله النور وضياء الشمس، ولا اختلاط له بجرائمها أو امتراج، لأنَّ الشمس كنجم أو فرقَد سماويٌّ إلهٌ خاص، يدعى هيليس، يركب مركبته ويحجب أجواز الفضاء وينير الأرض والسماء.

وبما أنَّ أبولن إله الضياء، فهو الإله الذي يحيي ويميت، مرسلًا سهامه كأشعة الشمس. وهو إله الزرع والضرع ينمي النبات ويحمي القطعان: إذ يقتل الجرذان والحشرات الضارة بالزرع، ويقصي الوحش الضاربة الفاتكة بالضرع.

إنَّه إله العِرافة خصوصاً والإنباء بالغيب، وأشهر معابده في جزيرتي ذيليس وتنيدس، وفي مدينة أكلارس، من أعمال إينيا، وباترا في لكتا، وثلة بلنيتس في روما، وكيمي من أعمال كمبانيا وذلفي من أعمال فكبس.

٢ - ففي تلك المعابد كلها، ولاسيما في معبد ذلفي، كانوا يستشيرونه ويستمدّون منه العون والتَّأييد، لمباشرة أعمالهم الخطيرة، من رحلات وحملات واستعمار أرض، وبنيان الصروح والمعارات، ووضع الشرائع

والقوانين. ومن ثم فقد عدوه إلـ الـ بـنـائـين وـإـلـهـ الـبـحـار، وـعـلـوـةـ عـلـىـ ذـلـكـ كـلـهـ، فقد كان إـلـهـ الـموـسـيـقـىـ، وـإـلـهـ الـطـرـبـ وـالـغـنـاءـ، يـضـرـبـ عـلـىـ الـقـيـثـارـ أوـ النـايـ، وـيـبـهـجـ مـعـ جـوـقـتـهـ مـجـالـسـ الـآـلـهـةـ وـوـلـأـمـهـمـ.

٣ - وـيـزـهـوـ أـبـوـلـنـ بـيـنـ الـآـلـهـةـ بـجـمـالـهـ الرـجـوليـ، كـمـاـ تـرـهـوـ أـثـاـ أوـ أـفـرـدـيـتـيـ
بـالـجـمـالـ الـأـنـثـويـ. تـصـوـرـوـهـ بـهـيـةـ شـابـ بـهـيـ الطـلـعـةـ نـقـيـ الـمـحـيـاـ، أـجـرـدـ ذـيـ شـعـرـ
طـوـيلـ يـدـاعـبـهـ النـسـيمـ، وـتـمـتـلـوـهـ تـارـةـ عـارـيـاـ وـطـورـاـ مـرـتـدـيـاـ جـلـبـاـ مـوـشـىـ، وـالـقـيـثـارـةـ
بـيـدـهـ أوـ إـلـىـ جـانـبـهـ. شـارـاتـهـ الرـمـزـيـةـ الـقـوـسـ وـالـجـعـةـ وـعـصـاـ الـرـعـاـةـ وـالـقـيـثـارـ.
وـحـيـوانـاتـهـ الـمـحـبـبـةـ الـتـمـ وـالـبـازـ وـالـعـقـابـ وـالـغـرـابـ، وـالـدـيـكـ وـالـصـرـارـ وـالـذـئـبـ
وـالـأـفـعـوـانـ. أـمـاـ النـبـاتـاتـ الـتـيـ تـسـرـهـ فـهـيـ الدـلـفـةـ وـالـزـيـتونـةـ وـالـنـخـلـةـ وـالـطـرـفـاءـ.

٤ - أـمـهـ لـتـوـ الـبـيـضـاءـ اـبـنـةـ كـيـسـ وـفـيـبـيـ، وـقـدـ عـاـشـرـهـاـ زـفـسـ وـصـاحـبـهاـ
قـبـلـ اـقـتـرـانـهـ بـهـيـرـاـ أـمـ الـخـفـ الـعـسـجـدـيـ. هـذـاـ مـاـ زـعـمـهـ هـسـيـدـسـ وـهـوـمـرـسـ
وـلـكـنـهـ صـورـوـهـاـ فـيـ مـاـ بـعـدـ كـسـرـيـةـ لـزـفـسـ، وـقـدـ نـكـلـتـ بـهـاـ هـيـرـاـ تـتـكـلـاـ
وـلـاحـقـتـهـاـ وـاضـطـهـدـتـهـاـ.

فـلـمـاـ حـمـلتـ لـتـوـ بـعـدـ مـخـالـطـةـ زـفـسـ، وـدـنـاـ وـقـتـ وـضـعـهـاـ، رـامـتـ لـهـاـ مـحـلاـ
لـاقـأـ لـتـضـعـ اـبـنـهـاـ إـلـهـيـ. فـسـأـلـتـ بـقـاعـاـ كـثـيرـةـ الـواـحـدـةـ تـلـوـ الـأـخـرـىـ وـاستـأـذـنـهـاـ
بـذـلـكـ. لـكـنـهـاـ كـلـهـاـ رـفـضـتـ عـلـىـ رـحـبـهـاـ وـاتـسـاعـهـاـ، تـحـسـبـاـ مـنـ سـخـطـ هـيـرـاـ. وـهـكـذـاـ
لـاـ أـلـتـكـيـ وـلـاـ إـيفـيـاـ وـلـاـ لـاثـرـاـقـيـةـ وـلـاـ جـزـرـ الـبـحـرـ قـبـلـتـ أـنـ تـؤـوـيـهـاـ. وـلـمـ يـوـجـدـ أـخـيـرـاـ
غـيـرـ أـسـتـيـرـيـاـ أـخـتـهـاـ لـتـجـرـؤـ عـلـىـ ضـيـافـتـهـاـ. وـذـلـكـ أـنـ أـسـتـيـرـيـاـ عـنـدـمـاـ لـاحـقـهـاـ
زـفـسـ، اـسـتـحـالـتـ أـلـاـ إـلـىـ سـمـنـةـ ثـمـ عـلـىـ جـزـيـرـةـ جـمـيـلـةـ.

٥ - قـرـتـ عـصـاـ التـرـحالـ بـلـتـوـ فـيـ جـزـيـرـةـ نـيـلـسـ الـعـائـمـةـ عـلـىـ وـجـهـ الـغـمـ،
وـلـكـنـ صـعـوبـةـ كـأـدـاءـ كـانـتـ تـعـتـرـضـ وـلـادـتـهـاـ. لـأـنـ هـيـرـاـ أـقـسـمـتـ بـنـهـرـ اـسـتـكـسـ،
أـنـ مـنـافـسـتـهـاـ لـنـ تـلـدـ إـلـاـ فـيـ الـظـلـامـ. فـنـصـبـ بـسـدـنـوـنـ مـيـاهـ الـبـحـرـ كـفـبةـ فـوـقـ
الـجـزـيـرـةـ، وـدـعـمـ الـجـزـيـرـةـ بـأـرـبـعـ أـعمـدةـ، إـذـ مـاـ بـرـحـتـ نـمـوجـ حـتـىـ بـعـدـ أـنـ شـدـهـاـ
زـفـسـ إـلـىـ الـقـاعـ بـسـلاـسـلـ مـنـ أـلـمـاسـ.

ولم حُمِّ الأولان حضر الآلهة ليساعدوها في الولادة، وتختلف هيرا وحدها واستبقيت عندها قابلة الآلهة إلبيثيا، تسعه أيام وتسع ليال. ولتو تعاني في تلك الغضون آلام الطلق المبرحة، حتى أشفق عليها الآلهة، فانطلقت إيريس سفيرة الخالدين وصديقة هيرا ووصيفتها، ونجحت في وساطتها، وأحضرت القابلة المتخلفة. "وعندئذ أمسكت لتو بجذع شجرة، ووطئت بركبتيها المرج الأخضر وابتسمت لها الأرض تحتها، وطفر أبولن إلى النور. فصاحت الإلهات من الفرح، وأخذت فيبيس المتألق، وغسلته بماء متفرق في صفاء البلور وألبسته ثوباً ناصعاً البياض، وشددن خصره بحزام من نصار^(١) وبعدهما وضعت مولودها الذكر، عادت وأعقبته بأخت له هي الإلهة أرتميس أو ديانا عند الرومان.

٦ - بعد مولد أبولن وأرتميس، خافت لتو مكайд هيرا الثائرة، فهربت إلى بلاد الترميت، في ليكيا إحدى مقاطعات آسيا الصغرى إلى جنوبها الغربي. ولما أفضت إلى ضفاف بحيرة صافية الأديم، وقد بلغ منها الضنى والتعب كل مبلغ جلست على شاطئ البحيرة، في ظل شجرة وارفة وانتمست من رعاية هبطوا بقطيعانهم إلى البحيرة، قليلاً من الماء تروي به غليلها. فما اكتفى الأوغاد بالرفض، ولكنهم أقبلوا على المياه العذبة يعکرونها ويثيرون أوحالها الراكدة. وعندئذ استشاط غضب الإلهة، فأحالتهم وقطيعانهم إلى ضفادع حقيرة تنق في الغسق على ضفاف البحيرة.

٧ - وأبولن في صغره، لم ترضعه أمه، خلافاً للأطفال الآخرين. لأن ثميس جدته مسحت شفتيه الناعمتين برحيق العنبر، وأطعمته النكتار طعام الآلهة. فرمى بقمهه جانباً، وأحرز قوة اليافعين من الرجال، وما عتم أن استعملها في قتل بثون تلك الأنثى الرهيبة من الثعابين، وقد ولدتها غيئاً الجدة الأولى، لتحضن تيفن التنين الضاري.

٥ - (١) من نشيد يعزى لهومرس.

كانت هيرا في اتقاد غضبها قد قررت أن تغتال لتو عدوتها الكبري، فأطلقت بثُون من حجرها لتهجم على لتو وتنفذ سمهما في أعضائهما الغضة، وتميتها ونقتل معها ولديها. ولكن بُسُدون حماها وطفليها، فارتدت الحياة إلى سفح جبل بارنسُس، فاشلة خائنة هي والتي أرسلتها.

- ٨ - وما كاد أبولن يبلغ اليوم الرابع من عمره، حتى تشدد وترعرع فهب كالشبل وانطلق يبحث لنفسه عن مكان يشيد فيه هيكلًا ليعبد الناس. فتسليح بما سن له هيوفيس من سهام، واندفع يجوب الآفاق ويقطع البحار، حتى بلغ إكرساً. وهناك أشارت عليه جنية اسمها تلقوسا، رامت المحافظة على مقاطعتها، بأن ينحدر في فجّ بارنسس الموحشة، كانت تأوي إليه الحياة بثون. وعندما رأت الأفعى الضخمة الإله، انقضت عليه بضراوة. ولكنه بسرعة البرق رشقها بأحد سهامه المحرقة، فصعدت في مكانها. ولما استعادت شيئاً من القوة، انسابت إلى أجمة قريبة، وجعلت تتلوى من الألم الكلوي، وما عتمت حتى لفظت أنفاسها الفدراة، وسط نهر من الدماء. فجاء الإله الطفل وركسها برجله، قائلاً: "افطسي الآن حيث أنت يا لئيمة، لأنك تحاملت على من لا ذنب له. فليهلك مثلك كل رجس شرير".

قال ثم اعتزل في وادي تمبي، في مقاطعة تسليا، ليكفر بما لحقه من نجاسة، في مقتل الأفعى بثون. ولما قضى سنة التكفير عاد مظفراً يواكب رهط من كهنة الأرض، إلى مقامه المفضل إلى خليج ذلفي. وقد مثلوا انتصاره وتکفيره، في عيد سبتيريا. وقد أقاموه كل تسع سنين.

- ٩ - ولما اختار تلك البقعة الوداعة، بنى لنفسه مذبحاً في غابة ظليلة مقدسة. ثم علا هضبة وراح يسرح بصره إلى طرف الأفق، فوق اللجة اللازوردية، المتألقة بأنوار الأصيل، المشربة من ضيائه العسجي. وإذا لم يكن له من يشرف على هيكله وشعائر عبادته، رأى على الغمر السحيق، مركباً يتهدى فوق اللجة. فدنا أبولن من السفينة، بهيئة دلفين وديع، وارتوى على جسرها بين النوتية. فلما رأى البحارة الحوت الصغير بينهم "جزعوا

وأخذهم الذهول. وقفز الحوت إلى البحر، ولم ينقد المركب بعد للقططان، بل شرع يسير وراء الدلفين، إلى أن بلغ الشاطئ. وحينئذ تجلى لهم أبولن بجماله الإلهي، وأقامهم سدنة لهيكله، وكهنة يشرفون على عبادته. وكرّمهم إكراهاً وأسبغ عليهم فيضاً من الخير والنعيم.

١٠ - وخصّ بعنایته كاهنته العظمى، التي دعيت باسم بئونسا نسبة إلى الأفعى بثون. لأنه بعد مقتلها، سلخ جلدتها ولفّ به منصباً، كانت تجلس فوقه كاهنته العرافة. وقام هيكل أبولن في ذلفي، إلى جوار كهف مشقق، عميق الشقوق جداً. وبين الفينة والفينية كانت الأبشرة تصعد من تلك الشقوق، فتجلس بئونسا فوق منصبها، ويستولي عليها روح العرافة، وتأخذ تتباً في سيل من الكلام الغامض المتقطع، يلقطه الكهنة ويضمون أطراقه، ويؤدونه جواباً لمن يسألهم عن الغيب، من الحاج والزائرين.

٢ - بطولة أبولن

ومقامه السامي بين الخالدين وعبوديته

١ - عرف أبولن بمآثر جليلة ومفاخر كثيرة. فإذا رمى الهدف بنباره فهو لا يخطئ. وتطاول مرة إيفاليتس وأخوه أوتس على هيرا وأرتميسيس، وعزما على اختطافهما للاقتران بهما عنوة. وجدوا محاولة التيطان، وقد صدأ فتح أولمبس وشرعا ينقلان الجبال إلى الجبال، ويركمان التلال فوق التلال. وإذ شعر الخالدون بذلك، انبرى أبولن للعتيين الفاحشين، ورشق كلّاً منهما بنبل قتال، فأحبط المؤامرة الجريئة، وصد الجبارين عن قصدهما. وعلم أبولن ذات يوم، أن العملاق تينيس تجاسر على والدته لتو ونال من شرفها، فأجهز عليه في ثورة غضبه، وأعدم السفيه الحياة.

٢ - وسطا على ممر يؤدي إلى ذلفي جبار شديد اسمه فُرقاس، ما انفك يسلب الحاج زادهم، ثم يدعوهم إلى المبارزة، فيصرعهم وينكل بهم ويقتلهم.

فتصدى له الإله بهيئة مصارع، وقضى عليه بلكرة على أنفه أفقدته النسمة.
واشتباك يوماً أبولن مع هرقليس، لأن البطل المغوار سأله العرافة عن أمر فلم
 تستطع تبيانه. فحق ابن زفس وحمل منصب العرافة ومضى به. وبينما هو
 في الطريق، عارضه أبولن، ورام انتزاع كرسي النبوة. وحميت المعركة
 بين أبولن وخصمه القهار، حتى تدخل الوالد في الأمر وراضى هذا وذاك
 وأمن الصلح بينهما.

ولما اعنى أغمنتون تحت أسوار إيلين على كاهنه أخريسيس، سلط أبولن
 وباله مدة تسعه أيام على جنود أغمنتون، وأنزل منهم فيالق إلى دياجير الجحيم.

٣ - ونظرأً لكماله السامي وجماله السابي العقول، احتلّ أبولن في
 السماء مكانة مرموقة عالية، وعطف عليه أبوه زفس، وحوطه بدلائل الإكرام
 فإن دخل مقر الآلهة، نهض له المحفل كلّه، وأقبلت عليه لتو أمّه، وانتزعت
 منه الجعة والقوس، وعلقتها بأسطوانة العرش. وبش له أبو الآلهة وقدم له
 بإكبار، العنبر ورحيق النكتار، في كأس من الذهب النضار.

إلا أن رب الأرباب فرض على ابنه المحبوب عقوبة فاسية شديدة في
 ظرفين اليمين، تمرّد فيما أبولن وعصا أوامر القدير.

٤ - ذلك أنّ أبولن تحرب لعمته هيرا، لما نقمت على زوجها لإمعانه في
 الخيانات، والبت عليه الآلهة. فقضى زفس على بسدون وعلى ابنه أبولن، أن
 يخدما مدة عام ملك اطروادة لؤمدين. فكلّف إله البحر ببناء الأسوار، وعهد إلى
 الإله الراعي برعاية القطعان. ولما انصرم زمن الخدمة، امتنع الملك لؤمدين عن
 أداء الأجرا المستحقة. فسلط أبولن وباء على رعيته الملك، وسلط بسدون تيناً
 على الحيوان والبشر، فهلك أناس كثيرون في جشع ملوكهم الشرير.

٥ - وغضب أبو الآلهة زفس، من ابنه أبولن لأنّه قتل العمالقة الثلاثة
 الهائلين، أرغيس وافرنتس واسترنيس، أي البرق والرعد والصاعقة انتقاماً
 لابنه إكلبيوس. ذلك أن إكلبيوس برع ولمع في الطب، وأنقذ كلّ فنونه،

حتى شفى الكثرين، وأقام الأموات أنفسهم. فخشى زفس حفيده، وخفف أن يلبت البشر مخلدين على الأرض، فلا ينحدر منهم أحد إلى هاوية الجحيم، فتقرر مملكة أخيه آذس. فأمر العمالقة الثلاثة بصنع صاعقة خفية رشق بها أسكليبيوس، ولما انتقم أبولن، نفاه أبوه في حنفه وأخضعه لملك فريمة. فاخلس الإله الخدمة وساعد الملك آدمتس، وسهل اقترانه بالكستينس، ابنة بليس أحد ملوك شليليا، إذ علمه كيف يروض الوعول والأسد، ويشدهما إلى عجلة، وهذا هو الشرط الذي فرضه الملك أبوها على من رام خطب ودها.

٦ - وفي زمن عبوديته عند الملك آدمتس، كان أبولن يجلس في الغابات ويلعب بقيثاره، فيسبى السامعين بسحر فنه، فيقبلون نحوه يصغون إليه بكل انشراح، من البشر كانوا أم من الحيوان. فتتجمع هكذا حوله وحوش الغاب، ويختلط النمر الغزال، والأسد وعول الجبال. وبينما هو على تلك الحال ذات يوم، انبرى له الصطر مرسيس، ورام مباراته بمزماره، وقد التقى به بعد أن رمت به أثنا، وأنقذ العزف به وبرز. فحكمت الإلهات الموسيقى وبعض أصحاب الفن والطرب، ومن جملتهم ملك افرغيا ميدس. فحكم الجميع لأبولن بالتفوق، إلا ميدس وقد حكم لمربيس. فبدأ الإله أذني الملك بأذني حمار، وعلق الصطر المكابر بجذع شجرة وسلخه حياً عليها.

٣ - غراميات أبولن

١ - لقد أحب أبولن نظير أبيه جنيات كثيرات من عرائس الغدران والوديان، وبشريات كثيرات من بنات الملوك والأميرات. ولا يعرف له قرينة خاصة، لأنه كان شاباً طائشاً، يقتفي آثار والده تهتكه ومجونه. ولم يتمتع عن حب الشباب أنفسهم.

اعتقد أبولن أن يصطحب ربات الشعر والموسيقى، الأخوات التسع بنات زفس وامنمسيني. وتلك الأخوات مع الساعات كن يؤلفن جوقة أبولن في

حفلات الآلهة. فأنجبت له كَلِبِي ربة الشعر القصصي والفصاحة ولدين، ورزق من ثلَّياً ربة الشعر الهزلي الكُرِيفِنْتِسْ، وهم كهنة رِيَّا ابنة غِيَّا الجدة الكبرى أي الأرض. وولدت له ثَرْبِسُخُوري ربة الشعر الغنائي والرقص لِيُّنْسْ، واضع أصول النغم والإيقاع. وتصدّى يوماً لِيُّنْسْ لأبيه في فنه، فقتله ونصبوا له تمثلاً على جبل هِلْكُون، وكرّموه إكرامهم إحدى ربّات الشعر والفن.

٢ - وبعد هؤلاء ولد لأُبُولَنْ مواليد كثيرة من الجنيات. ولكن عرائس الوديان أو الغدران لم تكن جميعها تتقاد له على جماله الأسماى. وقد مانعته هذه أو تلك ممانعة جافية عنيفة.

ففي أيام عبوديته عند آدمنس، لقي ذات يوم على ضفاف نهر بَنِيَّسْ جنية بديعة. ففتنه حسنها ورام أن يصادقها ويقترن بها. فقالت له: "إن النهر أبي قد خطبني لرجل شريف اسمه لِفْكِبُسْ، ولا سبيل أن آخذك". ولم تكن ذَفْنِي ابنة نهر شِلَّيلِيَا، تحب سوى ذلك الإنسان. فشق الأمر على أُبُولَنْ وعزّم على الاقتران بها عن محبة أو قهراً فتوقع مجئها إلى إحدى الغابات وأقبل نحوها مشغفاً. ولما شعرت بمقدمه أ杰لت وفرّت كالنسيم. ولكن الواله المستهام ما عَتَّم أن لحق بها، وكادت يداه تلامسها.

٣ - وفي ذلك الضيق الشديد. دعت من أعماق كيانها أمها الأرض، فانفتحت أمامها وتوارت، فأبئت الأرض في مكان اختفاء ابنتها، شجرة دائمة الخضار. ودعّيت تلك الشجرة ذَفْنِي، أو دُلفَة، باسم حبيبة أُبُولَنْ، فدنا الإله من الشجرة المسحورة، وأخذ منها غصناً وعقده على جبينه إكليلًا. ومن ذلك الحين جعل أبطال الألعاب الألمبية والبيئية يتکللون بأكاليل الغار أو الدلف، وأخذ الناس في زمن الأوبيّة، يضعون أغصان الدلف على أعتاب بيوتهم تيمناً بأُبُولَنْ، والتماساً لحمايته من الأمراض والأرذاء.

٤ - وشاهد الإله مرة من المرات، وهو يتجول في إحدى الآجام، مشهداً غريباً مدهشاً. شابة مشوقة رائعة من الجنيات تصارع أسدًا غضنفراً. فهو

يصلو علیها ويُزمر زمرة الرعد. وهي تثبت له بسالة وتلقي ساعديها حول عنقه وتحاول خنقه. فلما رأها أبولن على تلك الحال، رشق الأسد بسمه جانبي مرق به جنانه، وأقبل على الفتاة يطري شهامتها ونبلاها ورواء طلعتها، ثم نقلها على عجلة عسجية إلى ليبيا، فأنجبت له أرسنفنس.

وعرف أبولن من البشريات خيوني فولدت له فلمون. وصاحب ذيوني ابنة ميتس فأنجبت ميلتس، مؤسس المدينة المشهورة بفلسفتها الفزيائين. وأحب ابنة ملك أرغوس، فولدت له ابسميثي طفلاً دعنه لينتس وعرضته في غاب خوفاً من أبيها اكرتنس، حيث افترسته الذئاب. ولما علمت بذلك حزن حزناً عميقاً، فضحت به حالها، فحكم عليها أبوها بالموت. وضرب الإله مدينة أرغوس بطاعون فتاك، لم ينفك عن البلاد شره، حتى نفي الملك الظالم.

٥ - ولأبولن مع كروني مغامرة أليمة كلها شجو وأسى. فتلك الأميرة ابنة ملك ثيبة رأها أبولن تلعب في مرج مع وصيفاتها، فأحبابها وعاشرها وتوثقت أواصر المودة بينهما، إلى أن حللت بابنها أسكليبيوس. وتعرفت كروني على أمير من أركذيا، وقبل أوان ولادتها بقليل، تزوجت من ذلك الأمير. فأسرع الغراب وأخبر أبولن. فلعن الإله رسول الشؤم، فاسود ريشه من ذلك الحين، وأصبح للبشر نذير سوء. وعهد الإله إلى أخته ديانا أن تقتص من خليلته الخائنة، فقضت على كروني وزوجها، ونضدت حطباً للحرقة وأصعدت جثيهم فوقه. ولما أخذت كروني تحرق، جاء أبولن وانتشل الجنين، وعهد به إلى الصطر خيرن، فأقام عنزة لترضعه وكلباً ليسهر على حراسته فلما الرضيع وتعلم خصائص الأعشاب والنباتات، وغداً أكبر طبيب عندهم، ونُقل إلى مصف الآلهة.

أما أفلغبس والد كروني. فقد زحف بجيشه إلى مدينة ذلفي، وأحرق فيها هيكل أبولن. فرمى الإله بنباله المهلكة، ودهوره إلى ظلمات تارترس، حيث علق فوق رأسه صخرة ضخمة رهيبة، تهدهد دائمًا بالسحق والسلسل.

٦ - كانت اكْرِنُوسا ابنة إِرْخِتِس. فخرجت يوماً إلى حديقة في جوار الأكْرِبُولِس، وانصرفت إلى قطف الزهور. فلما فاجأها أبولن وخلالها في مغارة. ولما رزقت ابنتها إِين. أوعز أبولن إلى أخيه هِرميس، بأن يحمل الصبي إلى هيكل ذِلفِي، ليربى هناك ويكون لِلإِله.

وتزوجت أمّه في تلك الأثناء، اكْسُوُتس بن هَلِين. ولبثا عقدين زمانا. فقصدوا معبد ذِلفِي وسألَا العِرَافَة: "هل ينجبان أولادا؟ فأجابتهما: "أول ولد تلقيانه لدى خروجكما من عندي يكون ابنكما. فلما خرجا وجدَا إِين الصغير على مدخل الهِيكل، فعانقه اكْسُوُتس وتبناه. أما اكْرِنُوسا فلم تقبله ولا استلطفته، بل حاولت تسميمه، ولكن الْبِلُونِسَا العِرَافَة تدخلت في الأمر وعرفت الأميرة على ابنتها من أبولن. وأنبأت اثنا ابنا هَلِين أنه سيولد له ولدان ذُورُس وأخِيُّس، فيمسيان مع إِين آباء الشعوب اليونانية.

٧ - وصاحب أبولن أميرة اسمها ثِريئَا، فأنجبت له ابنا دعاه كِنْس. وصادق كِنْس رفيقاً له كان يخرج معه إلى الصيد. ثم أعرض فيليُس عن خليله كِنْس فارتدى هذا في بحيرة واختنق. ولما رأته أمّه على تلك الحال، زجت بنفسها في البحيرة وماتت. فأحالهما أبولن إلى تمرين جميلين، وعرف ذلك الطائر عندهم باسم كِنْس.

وأغرى أبولن كريني، فولدت له إِذمون وهو أحد الذين اشترکوا في رحلة السفينة أرغو. وخصه أبوه بروح العِرَافَة، كما خص بها ابنته بامس من خليلته إِفْنِي، فأصبح أصل سلالة اليميدية في المانيا.

٨ - ومن الأميرات الصغيرات اللاحئي مال إِليهين أبولن كساندرا ابنة بريبيمس ملك اطروادة، وقد ضاحت بجمالها أفرذيني. ففي حداثتها تركت مرة في هيكل أبولن، فالتفت الحيات حول جسمها، وجعلت تتحس لها أذنيها، ولقتها لغة الآلهة ولغة الحيوان والنبات. وبعد أن شبَت الأميرة، هام بها الإله أبولن، ولكنها هي لم تمل إليه. وأغرتها بروح العِرَافَة فضلاً عما تعرف من

لغات عجيبة. فوعنته حينئذ بنفسها ولكنها أخلفت بالوعد. واكتفى الواله المتيم بأن يحظى منها بقبلة لا غير، وفيما هو يقبل فاها سحب منها قدرة الإقناع. ومنذ تلك القبلة المشؤومة عدها الناس معتوهة، ولم يصدقوا قط إنباءها بالغيب، ولا تحذيرها من وقوع البلايا^(١).

٩ - واستمال أبولن جمال الفتیان. وله معهم شؤون وشجون. فلقد شغف الإله بکبارسس. وكان لهذا الفتی وعل فقتله عن غير تعمد، وحزن عليه حزناً شديداً. فأحاله الإله إلى سروة.

وعلق أيضاً هیاکنثس ابن ملك لکنيا أمکلاس. وكان غلاماً لطيفاً ناعماً، أحبه فریئس ریح الشمآل، كما تودد إليه النسیم زیفرس. ولما رأى كل منهما أن أبولن قد استأثر بالفتی، ملأت الغیرة قلبهما. فبینما كان أبولن يلاعبه ذات يوم ويعلمه رمي القرص، حول الشمآل اتجاه القرص، فضرب صدغ الغلام المحبوب، وسقط صریعاً يتخطب في دمه ومن النجیع المهراق على الأرض نبتت زهرة فاتنة فریدة، دعیت باسم الفقید الغالی، الذي رُفع إلى رتبة الخالدین. وفي بلاد لکنيا كانوا یقیمون عیداً سنویاً، لذكری الإله وحبيبه المعبدود، یقضون الیومین الأولین منه في الحداد وتقديم ذبائح الموتی، والیوم الثالث یقضونه في الفرح إشادة بانتقال هیاکنثس إلى الملأ الأعلى وعالم النجوم. وكأنهم رمزوا بذلك إلى أن الموت فترة عابرة، تليها حیاة البقاء والخلود. وفي حفلات الیوم الثالث كانت الفتیات الشریفات یرکبن العربات المزينة ويشترکن في المآدب الفاخرة.

(١) راجع سیرتها في الإلیاذة.

الفصل السادس

أرتميس

إلهة الصيد والسحر

أرتميس إلهة من آلهة الحقول. وتتلاقى في ذلك وأخاها أبولن. فهي ربة الصيد وإلهة الغابات. وحيوانها المفضل هو الدب. وهي إلهة النور والضياء، ضياء القمر في الليالي القمراء.

وتحمل القوس والجعبة نظير أخيها، وترسل نبالها الصائبة المهلكة. ولكنها تغمر بالخير والإنعم كل الذين يكرمونها. وبالإضافة إلى امتيازاتها فهي مع إلبيثيا الإلهة القابلة، تسهل ولادة من يدعوها من النساء ويستغيث بها. وبينها وبين أرتميس الأفسسية إلهة الخصب والتولاد بون شاسع. كما أن بينها وبين أرتميس الثracية إلهة القمر والسحر وعالم الموتى بعض الاختلاف.

٢ - تكرم أرتميس في أركذيا خصوصاً. وقد عبدوها في كل بلاد اليونان، لاسيما في اسبرطة وكريا وأثينا وألمانيا ونيلس. وخصص لها الرومان يوماً من أيام الأسبوع دعوه باسمها. وهو الاثنين أو يوم القمر عندهم. وهذا معنى الكلمة اللاتينية التي تقابل الاثنين عندنا^(١). وقد تمثلوها بشكل عذراء فتية، ممشوقة القامة نحيلة الخصر ذات محيا ناعم القيمة، وشعر مضفور ملتف حول رأسها، يحقق بها شيء من الجلال، يضفي على جمالها رونقاً ومهابة.

٢ - (١) Lunae die أي يوم القمر.

وترتدي أرتميس ثوباً قصيراً مشدوداً على الخصر، لا يتجاوز الركبتين. وتحتدي خفأً يشبه البوطين، سموه كوثرنس. أما أرتميس الأفسسية فقد لفوا جسمها كله، ما خلا الرأس واليدين، بجبة صيقه وشحت برؤوس الحيوانات: من أسود ووعول وثيران، وبرزت أثداها الكثيرة، وتجاوزت الستة عشر. فهذه إلهة الخصب، وتلك إلهة عذراء انصرفت عن الشؤون الزوجية إلى الصيد.

٣ - اعتقد بعضهم أن أرتميس هي ابنة زفس ودميت، أو ابنة زفس وبرسفوني، أو كريمة ذيونسوس وإيزيس. ولعل هذه الرواية تنطبق على إلهة الخصب وإلهة التواد.

أما أرتميس الإلهة القانصة فأبوها زفس وأمها لتو. وقد ولدت يوماً واحداً قبل مولد أخيها أبولن في السادس من شهر ثرغلدون، أي شهر أيار، وهو من أجمل شهور السنة في الرابع الشرقية، ولم تدع جزيرة أرتيغي ذيليس إلا بعد أن أضاء أبولن على الجزيرة، فسميت ذيليس المشعة.

٤ - ولما علمت أرتميس بعد أيام بنكبات أمها وبقصتها مع بثون الأفعى الرهيبة، التي أطلقتها هيرا في أعقابها، لتقضي عليها وعلى توأمها، ثارت لمحن أمها وابتغت الأخذ بأثرها في صحبة أخيها الجبار الرضيع. فحملت معه على التنين الرهيب وشاركته في قتلها وسلخ جده ورافقته أيضاً في غربته إلى مقاطعة شيليا لقضي معه زمان التكبير.

وبعد تلك الفترة، انتاحت أرتميس أرجاء أرمنيا، في وسط شبه جزيرة اليونان، وانقطعت فيها إلى حياة ريفية صرفة. ففي تلك الجبال الوعرة، وفي تلك الصرود والوديان، استسلمت الإلهة الفتية إلى الصيد. وقد مهرت فيه جداً يصاحبها ستون جنية من بنات أكتنوس، وعشرون فتاة من عرائس العدران، يسهرن على ثلاثة^(١) الكلاب، ويعنن بها ويطعمنها، ويقسمن بينها الطرائد والغانائم.

٤ - (١) الثالثة بالفتح الجماعة الكبيرة من الغنم، والثالثة بالضم الجماعة الكبيرة من الناس. ويقال عنمن لا يفرق بينهما: "فلان لا يعرف الثالثة من الثالثة".

٥ - وإذا فرغت الإلهة من عناء الصيد ومشقته، راحت ووصيفاتها تتنعم بلذة السباحة، في الجداول العذبة المناسبة بين الإجام، أو البحيرات الرائعة في الغابات. ولم تستسلم أرتميس إلى ملذات الجسد، كغيرها من الآلهة والإلهات، ولا تمنتَّت بأطيايب الحياة الزوجية. ولكنها اصطفت لنفسها شفط الحياة، وأثرت التبتل والطهر بعد ما رأت من مكاره أمها، وفرضته سنة على من رغب في صحبتها، كما فرضته على كهانها وكاهناتها. وقد ذهبت هكذا كَلِسْتو ضحية نزوات زفَس، وانزلاقة في حمأة الشهوات. فلم ترحمها أرتميس وقضت عليها بوابل من النبال.

٦ - تتلمذ حفيد كانُوس للصَّاطِر خِيْرُون، فدرِّبه على أصول الصيد، واقتى لنفسه مئة من الكلاب من ذكور وإناث، وانقطع إلى تلك الهوائية. وإذا أحَّ يوماً في مطاردة ظبي، بلغ صاف بحيرة جميلة، فوقع نظره على مشهد فته، وراح يتأمل الإلهة أرتميس، تستحم في تلك المياه، وتستجمع قواها بعد شدة العنااء. فأبصرته الإلهة العذراء وأغضبت لتماديها وجسارتَه، فأحالته إلى وضع ضعيف. وأقبلت ثلاثة كلابه تعمل فيه العض والنهاش، حتى غدا أثراً بعد عين.

٧ - ومالت أرتميس إلى جبار عنيد يدعى أريُن وصادقته وأحبته. وكان ذلك الجبار قد ولد من جلد بقرة، بال عليه زفس وبسذون وهرميس. فإذا مشى في عمق أَلِيم، بَرَزَ فوق الماء رأسه. وقد كان صياداً بارعاً، وسباحاً فريداً، وإنساناً شهماً، ذا فتنة وجمال. ولعل الغيرة نشَّهَت قلب أبولن لما رأى أخيه العذراء تحنو إليه، وتخصه بالألفة والمودة.

وإذ استسلم ذات يوم لهوایته المعتادة وراح يسبح في عرض البحر، أقبل أبولن على أخيه أرتميس وقال لها: "يا أخي الحبيبة هل لك أن تصيبني بسهم من سهامك التي لا تخطئ، ذلك الهدف البعيد، المائج على وجه الغمر؟" وما كان من الإلهة إلا أن راشت سهمها، وضررت الهدف العائم على سطح البحر، وهي تجهل ما تفعل. فأصابت صدغ أريُن، وأرددته قتيلاً. ولما بان لها الأمر جزعت جرعاً مريراً ونالت من أبيها أن يغدو برجاً من أبراج السماء هو وكلبه سِيرِيس.

٨ - ويقال أيضاً في خبر موته، إنه تطاول مرة على الإلهة وهو يصطاد معها في جزيرة خيس، فأثارت من الأرض عقرباً قتالاً يشول بذنبه، لسع كاحل أربين فأماته. واتهم بعضهم أبولن أنه دهم أخته على مذبحها وفي هيكلها بذيلس. وليس ما يثبت هذا الادعاء... وقد أجهزت مع أخيها أبولن على العملاق تيتيس عندما تجاسر وغشي أنها لتو. كما يحكى أنها هي التي قتلت ابني النفس عندما أرادا اختطافها هي وهيرا قرينة زفس. فاستحالت إلى طيبة ووقفت بينهما. ولما قصدا طعنها بالحراب، تطاعنا كلاهما وقضى كل على رفيقه. وغلبت الحيلة حيث لم تُجدِ الحيلة.

٩ - وأحببت أرتيميس، نظير غيرها من الآلهة، أن يحوطها عابدوها بدلائل التجلة والإكبار، وأن يبادروها ببواarden التمجيل والإكرام. وإن قصر مستهتر عن أداء الواجب وتغاضى عن التفخيم والتعظيم، وتمادي في غلوائه وكبرياته، ونافس الإلهة أو تتطاول، الحقّ به فوراً شديد العقاب.

أنجبت خيوني ابنة ذيئناس لهيرمس نجلاً، ولأبولن نجلاً آخرًا ودعت الأول أتولكس، ودعت الثاني فلمون.. وتباهت يوماً أمام النساء وفضلت نفسها على أرتيميس، لأن الإلهة بقيت عاقراً، وولدت هي ابنين رائعين. فلما سمعت الإلهة كلام الساخرة، راشت سهماً من سهامها النافذة، وأصمت المكابرة قتيلة.

١٠ - زفت نيوبي ابنة تانتوس وشقيقة بيليس على ملك ثيبة أمفين، فرزقت منه سبعة بنين ورزقت أيضاً سبع بنات. وزهرت نيوبي لكثره بناتها، وتكبرت على الإلهة لتو، وبلغت الخيال بها ملغاً حقرت معه الإلهة الناعمة، ورامت أن تخص دونها بالعبادة. فساء الأمر نجي الإلهة. واستسلم أبناء نيوبي إلى هوايتم المعهودة، وأخذوا يتبارون على متون الخيل وفيما هم على تلك الحال، إذا بنبال خفية تنهال عليهم وعلى خيالهم، وترديهم جميعهم صرعى على الأرض. وإذا علا العويل والصياح، وأسرعت الأخوات يندبن عليهم، أصماهن خفي النبال، وسقطن يتضرجن في الدماء. ولبثت الجث سبعة أيام،

ونيفي الشفية في ذهول شديد، ودمعها ناضب لفروط الأسى فأشفق الإلهة على
ثكلها القتال، وأحالوها إلى صخرة صماء، تتفجر منها مياه الشقاء.

١١ - ونسى آدمٌس في حفلة الزواج، أن يسبك السكب للإلهة أرتmisis.
فلما هم يدخل مخدعه، راعه حفييف الأفاعي، ولم ينج منها حتى استدرك أمره
باستغفاره الإلهة، والتکفير عن إهماله. ولما فات انفس ملوك كلذون، من أعمال
إثياً، أن يقدم بواكير غلته لأرتmisis، سلطت على أرضه هلوفاً ضارياً، عاث
في الأرض فساداً، وهلكت أسرة الملك في تعقبه ومطاردته.

ولم تكف الإلهة عن مقاومة أغممنُ، لأنه رام منافستها في الصيد
فحصرت أسطوله في مرفاً أفاليس، ولم تطلق سبيله حتى ضحى لها بابنته
إفِغينيا لكن الإلهة وقت الذبيحة، اختطفت الفتاة إلى تقريس، لتكون لها هناك،
 واستعاضت عن الفتاة بظبية. وفي ذلك المعبد النائي، كانت ابنة الملك تشرف
على ذبائح الإلهة من الضحايا البشرية. حتى قدم أخوها أريستس وتعرف
عليها بعد جهد طويل، ولم تنجّه من الموت المحتم، إلا بالهرب معه إلى
الوطن العزيز.

١٢ - وعند الفرار مع أخيها، حملت تمثال الإلهة أرتmisis ووضعته في
أحد أحياء الأنكي، المعروف باسم افرفرون. ثم نقل من هناك إلى معبد في
الأكربيوس، حيث أكرموا الإلهة ولقبوها باسم ذلك الحي، الإلهة الفرفرونية.
وحيوانها المفضل هو الدب. وقد روضوا أحد الدببة وأطلقوه في أحياهم. لكنه
اهتاج ذات يوم، وكاد يمزق شابة. بمخالبه، لو لم ينجدها ذووها ويجهزوا
على ذلك الحيوان الكاسر. فغضبت أرتmisis لدبها وسلطت الوباء على البلاد،
ولم ينج سكانها منه حتى وقفوا بناتهم الصغيرات للإلهة أرتmisis. أحياوا تلك
الذكرى الأليمة، مرة كل خمس سنوات، بعيد افرفرونيا الجميل، حيث كانت
فتنيات أثينا من الخامسة إلى العاشرة، يرتدين ثياباً بلون الزعفران، ويطفن
شوارع المدينة إلى هيكل الإلهة في رأس المدينة، بقرب حصن الأكربيوس.

١٣ - وعندما يكهر القمر، ويكمد لونه ويصفر، ويختصر في الغمام ويمزّ، كان الربع يستولي على البشر، لأن الإلهة أرتميس تفقد صفاء محياتها إذ ذاك، وتشتتيل إلى إلهة السحر وإلهة الشعوذة والتعاونيد، وتغدو إلهة رهيبة، تضرب عن بعد بالسهام وتبلو بالعقم والوباء. ولذا سميت في تلك الحال، الإلهة هكاتي ذات الوجوه الثلاثة: الفرس والكلب والخنزيرة، أو الثور والكلب واللبوة. وسميت أيضاً إلهة الطرقات، حيث تتّيه العقول وتخاف. وكانوا يسترضونها بضحايا بشريّة، أبدلها لكورغُس بأضاحي حيوانية من الكلاب والظباء والمعز.

٤ - وتوهم بعضهم أن أرتميس الأفسيّة، هي إلهة واحدة وأرتميس أخت أبولن الإلهة الصيادة. غير أن الإلهة الأفسيّة إلهة الخصب والتولاد، وهي نظير دميتّر أو برسفوني تمثّل الأرض بعطائها وخصبها وجناها. وهي إلهة كفرازية الأصل، جاءت بها وبعبادتها أمّة الأمزون، عندما أسست مدن سميرني وایقنس وكيمي ومريني وبافس. وتألقت تلك الأمّة من النساء فقط، ولم تكن تقبل بين ظهرانيها جنس الرجال. بل كانت تتنطلق مرّة في السنة نحو أمّة مجاورة تقطن غارغرة، وتضاجع الرجال فيها ثم تعود، ولا تحتفظ من المواليد إلا بالبنات، ينشأن منذ نعومة أظفارهن على الرياضة والصيد وركب الخيل، وكل أنواع الفروسية والبارزة والمقارعة.

وقد اجتاحت تلك الأمّة الباسلة المقاتلة بلاد اليونان على عهد سقّس لأنّه اختطف الأميرة انتيوبى، شقيقة الملكة هيليني. واعتاد الأثينيون أن يقدموا الأضاحي كل سنة، لأرواح تلك النسوة الغازيات الباسلات. ونازلت في لكيا من مقاطعات جنوب آسيا الصغرى هرقليس الجبار فقتل ملكتهن هيليني. ولا ريب أن بسالة الأمزونيات وطبعهن الخشنّة هي التي حدّت اليونان على تسمية إلهتهن الكبرى باسم أرتميس، أخت أبولن المشعة اللامعة.

الفصل السابع

هرميس

ساعي الآلهة ورسولهم

١- خصائص هرميس وامتيازاته.

١- أحب اليونان إلههم هرميس، لأنه في نظرهم إله الخير واليمن. وإله الرفق والتوفيق، وإله المعروف والإحسان، لا يستثنى منها أحداً. ولقد كان مقرباً إلى كل الآلهة فهيرا نفسها عطفت عليه وأرضعته بكل حنان، مع أنه ابن غير شرعي لزفف.

فهذا الإله الفلق عند انبلاج الصباح، وإله الغسق لدى إقبال الليل. فهو ينهض قبل الفجر ويبشر بقدوم زفف إله النهار، وبمقدم فيقُس الساطع يشع بشمسه. ومن ثم فهو ساعي الآلهة ورسولهم ومعتمدهم في المهام، يبلغ مشيئاتهم إلى البشر، ويمهد لهم السبل لتنفيذ مآربهم السامية أو السافلة، المشرفة أو الشائنة.

٢- وإله الصباح هذا هو رب التجار والتجارة، ومبدع اللهجات واللغات التي تلم شمل المجتمع، ومن ثم إله البيان والبلاغة. إذ يحتاجها الناس في صلاتهم المختلفة. ولذا قدموا له في ذبائحهم لسانات العجول والديوك. وهو إله المرابح والمغانم المشروعة والمحرمة، بما فيها لعب القمار، آفة الآفات الخلقية الموبقة. لأنها تجر إلى كل رذيلة. وهو إله البراري

والطرق، يقطعها بلا انقطاع ويمرّ فيها مرّ النسيم. وقد خصّه بمنعطفات الطرق ومقارقها، تقوم له فيها تماثيل نصفية، ذات أوجه عدّة، كل وجه ينظر إلى مفرق، ليهدي المسافرين سواء السبيل ويرشد الضالّين. وهو أول من صنع قيثارةً بخباء سلحافة وأهداها لأبولن. وأول من مارس الرياضة وعلم البشر ألعابها، ليؤتي أجسامهم رشاقة ورونقًا وبهاء. وإليه بالذات تعزى الملاكمه والسباق. وهو أخيراً إله الرعيان والقطعان.

٣ - تلك خصائص هرمس كإله للصبح. وله خصائص أخرى كإله للمساء. منها أنه يرعى اللصوص، ويسهل لهم ارتياحهم المنازل، للخطف والسلب والنهب. وهو الذي يرافق الأرواح بعد الحياة الدنيا، إلى مقرّها الأخير في دياميس الجحيم وظلالها. وهو الذي يواكبها في عودتها أحياناً إلى النور، إذا سمح بذلك الآلة.

ولكي يقوم هرمس بكل ذلك النشاط وكل تلك المهام، حمل بيده عصا عسجدية، وجعل على كاحليه جناحين، ومثلهما على منكبيه، ومثلهما على نقرتي جبينه الصبور أو على قبعته التي كان يحمل مثلها المسافرون. وقد تمتلوه فتى بهياً ذا قوة ونعومة، شعره كثّ مكزبر، وجسمه رشيق منور، ذا رأس لطيف ووجه نحيف، ينمّ عن العطف والمودة والرفق.

٢- مولد هرمس ومساكه.

١- قام على جبل كيني في شمال أركadia المتوسطة شبه جزيرة اليونان، كهف كبير عميق ارتادته مياً ابنة اطلس، لتلاقي فيه حبيبها رب الآلة. وفي ذلك الكهف المنفرد ولدت لزفس ابنه هرمس.

وما كاد الإله يرى النور، حتى انساب خلسة من سريره إلى خارج الكهف، وطار إلى جنوب مكينيا إلى جبال بيريما حيث كان أبولن يرعى قطuan آدمتس، وبييت معها في سفوح تلك الجبال. فاختار خمسين بقرة جميلة مكتترة. وساقها أمامه وهي تمشي إلى خلف كي لا يُعرف اتجاهها. وقد

اصطفع لأقدامه الناعمة خفّاً غليظاً من فروع الآس والطرفاء أو الأثل، واجتاز بها في ليلته تلك بلاد اليونان حتى بلغ صفاف **ألفوس** في مقاطعة إيلس. فخباها هنالك في حظيرة، وأصطفى عجاتين حوليتين، وقسمهما إلى اثنتي عشرة شقة، وقدمهما للآلهة العظام الاثني عشر، وهو من جملتهم.

٢ - وفي تلك الغضون انصرف أبولن إلى اللهو والعبث، بصحبة ربات الفنون وعرائس الجبال والوديان. ولما عاد إلى قطيعه، وجده ناقصاً. فعمد إلى رُقْيَته ليعرف السارق وتبيّن له في الحال صاحب السرقة. وكان هرميس قد تسرّب إلى سريره كنسمة الخريف أو كالبخار الخفيف. فوقف به أبولن وأخذ يشاجره ويستدل منه على مخبأ البقر. وإذا انكر الرضيع وأصرّ يشكّو من فعلة هرميس. فقهه زفس وأغرق المحضر كلّه في الضحك. وأخيراً أمر زفس نجله الطفل بأن يعيد ما سلب.

٣ - ووجد هرميس إتان رحلته سلحفاة كبيرة. فأخذ إزميلاً ونحت خباءها وعمل منه قيثارة ومدّ عليها أوتاراً. وعزف عليها أنغاماً شجية. وإذا لاحظ أن أبولن لا يفتّ يبتكر له وينظر إلى آلة الطرب برغبة، جعل يضرب عليها ضرباً مطرباً، حتى أنس إله النور واستقزه اللحن البديع، فنهض الإله الصغير وقدم له تحفته الموسيقية. فطاب قلب أبولن وأهدى هرميس عصاً من نصار، وعهد إليه برعاية القطعان، وأضحى هو ربّ الغناء والطرب. وتوثّقت عرى الصداقة بينهما، وتولى هرميس رعاية أولاد أبولن عند مولدهم، وحضن هكذا أرسنكس وإين وأسكليبيوس.

ولقي ذات يوم حيتين في قتال محتم. فأدّى منها عصاه فالنفت كلتاهم على العصا وصارتا من ذهب. فغدت تلك العصا السحرية رمزاً للسلام.

٤ - ولم يكتف هرميس بتلك اللعبة التي لعبها على أخيه أبولن. بل لعب أيضاً لعبات مماثلة على الآلهة أو الإلهات. فقد انتشل لهذا زناره ولذلك سيفه ولآخر أدوات الحداده ولإله البحار خطافه المثلث. فنفاه زفس

من السماء، وجاء هرميس يسلّي أبولن في غربته. وقد عبدوا هذا الإله في أركذيا خصوصاً على جبل كليني، وفي كريت ذات الحضارة العريقة والتجارة الواسعة.

٣- خدمات هرميس وأشهر أولاده.

١- لقد أدى هذا الإله الصالح خدمات جلّ لأبيه وأخوته الآلهة وأبناء أبيه الأبطال وإلى البشر عموماً، إذ كان نشيطاً هاماً، ذا مكر ومهارة ودهاء.

ففي حرب العمالق اعتم بقبعة آذِس، وهي قبعة الأخفي، واحتلال على هيلوس الرهيب وقتلها. ولما أمسك تفيس رب الآلهة، وقطع أعصاب يديه ورجليه، خف هرميس إلى إسعافه ووصل ما تقطع من أوتار وأعصاب، وأطلقه من سجنه المظلم. وهو الذي ألقى على آرغس السبات وفك عقال إيو حبيبة أبيه، وذبح حارسها اليقظ الجبار. وبعد مولد ذيونيس هو الذي حدب على طفولته، وحمله إلى إنور شقيقة سميلي البائسة، إلى مدينة أرخمني.

٢- ولما أسر أبناء أنفسه إليه الحرب آرس، واحتفى أثره مدة ثلاثة عشر شهراً، اكتشف هرميس مخبأه وأطلق سراحه إلى النور. وهو الذي وجد عند طانطس ابن أبيه من أبنتو الأقيانسية، الكلب الذي سرقه بندُرس من قصر زفس.

وقد ساعد هرقليس في انحداره إلى الجحيم، وشجع برسفس على قطع رأس الغرغونة، وقد ألقى بعصاه السحرية سباتاً عميقاً على معسكر أغمدن، وأتاح هكذا لأبريموس أن ينتشل جثة ابنه المحبوب هكتور. وأعطى آذِسْس عشية سرية قاوم بها رقى كيركي الساحرة، ابنة الشمس، فأحبته واستسلمت لسعادة العيش بألفته سنة كاملة. وأخيراً هو الذي أعاد روح بيبلس إلى جسده،

عندما طبخه أبوه طانطُس، وقدمه في مأدبة للآلهة. ورافق أرْفِيس في بحثه عن عقiliته إفرِنِيسي، وقاده إليها في ديميس الجحيم، حيث تتبعه الأرواح " وهي تصوّي كأنها خفافيش الظلام، ليبلغها إلى مروج الزنابق، فتنتقر هناك بعد متاعب الحياة". ولذا دعوه هادي الأرواح.

٣ - ولد لهذا الإله كغيره من الآلهة مواليد كثيرة. ولا يرون له مغامرات إلا مع الإلهات برسُفونى والقمر هكاطي والزهرة أفرُنِيتى. ولكنه أمعن في مغازلة عرائس الغابات والغران، فأنجبن له بنين وبنات اشتهر منهم ذَافِنس راعي صقلية الجميل، وبان إله الحقول في أركذِيا.

إبان منفاه في أركذِيا أحب هرميس ابنة مولاه اذرِيبيس. فولدت له ابناً ذا قرنين، ووبرٍ كوبير المعز، ورجلين كأرجل الوعول. فاشمأزت منه أمه وأهملته في إحدى الأجسام. ولveh أبوه بجلد أربن، وأتى به محفل الآلهة. فسرروا بذلك المنظر وداعبو الإله كثيراً، وهنأوه على هذه السلالة المباركة. ويروى أن بان وُلد له رميس من أنسية تدعى بنُلوبي كان الإله يراودها بهيئة تَيسِ.

وأحب هرميس من البشر أكَلَيس بنت مينس وأختها خيوني، محبوبتي أبولن. فأنجبت له الأولى كيذن مؤسس مدينة كذنِيا، وأنجبت له الثانية أفتولِكس، أكثر الناس مكرًا واحتيالاً. وقد منحه موهبة إخفاء ما يمسه من الأشياء. فسطا هكذا على قطيع سِيسِفس طاغية كورنُثس. لكن الطاغية السفاح استضاف أفتولِكس وعرف من أظلاف الذبائح، لإشارة خفية نقشها فيها، أن مضيفه هو غريميه. فأعجب أفتولِكس من مهارة سِيسِفس ومن نباتاته.

الفصل السادس

آرس

إله الحرب

١- أصل آرس وأوصافه:

أصل هذا الإله من ثراقيه وبلاد أسكثيا، وهي الآن بلاد القرم في شمال البحر الأسود، وجزء كبير من جنوب روسيا. وقد أحبه في القدم أهل تلك الأمصار، لأنهم كانوا شعوباً وقبائل تميل إلى الحروب والفتحات. وقد أكرمه اليونان أيضاً عن خوف لا عن محبة، وشادوا له الهياكل والمعابد، في أثينا وأسبرطة وألبيا.

وقد مثله فنانوهم بهيئة محارب مدرج بالسلاح، بخوذة ولامة ولحية كثيفة مسترسلة. ثم صوروه في هيئة شاب شبه عار، يلعب الحب عند قدميه، وإلى جانبه الرمح والمجن. وقد وقف له الرومان يوماً من أيام الأسبوع، وشهراً من الشهور دعواها باسمه، وهما يوم الثلاثاء وشهر آذار. وكلمة ماردي وما إليها تعني يوم مارس أي آرس.

٢- ميزاته الخاصة: شراسته وشكاسة طبعه:

١- إن آرس هو ابن زفس وهيرا. وقد أبغضه الآلهة والبشر على السواء، لقلة فهمه وشراسة طبعه وجفاء تصرفه. فهو كالضواري متعطش إلى سفك الدماء، يبطش في الحروب بطشاً أعمى، ولا يربح دوماً إذا

خاض غمارها. وأبوه في إلياذة هومرس يزجره بعنف وينتهي بقصيدة: "إنك يا غلام أبغض الأولاد إلى". فديدناك النزاع والخصام والتناحر والصدام. ولن ما لهيرا من نزوات ونزعات، ولا يكفيها مني القول لزجرها أو ردعها..".

٢ - إنه إذا نزل ساحة الوغى، امتطى جواده المطهم، وشهر رمحه وأخذ يجول ويصول صولات السباع الكاسرة، ينحر ويطعن ويقتل، ويرجف العدو بصوت دونه جلبة عشرة آلاف رجل. يواكبه الهول عن يمينه والذعر عن شماله، وتحف به كيرس إلهات النعمة، ذاتيات عطشا إلى شرب الدماء، وإنبو المتلهفة إلى الدمار والخراب.

لاغرو أن آرس كان مقارعاً مغواراً. ولكن شجاعته قامت كلها على الفتاك والبطش، بلا هوادة ولا تمييز. وحماقته هذه وضراؤته عرضته مراراً لنعمة الآلهة والأبطال.

٣ - فبينا كان في يوم من الأيام يخوض معمعة حامية الوطيس في سهول إيلين، تصدى له خصم عنيد، كلّه فهم وبأس وتمييز. وما الخصم غير أثنا ربّة الفروسية والمآثر الحربية. وإذا رأها آرس في راحة القتال، جنّ جنونه واستشاط غضباً، وهجم عليها هجوم المستميت: "أيتها الذبابة الوفحة، لماذا تثيرين الإحنَ والخصومات بين الآلهة؟ ستؤدين لي اليوم حساباً عسيراً عن كل إساءاتك إلى...". ثم صوب طعنة إلى مجنّها الحريز، الذي لا تخترقه صاعقة زفس نفسها، ففتحت الإلهة وتناولت صخرة وضربت عنق آرس. فتضعضع جسمه ورجفت ركباته، وسقط مغشياً عليه بتضرّج بدمائه. وغطى جسمه مساحة مئتين وعشرين متراً. فتبسمت أثنا وحاطبته بازدراء وشيء من الإشفاق قائلة: "أيها الغبي الأبله، ألم تع بعدكم أبدى اقتداراً وبأساً. اذهب الآن وأخبر بمصابك الأليم".

٤ - أُخْفِقَ آرَسْ إِجْمَالًا فِي مَبَارَاتِهِ الْآلِهَةِ، وَمَصَارِعَتِهِ إِيَاهُمْ. وَلَحْقَهُ الْخَرِي لِمَا اسْتَوَلَى عَلَيْهِ الْجَبَارَانْ وَلَدَا الْأَنْفُسْ، فَتَوَارَى عَنِ الْأَبْصَارِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ شَهْرًا، أَذْلَلَ فِي غَضْوَنَهَا وَذَاقَ مَرَارَةَ الْأَسْرِ، حَتَّى تَمَكَّنَ هَرْمِيسُ مِنْ وَجُودِهِ وَفَكِ عَقَالِهِ. وَلَمَا قُتِلَ هَرْكَلِيسُ كَكْنَسُ بْنُ آرَسْ، لِكُثْرَةِ جَرَائِمِهِ وَقَطْعِهِ الْطَرِقِ، أَرَادَ إِلَيْهِ الْحَرْبُ الْإِنْتِقامَ، فَنَازَلَ هَرْكَلِيسُ. فَأَجْهَزَ عَلَيْهِ الْبَطْلُ الصَنْدِيدُ وَأَثْخَنَهُ بِالْجَرَاحِ، فَعَاوَدَ آرَسْ مَقْرَبَ الْآلِهَةِ يَجْرِي أَذِيَالَ الْعَارِ. وَيَقَالُ إِنَّ زَفَسَ لِيَفْصِلَ بَيْنَ وَلَدِيهِ، أَلْقَى بِصَاعِقَتِهِ وَسْطَ الْمُتَبَارِزِينَ.

٣- مَغَامِرَاتِهِ

١ - شُغْفُ آرَسْ بِحُبِّ أَفْرُدِيَّيِّي، وَمَالَتْ إِلَيْهِ إِلَهَةُ الْخَلَاعَةِ وَالْدَعَارَةِ، لِأَنَّ زَوْجَهَا هِيفِسْتِسَ كَانَ أَعْرَجَ دَمِيَّا. فَغَازَلَهَا رَدْحًا مِنَ الزَّمْنِ، وَصَدِيقُهُ الْكَتَرِيُّونَ يَؤْمِنُ لَهُ بِسَهْرِهِ وَيَقْظَتِهِ، رَاحْتَهُ وَسَرُورُ قَلْبِهِ. لَكِنَ الصَّدِيقُ السَّهْرِيُّ يَقْظَتُ تَغَافُلَ مَرَةٍ عَنِ السُّحْرِ، فَأَقْبَلَ هِيفِسْتِسَ وَأَطْبَقَ عَلَى آرَسْ وَقَرِينَتِهِ الْعَاهِرَةِ بِالْجَرْمِ الْمُشَهُودِ. فَضَبَطَ نَفْسَهُ وَتَجَاهَلَ الْأَمْرَ لِغَرْضِ فِي نَفْسِهِ. إِلَّا أَنَّ إِلَهَ الْفَاسِقِ عَرَفَ أَنَّ أَمْرَهُ لَمْ يَخْفِ وَأَنَّ سَرَهُ قَدْ انْفَضَحَ، فَحَنَقَ عَلَى صَدِيقِهِ الْكَتَرِيُّونَ وَحَوْلَهُ دِيكًاً. وَهَذَا مَعْنَى اسْمِهِ.

٢ - وَتَظَاهَرَ هِيفِسْتِسُ ذَاتِ يَوْمٍ أَنَّهُ مَنْطَلِقٌ فِي رَحْلَةٍ طَوِيلَةٍ إِلَى جَزِيرَةِ لِيمِنُسْ. وَأَعْلَنَ عَزْمَهُ فِي حَضْرَةِ الْآلِهَةِ وَخَرَجَ. فَاسْتَبَشَ آرَسْ لِذَلِكَ السَّفَرِ وَعِنْدَمَا أَرْفَضَ الْمَحْفَلَ، قَصَدَ قَصْرَ هِيفِسْتِسَ، وَخَاطَبَ أَفْرُدِيَّيِّي قَائِلًا: "هِيَا يَا خَلِيلَتِي، هِيَا يَا مَعْبُودَتِي، فَالْقَلْبُ مَسْتَعِرٌ وَالرُّوحُ فِي اضْطَرَابٍ، تَذَوَّبُ شَوْقًا إِلَيْكَ. وَنَحْنُ الآنَ فِي أَمَانٍ، لِأَنَّ قَرِينَكَ الْأَعْرَجُ، فِي رَحْلَةٍ طَوِيلَةٍ إِلَى جَزِيرَةِ لِيمِنُسْ، جَعَلَهَا زِفَسٌ مَوْفَقَةً".

قَالَ وَأَخْذَ بِيَدِ الْحَبِيبَةِ وَعَانِقَهَا بِشُغْفٍ. فَمَضَتْ مَعَهُ إِلَى مَخْدَعِ هِيفِسْتِسَ، وَقَدْ سَرَّهَا مَقْالُ الْمُتَيَّمِ الْوَلْهَانَ. وَلَكِنَّ إِلَهَ الْأَعْرَجِ بَاغَتَ الزَّانِيَنَ، وَأَطْبَقَ

عليهما بشباكه. وذلك أنه في تلك الغضون، قد أعدّ شبكة ناعمة دقيقة لا ترى، في متانة لا توصف. فلما أمسك آرس في جريمه، صاح بأعلى صوته ونادى محفل الآلهة وقال:

٣ - "يا زَوْسِ وَأَنْتَمْ يَا مُعْشِرَ الْخَالِدِينَ، هَبُّوْ مِنَ الرَّقَادِ وَانظُرُوا هَذِينَ الْفَاسِقِينَ. إِنَّ الْخَلِيْعَةَ افْرُذِيْتِي تَمْتَهِنُ عَاهِتِي وَدَمَامِتِي، وَتُعْجِبُ بِجَمَالِ هَذَا الْفَظْ وَرَشَاقَتِهِ. هَا هَمَا مُسْتَلْقِيَانَ عَلَى سَرِيرِي، وَلَكُنْهُمَا لَنْ يَسْتَلِمَا بَعْدَ إِلَى هَنَوْةِ النَّوْمِ. وَهَذِهِ الْأَغْلَالُ لَنْ تَبْرُحْ مَطْبَقَةً عَلَى الْقَحْةِ وَالْفَسْقِ، حَتَّى يَعِدَ لِي زَرْفِسِ إِلَاتُوْتِي فِي هَذِهِ الْفَتَاهِ السَّمْجَهَ".

وَالْأَنَّمِ الْآلَهَهِ فِي قَصْرِ النَّحَاسِ، وَاسْتَولَى عَلَيْهِمُ الضَّحَكُ فَتَرَهُ طَوِيلَةً، وَاسْتَلَقُوا عَلَى الْحَضِيْضِ مِنْ شَدَّتِهِ. وَخَزِيِّ الْفَاسِقَانِ خَزِيًّا مَا بَعْدَهُ خَزِيًّا. وَمَا أَفْرَجَ عَنْهُمَا هِيَقْسِتُسُ حَتَّى تَعْهَدَ آرسُ بِالْتَّكْفِيرِ عَنِ الْإِثْمِ. فَفَرَتْ أَفْرُذِيْتِي إِلَى جَزِيرَةِ كَرِيتِ، وَأَمْتَ مَدِينَةَ باْفُسِ. وَهَرُولَ آرسُ عَلَى جَبَالِ ثَرَاقِيَّةِ، وَهُوَ لَا يَدْرِي كَيْفَ يَمْحُو لَطْخَةَ الشَّنَارِ. وَقِيلَ أَنَّ أَفْرُذِيْتِي وَلَدَتْ لَآرسِ ابْنَةَ دُعْوَاهَا هَرْمُنْيَا، وَتَزَوَّجَهَا كَادْمَسُ مَلَكُ ثِيَّبَهُ.

٤ - وَوُلْدُ لَآرسِ مِنْ آغْلَفُرُسِ ابْنَةِ سَمَوْهَا أَكْبِيِّ. فَاعْتَدَى عَلَيْهَا ابْنُ بُسْدُونِ هَلْرُوتِيُّسِ وَخَالَطَهَا. فَقَتَلَهُ آرسُ وَانْتَقَمَ لِشَرْفِهِ. فَسَاقَهُ بُسْدُونُ أَمَامَ مَحْفَلِ الْآلَهَهِ الْأَثْنَيْ عَشَرَ، وَعَقْدَوَا جَلْسَتِهِمْ عَلَى هَضْبَةِ بِإِزَاءِ قَمَّةِ الْمَدِينَةِ فِي أَثِيَّنَا. فَبِرَأَهُ الْمَحْفَلُ وَدَعَيْتَ الْهَضْبَةَ "تَلَةَ آرسِ" أَوْ آرِيسَ باْغُسُ. وَمِنْ ذَلِكَ الْحَيْنِ مَا انْفَكَ مَجْلِسُ الْقَضَاءِ الْأَعْلَى عَنِ الْأَثْنَيْيَيْنِ، يَعْقُدُ جَلْسَتِهِ عَلَى تَلَكَ التَّلَةَ، لِلنَّظَرِ فِي الْقَضَايَا الْجَنَائِيَّةِ.

٥ - وَوُلْدُ لَآرسِ مَوَالِيدِ كَثِيرَوْنَ، مِنِ الْجَنِيَّاتِ أَوِ الْبَشَرِيَّاتِ. وَأَشْهَرُهُمْ كَكْنُسُ الَّذِي قَتَلَهُ هِرَكْلِيُّسُ، لَأَنَّهُ كَانَ مُجْرِمًا وَلَصًا، يَقْطَعُ الْطَّرَقَ فِي وَادِي تَمَبِيِّ. وَذِيْمِيَّدِسُ أَحَدُ مُلُوكِ ثَرَاقِيَّةِ. وَإِنُومَوْسُ بْنُ هَرَبِيَّنَا بَنْتُ نَهَرِ آسُبُسُ.

وقد ملك على بِيْسَا وهي مقاطعة بقرب الْمَبِيا في شبه جزيرة اليونان. فلما
كبرت ابنته هِبْدَمِيَا أقبل الأمراء يخطبون ودها لما ازدانت به من جمال.
لكن الأب رفض دوماً خوفاً من نبوءة أُنْبِئَ بها، ومفادها أن صهره قرين
هِبْدَمِيَا سوف يقضي عليه ويملك مكانه. وأخيراً ظن أنه يمنعها من الزواج
ويؤمن النبوءة المشؤومة، إذا فرض على طالبي الزواج سباقاً تأكيد النصر
فيه، لأن أباه آرس كان قد أهداه خيلاً مجنحاً يطارد الريح. فتقدم على
المباراة سبعة عشر أميراً غلُبوا جميعهم على أمرهم، فقتلهم وعلق
رؤوسهم على أسوار مدinetه. وأخيراً تقدم بيُلُس بن طانطُس ونال من عم
أبيه بُسذون خيولاً مطحمة ذات أجنة وحوافر ذهبية لا تعرف الملل
والكلل، وبالاتفاق مع حوذى إِنْوَمُوس وابنته الأميرة هِبْدَمِيَا، احتال على
الملك المستبد، وخلخل إحدى عجلات مركبته. ولما آن وقت السباق واندفع
الملك على مركبته يسابق الريح، انقلبت المركبة وقتل هو ل ساعته، وربح
الأمير بيُلُس وتزوج هِبْدَمِيَا.

وأحب آرس إحدى النساء، فولدت له ولداً وماتت وقت الولادة ولكن
آرس سهر على الولد ورضع إلى وقت الفطامة ثدي أمّه الفقيدة.

الفصل التاسع

هيستس

إله الصناعة

١- أصله ونشأته

١- يبدو أن عبادة هيستس انطلقت من لكيَا في الجنوب الغربي من آسيا الصغرى. وترعرعت في جزيرة لمنس البركانية، ومن هناك اجتاحت الأنكى فبلاد اليونان الصغرى والكبرى وخصوصاً جزيرة صقلية.

هذا الإله عندهم إله النور والنار والبروق والشرار، ولعل عرجه يشير إلى تعرج الصواعق في انقضاضها. وهو إله ودود محسن، يسدي إحسانه إلى الآلهة والبشر. وإله صناع ماهر يتقن غاية الإتقان صنع المعادن على اختلافها، ويتقن في صوغها. ويبلغ من فنه فيها حدود الإبداع والإعجاز.

٢- إن هيستس هو ابن هيرا وزفس. والأغلب أنها حبت به قبل اقترانها الرسمي بأخيها زفس، أبي الآلهة والبشر. ولكي تخفي فعلتها، اختلفت تلك البدعة، وادعت أنها ولدته دون أن تعرف أباها زفس، على زعم هسيدس.

ولما ولد هيستس، ألفته أمه دمياً شنيعاً مخلعاً، فألقته من ذرى السماء فهو الرضيع البائس في اللجة. فاللتقطته ثيتيس ابنة نرفس،

وإفرونيمي ابنة أكتنوس، وعالتاه وخيّباته في كهف مظلم. فلبت تسع سنين يصوغ للجنتين العطوفتين عقوداً من الذهب وتيجاناً، وقروطاً وأساور وحلٍ مختلفة مدهشة.

٣ - وأرسل ذات يوم إلى أمه هيرا عرشاً متألقاً من النصار الخالص. فابتهرت لمرأه وجلست عليه باعتزاز، وأحاط بها الآلهة ينظرون إلى العرش وصاحبته الفاتنة. ولما كثرت الجلة حولها، همت بالنهوض تبغي العزلة والهدوء ولشد ما كانت دهشتها عندما تبيّنت أنه لا سبيل إلى ذلك. وحاول الآلهة إيهاضها فلم يفلح منهم أحد. وأخيراً عرفوا أن صغيرها المنبوذ، صاحب الآية الفنية الفاتنة، يستطيع فك عقالها السري. فأنفذا إليه آرس، فجاء ساخطاً يتهدد ويتوعد، وأقبل نحو الإله الصغير وتوهم أنه يسوقه عنوة. فدفعه وطارده الإله الحداد بالسبائك المتأوجة وكواه كياً مؤلماً، فعاد أدراجه فاشلاً خائباً، ولبث هيفستس في كهفه السحيق في أعماق المحيط.

٤ - فلجاً الآلهة إلى ابن سميلي، إلى فاكخس ربب الكرمة، وتودد لابن عمه بلين، ولاطفه وداعبه طويلاً، وسقاه رحيقاً مشعشعاً فتمل. وعندما طرب من نشوة الخمرة، أركبه صهوة بغلة فارهة، ودخل به قصر الآلهة. غير أن الإله الحاذق، لم يفك أسر أمه حتى وعدوه بالزهرة الزاهرة، إلهة البهاء والفتنة الساحرة. ولكنه لغمه أخطأ الاختيار.

وبعد تلك اللعبة الطريفة، توقّت الصلات بين الابن والأم، ونسى المنبوذ حقده السابق، وانبرى يوماً يدافع عن هيرا، عندما أغلط لها زفس الضرب والشتم، وأنقل رجليها بالحديد، وعلقها بين السماء والأرض. فأخذه حاشد الغيوم بتلابيبه وقذف به في الفضاء الرحب. فهو هيفستس يقلب في الجو، ولبث هكذا طيلة النهار من الصباح الباكر حتى الأصيل، وعندئذ سقط في جزيرة لمنس، وهو يكاد يلفظ أنفاسه، وتهشمّت عظامه ب تلك السقطة. لكن أهل الجزيرة عالجوه، وضمدوا جروحه وجبروا كسوره، وبقي أعرج من ذلك الحين.

٢- حدّاد الآلهة وصائغهم البارع

١- وعاد هيفستس إلى السماء، لما صفا الجو بين هيرا وزفس. وقبل أن ترف إليه زوجه، بنى قصوراً لآلهة أولمبس، وابتلى لنفسه قسراً منيماً، من الفولاذ والشبه النقي. ورصع تلك الأبنية الفخيمة بالذهب والجارة الكريمة، وأهدى الآلهة عروشاً جميلة ومناصب ذات حركة ذاتية، تتمايل بمشيئة أصحابها. واستبط لنفسه تماثلين حيين، كلاً منها بهيئة عذراء، يتوكأ عليهما في حال العناء لتقل جسمه وضعف ساقيه.

ولما شغر منصب الساقى وكفت هيفي ربة الصبا، عن تقديم كؤوس النكتار، ازدلف هيفستس يجر ساقيه ويحجل متخلعاً بين صفوف الآلهة ليقوم بتلك المهمة الدقيقة. فقهقه المحفل كله واستولى عليه الضحك فترة طويلة، فخجل الأعرج المخلع، وهجر مقر الخالدين، وقصد جزيرة نكُسُس، وحاول الاستيلاء عليها، ليقيم مصانعه فيها. فصده عن قصده نُيونسُس، لأنها جزيرته المحبوبة. وقد اختارها لراحته واستجمامه. فلم يشاً أن يلوث جوها بغازات المصانع وأن يعكر صفوها بأزيز المطارق.

٢- عندئذ هجرها هِفِسْتَسْ عن رضى، ومارس صناعته المحببة، في براكين جزيرة لمنُس. وهدير تلك البراكين، كان يبني الناس بوقع مطارق إله الحداد، ومطارق معاونيه العمالقة، أصحاب العين الواحدة المستديرة، والجثث الشبيهة بالجبال. فهؤلاء العمالقة يشبهون العمالق الثلاثة أبناء الأرض، الذين قتلهم أبوُنَن انتقاماً من أبيه لابنه إله الطب. وساعدته أيضاً إبناء من الجنية إثلياً ابنة هيفستس. والأمر غامض لا يعرفه أنهمابنا رفس من الجنية إثلياً ابنة هيفستس. والأمر غامض لا يعرفه بالضبط أحد. ويقال إن هيرا حنقت على إثلياً عندما افترن بها زفس، فاختبأت في أعماق الأرض من نفقة هيرا، حتى كبر ولادها وعادا إلى النور. ولذا سُمِّيَا العائدين إلى النور.

ومن جزيرة لِمُنْس، هاجر هِيفِسْتِس إلى جزر لِبَارِي قرب صقلية واقترن هناك بِكُفُرِو بنت ابْرُقُس فأنجبت له أبناءه ومساعديه في صناعته، الكافري. وتعرّف هناك على الجنية إِنْتَأَ ابنة المحيط، واقترن بها فأنجبت له على الأغلب، الحدادين الكبيرين الملقبين باسم بَلْكِي.

٣ - ولما اقترن هِيفِسْتِس بإثنا، أُوشِكَ المدخر من المعادن في جزر لِبَارِي على النفاد، فأقنعته زوجته المحبوبة أن يهجر تلك الجزر الصغيرة، المتداعية المهددة دوماً بالانهيار، ويؤمِّ جزيرتها الرحبة الراسخة وموطنها الجميل المفدى في جبال صقلية البركانية. فاذعن لنصح زوجه، وركّز مصانعه نهائياً في بركان إثنا وفي كهوفه الواسعة ووضع سداته الأكبر على رأس الوحش الأكبر تِفُنُ، الذي تصدى لجبروت زِفس. فإذا ارتعشت أرض الجزيرة ومادت جبالها واندلع اللهب والدخان من فوهات براكينها، فما ذلك إلا لتململ الوحش ومحاولته اليائسة للإفلات من إغلاله الوثيقة، تحت تلك الجبال.

٣- مآثر هِيفِسْتِس وأيات فنّه

١ - خلا قصور الأولمّبُس وعروشها العسجدية، صاغ هِيفِسْتِس صولجاناً لزِفس، كما سبَّك له بعض صواعقه. وركّب عجلة هِيلِيس، وسقى أسمهم أبولُن ونبال أرْتِمِيس ومنجل نِمِيتِر وخوذة هِرَكْلِيس. وهو الذي جهز سلاح بِلْفُس وإنْفُس وأَخْلِفُس. ونمّق عقد هِرْمِنِيا عقيلة كَادْمُس وناج أَرِيَانِي وصولجان أَغْمِنْنُون، وأيات أخرى مدهشات.

ولا نريد أن نغفل في هذا المقام، العجول النحاسية القاذفة من خطمها شرراً ولهيباً، ولا كلاب اللجين والذهب التي أهداها إلى الكينوؤس، ولا عملاق الشبه القائم على حراسة الشجرة العجيبة في كريت. ويدذكر أنه هو الذي كون بَنْذُوراً من ماء وطين، ونفح فيها نسمة

حياة، وشوقها بأكيليل من نصار، وزفها إلى إبمثفس. كما أشرف بذاته على تكبيل ابرمثفس فوق قمم الكوكاز. وشق رأس زفس لتخرج منه أبيهى الآلهة، إلهة الطهر أثنا.

٢ - وقد انقاد هيفستس تماماً لمشيئة أبيه أبي الآلهة، وحضر الأرباب على إجلاله والإذعان لأوامره. وكم مرة حرض هيرا على الخضوع والتجمل بالصبر إزاء نزوات قرينه: "تأسى واصبر يا أماه، مع انجراح مشاعرك، فإذا رأيتاك تُضربين، فلن أستطيع إغاثتك، على شدة تألمي، إذ لا يمكن التصدي لزفس، أبي الإلهة والبشر. هذا، وعلى كل حال، فلا رونق للآداب ولا بهجة للولائم، إذا ساءها التناقر والخصام، فلذة العيش كلها في التصافي والوئام^(١)".

٤- غراميات هيفستس:

١ - لقد اقتنى الإله الحداد بالزهرة أفرذيتى. غير أن الإله الدميم أخطأ في اختياره وجلب لنفسه المتابع والهموم. فاللهة الجمال والعهارة، ما انفك تخدع زوجها وتعكر هناءه بلا انقطاع. وقد رأينا انتقامه منها ومن خليلها إله الحرب.

ومتابعيه مع الزهرة الذهراء، لم تحمه من الولع بإلهة الطهر. ويحكى أنه فرض على أبيه زفس، لقاء شج رأسه وشقه، بأن يزوجه العذراء البارزة إلى النور. فقبل أبو الآلهة ورفضت ابنته أثنا.

٢ - (١) راجع إلياذة هومرس ن ١٨٦ ش ٣٧٦.

الفصل العاشر

الزهرة افرذيتى

أو إلهة الأنوثة والجمال

١- أصلها ومنشأها وميزاتها.

١- أصل الزهرة، في الغالب الأعم، أصل شرقي فينيقي. وعدها الأقدمون إلهة الحب في أسمى مجاليه المشرفة، وفي أحطّ ظواهره الزائفة.

فأفرذيتى الأرضية، أي الزهرة السماوية، كانت إلهة الحب النقى، إلهة الحب المثالى، في طهره وصفوه وقداسته. وأفرذيتى النمفيّة، أي الزهرة المتزوجة، كانت تسهر على الزواج، وتقرّب سبل عقده. ولذا أكرمتها العذارى والأرامل والتمسن منها أزواجاً أمثال.

أما أفرذيتى باندمس بُرني، أي الزهرة العمومية الفاسقة، فهي إلهة الزنى العاهرة، وإلهة الدعارة الفاجرّة، وشفيعة الفساق والبغایا.

٢- أكرموا الزهرة أفرذيتى في كل بلاد اليونان والرومان. ولكن عبادتها تجلت بالمجالى الثلاثة التي أشرنا إليها. وأهم مراكزها مدينة بافس في قبرص، وكثيراً في كريت. ومن أفحى معابدها هيكل اكتينيس في كريا، وهيكل جزيرة كوس في بحر إكار^(١) على الساحل الجنوبي الغربي من سواحل آسيا الصغرى، وهيكل جبل إركس في صقلية.

٢- (١) راجع السياسات ١: ٢: ٥ ح .

وقد عبدوا الزُّهرة بُرني في ثِيبة، حيث نحتوا لها تمثلاً في قرون السفينة التي حملت كَادْمُس، من فنيقيا إلى بلاد اليونان، عندما أخذ يبحث عن أخته أُرُوبَا، لما خطفها زفس، وتحول عجلًا لتلك الغاية. وعبدوها أيضاً في أثينا حيث تمثلوها جالسة عارية على متن تِيسٍ. وازدهرت عبادتها خصوصاً في إيقُسُس وكورِنُش، حيث انبرت المومسات رسمياً لتكهن لها.

وعبدوا الزهرة العروس في إسبرطة، وفي نافبكتُس من أعمال فكيس، على الخليج الكورنثي. أما الزُّهرة السماوية فقد شادوا لها الهياكل في سكيوني وآرغس وأثينا.

٣ - وتمثلوا إلهة الجمال في أزياء ومواقف كثيرة، تمت كلها أو جلها إلى الإغراء، والإثارة الحسية والجنسية. وقد عمدوا لتصويرها ونحت تماثيلها، إلى أشخاص حية نظير الغانيات والمومسات الشهيرات من أمثال لئيس وافرنبي وackerٰتي وcamfiss خليلة الاسكندر، فصوروها عارية في أوضاع مختلفة، كلها غواية واستفزاز. ومن هذا القبيل، تماثيل ابرُكستيليس التي تصور مولد الزهرة وبروزها من المياه. ويرزّ هذا الفنان عندهم وبلغ غاية الإبداع. وقد اشتمأز بعض الأقدمين من تلك الرسوم الخليعة، نظير أهل جزيرة كُوس عندما أتوهم بتمثال مثير لإلهتهم^(١).

٢- مولد الزهرة وتحكيم بارِس:

١ - زعم بعضهم نظير هُومُرُس، إن الزُّهرة ابنة زفس من ذِيوني بنت المحيط وتِيسٌ. والحقيقة أنها عمنه، أخت أبيه zaman، من جدّه أرَنوس. فلما جدع zaman أباء السماء، وطفا عضوه المبتور فوق اللجة، امترجت دماءه

- (١) راجع السياسيات لأرسسطو، طبعة ١٩٥٧ حريصا، ٧: ١٥: ٨ في هذا المقام يقول أمير الفلاسفة: "قليعن الحكم بألا يمثل رسم أو تمثال أو شيء آخر، قباحة من تلك القبحات، إلا في هيكل بعض الآلهة، ومن يدع لهم الشرع هزلهم الخلاعي".

بمياهها، وأرعدت وأزبدت فبرزت حينئذ إلهة ساحرة، تسبى القلوب والعقول،
شقراء لجينية البشرة، كلها اعتدال وكمال، وفتنة وسحر وجمال.

دفعها النسيم الرقيق إلى جزيرة كثيرة. فنظرت الإلهة إلى الجزيرة، من فوق محارتها اللؤلؤية، ولم تتوقف. وتابعت مسيرتها إلى قبرص. فتقبلتها الساعات وشوفتها أبدع شوفة، وزينتها أفخر زينة، وعصبت شعرها الذهبي بأكليل من الماس، فبدا جبينها وكأنه نبراس، وتألق محياتها كفرقد الصباح، والحب عن يمينها والشغف عن يسارها، وطارت بها الأخوات الاثنتا عشرة إلى ديار الخلد أولمبوس. فلما رأى الآلهة الساحرة البهاء تشرق البسمة على محياتها الوضاء اغتبطوا في قلوبهم غالية الاغتباط "وتنمى كل منهم أن يأخذها لنفسه" ويوليها على جوارحه مدى الأحقاب.

٢ - فأثار سحر الإلهة الفاتنة مع الأيام، كامن غيره هيرا وأثنا، وغيره إلهة الصيد أرتميس. فمع كل جمالهن الخلاب، لم يحظين في نظر الآلهة حظوة الزهرة الجذابة الفاتنة، ولا سببن قلوبهم كما سببها الإلهة الجديدة. ففي دقائق جسمها الإغراء وفي كل تقاطيعها البهاء، بينما كن يوحين المهابة. وقد حزمت خصرها بزنار، عُرف من بعد بزنار الزهرة، طرزاً تطريزاً بديعاً، "حوى صنوف الغواية، وكل هيام وشوق وحب، كما حوى الحديث الناعم الظريف، والضحك المحبب، وسحر العيون ونشوة الحنين، مما يسببي عقول الحصفاء، فأحر بقلوب الجهلة الأغيباء"^(١).

٣ - وفي حفلة زفاف ثيتيس ابنة إله البحر بزفس، إلى قرينه البشرى بلفس، دعي محفل الإلهة الخالدين، ولم تدع إيرس إلهة النزاع، إلى كهف خيرون في جبل بيلين، حيث أقيمت أفراح الزفاف فمررت الإلهة الخدام والنفاع، ورمت تقاحة ورببة، لذيدة شهية، في علبة عسجية، عليها كتابة واضحة جلية: "للإلهة الفاتنة البهية، المتفوقة بروعتها الشجية، وسحر الطلعة والجانبية".

٢ - (١) راجع هسيدس: مولد الآلهة.

ألقت التفاحة وتوارت بسرعة، فطالبت بها هيرا وأثنا وأفرذتي. ولما طال الأخذ والرد، وحمي النزاع واحتدم الخدام، أمر أبو الآلهة والبشر أن يحكم الخلاف حكم ساذج من أولي الإنصاف، واختار لذلك الأمير الراعي بارس، ابن ملك اطروادة ابريمُس.

٤ - فقد رسول الآلهة هرميس الإلهات الثلاث المتنافسات، إلى جبل إيدا في أفرغيا، حيث راح الأمير بارس يرعى قطعان الأغنام والنيران. ولما مثلت الإلهات أمامه، سبّين حواسه وقلبه ولبه. وبعد أن عرف ما حضرن لأجله. رفض التدخل في أمرهن، لثلا يصيّبه من حكمه البلاء. ولما أمره هرميس بالخصوص لمشيئة أبي الآلهة زفس، قبل بمهمة التحكيم.

فوفقت به هيرا في مهابة وجلال، وقالت له: "يابني إن منحتي الجائزة المشتهاة، في هذه المنافسة والمباراة، دفعت إليك ملك آسية بلا عناء ولا مبالاة". ومثلت أمامه أثنا في رشاقة ووقار وقالت له: "أيها الفتى المختار إن نصرتني في هذه الساعة، أوليتك النصر في كل معمعة". أخيراً جاءته الزهرة ربة الجمال في كثير من الغنج والهرج والدلال. وفكّت الزنار وخلعت الإزار، وقالت: "يا أخي بارس، إنك لأبهى من كل فارس، فلست أنا من المحاربين الأشاؤوس ولا أهديك ممالك فارس، ولكنني أزف إليك أبدع الأواني".

قالت فوق اختياره عليها وساق جائزة الفوز إليها. فأمست في نظر الإلهة والبشر ملكة الجمال وإلهة العهر. وجر الحكم المنساق وراء الهوى، صنوّفاً من الأهوال والويلات على نفسه وبلاذه، بسبب تهوره وتفضيله المنحاز. وحرب اطروادة شاهدة على هذا.

٣- مغامرات الزهرة.

١ - إستعر الهيام في قلوب الآلهة، إذ رمتهم أفرذتي من سحرها بسهام. ورماه كل منهم أن يسعد بها، وأن ينعم سرماً بألطافها ومحاسنها. ولكن القدر المسؤول جعل إلهة الجمال من حظ الحداد الدميم الشنيع كالبيوم.

فأنفت تلك الصحبة الكريهة، وراحـت تتعزـى بـقوـة آرس وـدعاـبة هـرميسـ. وـحـصل لـهـا مع آرسـ ما حـصـلـ. وـرـبـ الجـولـةـ هـيفـسـنـسـ وـضمـ الضـاحـكـينـ إـلـيـهـ وـأـخـرـىـ العـاشـقـينـ المـسـتـهـنـرـينـ.

وـتأـثـرـ الـآـلـهـةـ كـلـهـمـ، مـاـ خـلاـ هـسـتـياـ وـأـثـناـ وـأـرـتـمـيسـ، بـسـلـطـانـ أـفـرـذـيـتيـ، لـأـنـهـاـ "ـأـزـاغـتـ عـقـلـ رـبـ الـآـلـهـةـ زـفـسـ، وـأـغـوـتـ روـحـ الـيـقـظـةـ، وـقـرـنـتـهـ بـنـسـوـةـ مـائـنـاتـ". إـلـاـ أـنـ أـبـاـ الـآـلـهـةـ خـدـعـ الزـهـرـةـ الـغـاوـيـةـ أـفـرـذـيـتيـ، وـأـلـهـبـ فـؤـادـهـ بـحـبـ رـجـلـ فـانـ "ـفـاهـتـاجـتـ الـإـلـهـةـ بـغـرامـ أـنـخـيـسـ مـلـكـ اـيلـينـ. الـذـيـ كـانـ يـضـاهـيـ الـآـلـهـةـ بـحـسـنـهـ وـجـمالـهـ".

٢ - فـتـوجـهـتـ نـحـوـهـ إـلـىـ جـبـلـ إـيـذاـ، وـعـرـجـتـ فـيـ طـرـيقـهـ عـلـىـ جـزـيرـةـ قـبـرـصـ، فـجـاءـتـ هـيـكـلـهـاـ فـيـ باـقـسـ، وـتـزـينـتـ بـأـبـهـيـ زـيـنـةـ، وـضـمـخـتـ إـلـاهـاتـ الـأـنـافـةـ وـالـلـطـفـ جـسـدـهـاـ بـأـفـخـرـ الـأـطـيـابـ،ـ وـجـعـلـنـ أـسـاـورـ فـيـ مـعـصـمـيـهـاـ وـعـقـدـاـ فـيـ عـنـقـهـاـ وـتـاجـاـ عـلـىـ رـأـسـهـاـ. وـرـاحـتـ الـإـلـهـةـ تـصـدـعـ فـيـ الـجـبـلـ وـتـلـةـ مـنـ النـمـرـةـ وـالـأـسـوـدـ وـالـسـبـاعـ، وـتـواـكـبـهـاـ وـتـقـفـزـ حـولـهـاـ، وـتـدـاعـبـ أـهـدـابـ ثـوـبـهـاـ. فـأـنـسـتـ الـإـلـهـةـ بـهـاـ وـأـلـقـتـ الـحـبـ فـيـ قـلـوبـهـاـ.

وـلـمـ بـلـغـتـ مـكـانـ مـحـبـوبـهـاـ، وـتـكـرـتـ لـهـ وـتـظـاهـرـتـ أـنـهـاـ اـبـنـةـ مـلـكـ أـفـرـغـيـاـ أـتـرـفـسـ، وـأـضـافـتـ: "ـمـاـ قـوـلـكـ فـيـ وـصـلـ مـنـ يـطـلـبـ وـصـلـاـكـ؟ـ"ـ فـامـتـلـ رـغـبـتـهاـ وـمضـىـ بـهـاـ إـلـىـ قـصـرـهـ وـقـضـىـ الـلـيـلـةـ مـعـهـاـ. وـلـمـ أـصـبـحـ الصـبـحـ، وـأـشـرـقـ لـهـ الـإـلـهـةـ بـضـيـاءـ الـأـلوـهـةـ، وـفـذـهـلـ وـارـتـعـدـ وـأـشـفـقـ عـلـىـ نـفـسـهـ مـنـ شـيـخـوـخـةـ مـبـكـرـةـ، إـذـ هـذـاـ مـصـبـرـ كـلـ إـنـسانـ يـخـالـطـ إـلـهـةـ. فـطـمـأـنـتـهـ وـسـكـنـتـ مـاـ جـاـشـ فـيـ قـلـبـهـ مـنـ وـسـاـوـسـ. وـلـمـ دـارـ الـزـمـنـ دـورـتـهـ، وـأـنـجـبـتـ لـهـ اـبـنـاـ كـرـيمـاـ هـوـ إـنـيـسـ التـقـيـ النـبـيلـ، وـذـيـ بـرـ بوـالـدـهـ.

٣ - وـلـمـ تـهـوـ اـفـرـذـيـتـيـ ذـلـكـ الـفـانـيـ فـقـطـ، بـلـ عـلـقـتـ مـائـنـينـ آخـرـينـ، نـظـيرـ آذـنـ وـفـتـنـوـنـ بـنـ إـرـوـسـ وـكـفـلـيـ، وـذـيـ خـفـتـهـ الـإـلـهـةـ، وـأـقـامـتـهـ عـلـىـ هـيـاـكـلـهـاـ الدـنـسـةـ سـادـنـاـ لـيـلـيـاـ.

واشتهر في أَمْثُوس، إِحدى مدن قبرص، نحّات مبدع اسمه بِغَمْلِيُّن، قد كره الناس لاسيما النساء، وابتعد عن عشرتهم وصحتهن. وذلك لأن زمرة من صبايا الحي، قد أنكرن ألوهة أَفْرُذِيني. فاقتصرت الآلهة منهاً وأزاغت بصائرهن، فتهتكن وبذلن ذواتهن للرائح والغادي، ولكل عابر سبيل. فاشتمأز النحّات من ذاك التصرف الشائن، وأبغض النساء لذلك. واستحال تلاك الفتيات الخليعات إلى صخور صماء.

٤ - غير أنه نحت مرة تمثال امرأة ساحرة وافتتن بجماله. ولفرط شغفه بذلك التمثال، أخذ يقبله ويضممه إليه كأنه يعانق شخصاً حياً. ولكن الرخام ما كان ليشعر بشدة ولده. وإذا راح ذات يوم يقبل تمثاله، ويغمراه ضمماً وشمماً إذا بمحبوبه يلين بين يديه، ويرد القبلة قبلتين، ويشارك العاشق حبه وغرامه. وذلك بلفترة من أَفْرُذِيني، وقد عطفت على عابدها، وأرادت أن تبرهن للجميع أنها تسيطر حتى على الجماد بسحر إغرائها، فتفجر فيه الحياة والبهجة والحبور.

وبئس الفانيات اللائي تستبدل بهن الزهرة وتتبه عقولهن، إذ يتركن بيوتهم والأهل والواجب، ويتبعن هواهن ويجلبن البؤس والشقاء على أنفسهن وعلى الأهل والوطن: نظير ارياذني وهليني. وقد شدت ابنة مينوس بسفائي حتى جامعت ثوراً. وولدت تلك الهولة الرهيبة المدعومة من توفرها.

بيد أن الزهرة كانت تسهر على الزواج الشرعي، وتحمي الأزواج والزوجات، إذا حوطوها بالعبادة والإكرام.

٥ - وقد ولّها بنون وبنات، من جملتهم هَرْمُنِيَا عقبة ملك ثيبة كادموس الفنقي. وقيل عن هذه الفتاة إنها ابنة زفس وحفيدة أطلس من ابنته إلكترا.

أما ابن أَفْرُذِيني من هِرْمِيس، فقد دعته باسمه واسم أبيه، فأصبح اسمه هِرْمَفْرُوذِيس. ولهذا الولد قصة غريبة. وذلك أن الزهرة عندما ولد ابنها هذا، أرادت أن تخفي إثمها مع هِرْمِيس، فأخذته وعهدت به إلى

جنيات جبل إيذا. فنشأ الطفل بين تلك العرائس، يتنقل من هضبة إلى هضبة، ومن واد إلى آخر. فلما شب وترعرع، في تلك البيئة الجافية، وعاش عيشة الشظف والحرمان، طبع على الخشونة والقسوة، وشيء كثير من اللامبالاة وشدة الحياة. وإذا كان في كريّا ذات يوم يتعدد بين الغابات، في صحبة حاضناته عرائس الجبال، بلغ ضفاف بحيرة ترققت مياهاها العذبة كأديم السماء، فاستهونه تلك المياه ونزل لينعم ببرودتها اللذيدة، في ذلك اليوم اللافح.

٦- وعندما صار في الماء، بدت له ملكة البحيرة، تلك الجنية الفاتنة المعروفة باسم سلمكيس، وقد سباهها جمال الغلام. فأقبلت وباحت له بحباً وعرضت عليه وصالها. ولكن الفتى اليافع خجل واصطبغ محياه بلون قرمزي وألبى الانقياد لداعف الهوى. فدنت ربة البحيرة وأخذته بين ذراعيها عنوة، وراحـت تغمره بقبلاتها وتراؤده على ذاتها، فلم يستسلم الغلام. وعندئذ لفـته بجسمها الناعم، وهتفت بمنتهي الهيام والشوق: "أيها القلب الجافي، فؤادي مستهـام بحبك وأنت لا تبالي. إنك تحاول عبثاً الإفلات من عناقي. أيتها الآلة القديرة، اسمعي دعائي وادمجي جسده بجسدي، بحيث لا ينفك عنـي ولا أنفك عنه أبداً". فتدخلـ جسده في جسمها وأمسـيا جسداً واحداً.

و قبل انصهاره في عشيقته، تمنى أن تفقد مياه البحيرة القوة لكل من يستحم فيها. و غدا هو والجنية جسماً غريباً، لا يمتاز بخصائص النساء ولا بخصائص الرجال، بل هو جسم وسط، قد أشرب من كلا الجنسين.

٤- موكب الزهرة، إرس وابسخي

١- يقول هِسِينُس في مطلع مولد الآلهة: "كان الخواء قبل كل شيء، ثم بدت غيّاً الأرض الرحيبة الصدر المترامية الأطراف، وأخيراً ظهر إرُسُ، الذي يذبل النفس ويسيطر في قلوب الآلهة والبشر طرّاً، على العقل والارادة النبوية".

فهذا الإله الذي بدا بعد الأرض حالاً من الخواء. والذي يسيطر على الكون بأسره، لأنه سنته وشريعته الأولى والأخيرة، لم يعرفه قدماء اليونان قبل هسيُّنس، ولا نجد له ذكراً في عهد هومُرس. وهو على كل حال، يختلف اختلافاً كبيراً عن إله الحب الصغير، الذي تمثله الإغريق بهيئة طفل، يحمل قوساً وجعبة، ويسدّد سهامه إلى قلوب الآلهة والبشر، ويثير كوامن حنينهم، ووجودهم وشوقهم العميق، فيقعون ضحية الهيام والغرام، وفقاً لنزوات ذلك الإله الصغير.

٢ - ولم يُعرف بالضبط منشأه. واحتلّوا بشأن أبيه، كما اختلفوا بشأن أمه. فنسبوه إلى زفس وهذا الأغلب، ونسبوا أبوته إلى آرس وهرميس وزيفرس. أما أمه فقد قالوا إنها الثّيتا إلهة القبالة. وقالوا إنها إيرس أنجبيه من زيفرس، وقالوا إنه ولد قبل الزُّهرة وكان مع رهط الساعات والهات الأناقة في استقبالها ومواكيتها إلى مقر الخالدين. ولكن الشائع الأعم عندهم، أنه ابن أفرُذيتى إلهة الجمال والغواية والهوى.

ولم يكن يحترم أحداً ولا والدته بل ما برح يصوّب إليها سهامه النافذة الناعمة وكم من مرة اضطرت إلى ضربه وتجريده من جعبته ومن أجحته. بيد أنه أسدى إليها أكبر الخدمات، وأزّرها في مشاريعها خير مؤازرة، ورافقتها دوماً وسهّل لها المهمات، ولم ينج هو نفسه من أسمهم الوجد، وقد صوبها على الجميع حتى إلى ذاته، فوقع في غرام الأميرة أبسخي.

٣ - ولفترط جمال الأميرة شادوا لها هيكلًا، فغارت منها إلهة الجمال، ووكلت إلى ابنها إرُس أمر معاقبتها، وأبلغت أباها نباً رهيباً يحلّ به وبملكته، ما لم يعرض ابنته لهولٍ هائل، في قمة الجبل المجاور للمدينة. فصعدت الفتاة إلى قمة الجبل، وهي تبكي شبابها. وواكبتها الأميرات والوصيفات بعض الطريق يلطممن ويندبن عليها، وبقيت هناك تتوقع أسوأ المصائر، وتترنّد فرائصها من مقدم الوحش الرهيب. فلما جُنَّ الظلام، إذ بنسيم عليل ناعم،

نسيم زيفرس يحملها برفق على ساعديه، ويطير بها إلى قصر بديع. وهناك أقيت على فراش وثير، وما عتم القصر حتى أحسست إلى جانبها بشخص في منتهى اللطف يلاعها ويداعبها، فأنساها كل همومها. ولما أنسست إليه، طلب منها الامتناع عن تبين شخصه، والاطلاع على صفات محياه.

٤ - لبنت الفتاة تردد إلى قمة الجبل، وتنتقل من هناك إلى قصرها، وتعيش فيه بأتم السعادة، فحرك الفضول قلوب أخواتها وصديقاتها، فأشرن عليها أن تستجلي الأمر وتتبين ملامح الإله الذي أحبها، وصور لها بصورة وحش مخيف. فأخذت قنديلاً وقدمته من وجهه وهو نائم إلى جانبها، وإذا بمحياً ساحر فتأن لا أبهى ولا أروع. فأخذت بذلك المنظر الخلاب، وتقدمت بالقنديل من الحبيب المعبود، الذي وقفت على أمره أخيراً. وبينما هي تتأمل تلك الملامح الأخاذة، وقعت نقطة على كتف إرس الإله المعبود، فارتعش وتتبه من سباته العميق، ونظر إلى حبيبته بحزن، وتوارى عن أبصارها هو والقصر وكل فتنته. وبقيت الأميرة على صخرة صماء في عزلة موحشة. وشاءت لفروط غمها أن تتنحر، فألقت بنفسها في نهر قريب، لكن المياه حملتها من ضفة إلى ضفة سليمة معافاة.

٥ - وأبلغت الشهرة الطائرة أفرُذُيتي أن ابنها الصغير مريض حزين، فأسسه وعالجه، وسألته عن سبب حالته، فاعترف لها بكل شيء. فأنحت عليه باللامة، وأنزلت بالأميرة مهناً لا تحصى، تغلبت عليها كلها بمؤازرة خفية من إله الحب. وفي نهاية المطاف، وعدت أفرُذُيتي ابساخى أنها تعيد إليها جها المفقود، إذا انحدرت إلى الجحيم وجاءتها من عند برسفونى، بعلبة زينة قدّمتها لها إلهة الجحيم، وعندما أخذت الأميرة العلبة، حرکها الفضول في طريق العودة، وفتحت العلبة فتطاير منها دخان كريه، غشى جسمها البعض المضاهي ببياضه بياض السمور، اسوداداً داكن. ولم تستعد بياضه الزنبقي، إلا بأعجوبة من زفس. وقد استعطفه الحب لحبيبته، فأعاد نقاءها وصفاءها وآتاهما

الخلود. وزفت لحبيبها في حفارة باللغة، واشتركت في الاحتقال افْرُنْتي نفسها، بعد أن أسرف سخطها عن رضى، واستحال كرهها إلى حب. وما قصة ابسخي أي الروح، إلا قصة النفس يستهويها حب الخير والجمال والكمال، فتسقط وتشقى وتکفر، ثم تعود بالرزايا والمحن إلى جمالها الأول، وتحظى بالخلود والحياة الفضلى والهناء المؤبد.

٦ - وواكب الزهرة مع ابنها ارس، الشوق المذيب بوش، والرغبة الملحة العذبة هِيمِرس، وأحاطت بها إلهات اللطف والظرف والأناقة إحاطة الأسوار بالمعصم.

وتلك الإلهات، كما رأينا، بنات زفس وإفرنومي الثلاث: أغليّي اللامعة وافرسيني المبهجة وثليّا الزاهرة. فعند إقبال الربيع كن يشتركن مع إلهات الفصول وعرائس الغدران، في الأغاني الشجية والرقصات البهية، ويوفّرن في القلوب مع الضياء وفرة الخيرة والهناء، وبهجة السرور والصفاء، الفائز بالبشر وعرفان الجميل. لأن تلك الإلهات كن إلهات معرفة الجميل والشكر عليه. ولذا زعم بعضهم خطأً أنهن بناة النسيان بناة الإلهة لثي، لأن أسرع الأشياء إلى التقلص والنسيان، هو الاعتراف بالمعروف وشكراً له.

الفصل الحادى عشر

يسدون

إله البحر والخشب

١ - منشأه وامتيازاته

١ - ادعى هِرُونْتُس أن هذا الإله من أصل لِبِيِّي، ولكن الأصح أنه إله يوناني قديم عبده الِبِلَسْغِي، وهم أول شعب عُرف في بلادهم. واتخذه الأيونيين إلهًا لأمتهم، ونقلوا عبادته من شبه جزيرتهم إلى سواحل آسيا الصغرى التي استعمروها وعمروها وأنشأوا فيها حضارة خالدة، غدت ركناً من أركان الحضارة اليونانية وإحدى دعائمه الثابتة.

وقد كرمه أهل اسبرطة بصورة خاصة، وعبدوه عبادة قوية في المدن الساحلية نظير كُورنُش وابيندرَس وتينرُن. عبدوه كإله للبحر وهو إله الأرض أيضاً في المبادئ، وقد دعي بلقب "مزلزل الأرض" إنسختون. لأن الآلهة أبناء الزمان، عندما اقتسموا أرجاء الكون، خص بُسْدُون بسلطان الأرض، وأذس سُلْطَ على الجحيم كما تسلَّط زفس على أرجاء السماء وعلى مختلف ظاهراتها: من رعد وبرق ومطر وبرد. فكانوا يقولون قد أمطر كما يقولون لقد أرعد وأبرق.

٢ - أما الحيوانات التي خصّوا بها يُسدون، فهي الحيتان والخيل والثيران. وفي بعض أعياده المدعوة تافرية أي الأعياد الثورية، كانوا يزجّون

في لجة البحر بعضاً من الآثار السوداء، تقدمة زكية لإله البحر، وفي غيرها من الأعياد الكبرى أقاموا مباراة على صهوات الخيل. وقد وقفوا له الحصان والثور، لأنه بمشعبه المثلث أخرج الحصان من الأرض، ورمزوا بالثور إلى قوته المخصبة.

وتمثلوا بسِدُون كإله قدير، على جانب كبير من المهابة والجلال، لا يقل عظمة عن أخيه رب الآلهة. ورسموه منتصباً، بلحية كنة وشعر مجعد، يستر عريه ثوب فضفاض، وقد وقف إلى جانبه حوت صغير.

٢ - مولد بُسِدون وما شرّه

١ - إن هذا الإله من أبناء الزمان اخْرُونس، وعقب مولده ابتلعه أبوه كما ابتلع سائر إخوته. ولم يعد إلى النور، إلا بعد أن تناول الزمان من يد زفس ابنه مقيناً عنيفاً، لفظ بفعله كل أولاده المزدردين.

ولكن بعض المطلعين عندهم زعموا أن رينا أمه وارتة ما بين قطيع حملان، وألقت أباها مهراً صغيراً لتهديء به نهمته. وشبّ الغلام بقرب متنبياً وآزر أخاه زفس في حرب العماليق، كما آزره في سحق التيطان^(١). وعند اقتسام الغنائم حظي بالسيادة على البر والبحر وعلى السواقي وعلى كل نهر.

وقيل إن الإله بُسِدون في مقارعته العماليق، فصم صخرة من جزيرة كُوس، ورشق بها الخصم بليقُسْ، فأردته ووَقَعَتْ في البحر، وكوَنَتْ من بعد جزيرة نِسروس، وفي تلك الحرب عينها اقتلع الجبال والتلال ونشرها جرأا في البحار.

٢ - ومع أن الإله عدل لأخيه العظيم زفس، بالمحتد والجاه والسؤدد، فقد اضطر أن يخضع له وأن يذعن لسيادته المطلقة، وإن على مضض وضيم. وقد تأمر مع هيرا وأثينا، للقضاء على سيطرة أخيه، وسلبه الصولجان

(١) راجع هنا : ٣ : ٣ : ١ .

والعرش، وإقصائه عن السيادة والملك. ولكن تأييد افرياريس أعاد لزفس مهابته، فاستكان بين يديه كل عزيز جبار، وغدا الإله القدير القهار. ففرض على أخيه بسدون أن يستعبد لعاهل إيلين، الملك العاتي لؤميدن.

٣ - واعترف الجميع بسيادته على البحر، وأما سيادته على البر فقد نازعه إياها كثيرون منهم زفس وذيونسس وأبولن، وهيرا وأنثا وهيليس.

أما زفس فقد نازعه إغيني، بعد أن أحال معبدته إلى جزيرة، واستحال هو نفسه إلى صخرة فوقها. وذيونسس نازعه جزيرة نكسُس، وأبولن مقاطعة نلفي، وكان بسدون يملكها بالمناصفة مع غيئا، فأعاضه زفس عنها بجزيرة كلافريا على سواحل الأرغليس، في شبه جزيرة اليونان. وأما هيرا فقد نازعه السيادة على الأرغليس. وحكم في الدعوى نهر إنخوس ونهر أسترين وكفسوس، فخسر إله البحر دعواه، وأنصب الأنهر الثلاثة وأصاب المقاطعة بالجدب.

وزاحم أنثا على امتلاك الأنكي، ففشل كما فشل في خصوماته السابقة، فأغرق البلاد بغم من المياه العاتية. ولكنه قاسمها السيادة على مدينة اترِزِين الأرْغِلية. وأخيرا اختص وهيليس على برزخ كورنث، فحدد المحكم افرياريس المدينة كمنطقة نفوذ لهيليس، وترك الباقي من البرزخ لبسدون. وهناك أقاموا الألعاب الأزمية أي الألعاب البر ZXية.

٤ - أما سيادته على البحار فلم ينافسه فيها منافس، ولم ينazuه إياها منازع. فقد وطد دعائم ملكه في أغوار بحر إغليس، حيث شاد له هيوفستس "قصرًا منيفاً من أفحى القصور، تغشيه الجواهر وصفائح الذهب". وأرسىت قواعده لتثبت إلى الأبد". فمن ذلك النصر المضيء، كان ينطلق على مركبة سريعة، تجرها كالبرق خيول مطهمة، نواصيها نضار وحوافرها نحاس. فإذا اندفع على مركبته، انفلقت اللحج أمامه، ونشطت الحيتان تتلاعب حوله، ابتهاجاً بملكها العظيم المفدى. وإذا غضب بسدون لأمر، ثارت الأعاصير وعصفت العواصف، وهدرت الأمواج الゾاخر.

٣ - زواج بسذون ومخاطراته الغرامية:

١ - واقترن بسذون بأمفترتي بنت زفس. وقد شاهدها ذات يوم ترقص مع أخواتها جنيات البحار في جزيرة نكسس، فشغف بحبها وفاتحها بما جاش في نفسه، فاضطربت الفتاة وهربت منه واختبأت في طرف الغرب، عند التيطان أطلس. فبعث بسذون ذلفينا ليبحث عنها، فوجدها وحملها على ظهره وأتى بها سيده. فكافأه إله البحر وأعلى منزلته وجعله برجاً من أبراج السماء.

واتخذ الجنية حلية محبوبة، وعاش ولِيَاهَا بسلام وصفاء. ولم تشكله إلا بشأن سلاً إحدى عرائس البحار الجميلات، إذ بالغ في هيامه بها وكاد يتركها من أجل تلك الجنية الفاتنة.

٣ - قلنا إنه عاش وقرينته بسلام، لأنها كانت وديعة مسامحة. ولكنه في حياته الزوجية، أبدى كثيراً من الطيش ومن قلة الأمانة، وسلك في هواه مسلك أخيه أبي الآلهة.

فقد أحب جدته غيناً، فأنجبت له الجبار أنتيس. وعلق أيضاً أخته ذميتر، وراح يضايقها بملحقاته. فاستحال لتدخلص منه إلى حجر جميلة بيضاء، وتحول بدوره ليرتادها إلى جواد أصهب شديد اللجب، فأنجبت له الحسان أريين، يقدمى إنسان وقائمة فرس، وقد أوتي الفهم والنطق.

وأغرى مذوس في هيكل أثنا، واتخذ لإغرائها هيئة حسان، فحنقت الإلهة من قحته السمجة، وحولت شعر مذوس إلى ثعابين. وغازل بسذون جنيات كثيرات، منهن الكيوني والدة إثوسا التي عشقها وعبدها أبولن، وأم هبرين وهريفس وقد ملك هذا الأخير على فينيا. وزاره فيها زفس وبسذون، وأعطوه ابنًا من جلد ثور^(١).

٢ - (١) راجع هنا سيرة أرتيميس.

٣ - وأحب أيضاً الْهَارْبِيَا كُلُّنُو، فولدت له لِيكِس و إفْرِيلِيس وأحب أَسْتِبَالِي أخت إفْرُوبِي و خِيُونِي ابنة فُرِيئِس، و إِبْرَاهِيْرَا قرينة إِغِيئِس ووالدة شِفِس.

ومن حظايا بُسْدُون شِفَانِي ابنة فِسْلَتِبْس. وإذا كثُر المعجبون بها لفائق جمالها نقلها الإله إلى جزيرة أكْرِيئِس. وأحالها هناك إلى غنة وأهالي الجزيرة إلى قطيع غنم، واستحال هو إلى كِبِش ضأن ليراودها فأنجبت له الكِبِش ذا الجَزَّة الذهبيَّة.

وتعلق أيضاً بِالْبِي ابنة كِرْكِيُّن. فولدت له ابناً سماه هِبُوتُس، لأن أمه خافت من أبيها، فألقته في غابة. وهناك عطفت عليه فرس وأرضعته حتى نما وترعرع.

٤ - ومن عبدهن بُسْدُون مِيْسِتْرَا، كَرِيمَة مَلِك شِلَّيَا إِرِسْخُون. ولهذا الملك قصة غريبة، وهي أنه انتهك حرمة غابة مقدسة لهيرا، فاقطعها وأحرقها. ولما أقدم على ذلك الإثم، بلته الإلهة بنهم لا يرويه مأكل، وقد اضطر ليسكن سعيده أن يبيع كل شيء. ولما نفذ ما له واستنفذ كل أرزاقه، اضطر إلى بيع فتاته. فاتتها عابدها بُسْدُون القدرة على التحول من حال إلى حال، ومن هيئة إلى هيئة أخرى. فنجت هكذا من شر أبيها وشر من أقدم على شرائها. ولكن أمرها انقض أخيراً، فأرغم الملك أن يفترس نفسه.

٥ - ولما ثار ثائر بُسْدُون، واحتدم غضباً على إنْخُوس، فانصب ينادي عليه وسلط الجدب والعطش على أرْغُلِيس، أرسل ذَنَّوْسُ كَرِيمَاتِه الخمسين لارتياح الماء. وفيما هن يبحثن عنه، تعبت أمُونِي إِدَاهَن ونامت فرآها صطر في الغاب وارتوى عليها. ولكن بُسْدُونَ خفَّ إلى نجتها، فأنسَت به ولاطفته، وأنجبت له ابناً سماه نافِيلِيس، أسس مدينة نَفِيلِيَا وابتلعته مياه الغمر لأنَّه جذف على الإلهة.

وقد أنجبت الجنية بريني لبسدون ابنة بديعة ودبعة، أحبت ارتميس وتبعتها في حياة الصيد والطهارة والشطف. فرمتها الإلهة خطأ بسهم وأرداها. فسألت دموع أمها الثكلى ولم تتنصب، واستحالت إلى نبع غزير فياض.

وقد خدع الجنية ترو، بعد أن يئس من صداقتها، فبدأ لها بشكل عشيقها انبيس الإله النهر، فاستأنست به واستسلمت لمودته وأنجبت له ولدين هما لبيس ونافس.

٤- أعقاب بُسِدون المشاهير

١- أعقاب بُسِدون نظير أخيه زفس ذرية لا يحصى عديدها، لأن أهل مدن كثيرة من المدن الساحلية آثروا الانتماء إليه، كما آثر غيرهم الانتساب إلى أخيه زفس أو أحد كبار الآلهة. واشتهر بين أولئك المواليد إيفغمُس ابن إفروبي. وقد شارك بُسِدون أخاه في حبها. وأعطى مولوده منها قدرة السير على المياه، واشترك ذلك البطل المغوار في رحلة السفينة أرغُو. ورزق من بتاني ابنة بهية اسمها إفاذني أحبها أبولن، فأنجبت له جامُس. وباعت ملُيوني لبُسِدون ببيضة فضية، أسفرت عند نفقها عن توأمِين، فادا جيوش أفييَس وبارزا هِركليس عندما أخلف الملك بوعده. فأجهز البطل عليهما وقتلهما. واعتقد بعضهم لشدة التشابه بينهما، أنهما امْتَلَا جسماً واحداً برأسين أربع أذرع وأربع أرجل.

أما كِنُس بن هرالي، فقد أصبح ملكاً على كُلوني من أعمال أطْرَاس. واشترك في حرب اتروادة. وإذا كانت منعته تصونه من الجراح، خنقه أخلفس بسيير قبّته. وعندما أراد تجريده من سلاحه استحال جسمه إلى تمّ.

٢- وملك آمِكس بن مِليا على فِتنيا، وقد كان جباراً شديداً البأس سيءُ الخلق والخلق، يصارع الغرباء الذين يؤمنون بلاده. ولما جاءه بحارة أرغو عرض عليهم المبارزة. فتصدى له بُلذيفِكس، بن لِيدَا وزفس، وقتلته.

والجباران إِفِيالْنِسْ وأُوتِسْ وُلدَ لَهُ مِنْ إِفِيالْنِسْ عَقِيلَةُ الْأَنْفُسْ. وَقَدْ تَجاَوَز طَولُهُمَا عَشْرِينَ مِتْرًا، وَلَمَا بَيْلَغُوا بَعْدَ التَّاسِعَةِ مِنْ عُمُرِهِمَا وَلَمَا تَطَاوَلَا عَلَى هِيرَا وَأَرْتِمِيسْ، احْتَالَتْ عَلَيْهِمَا هَذِهِ فَاقْتِتَلَا، وَرُبِطَا إِلَى عَمْودٍ فِي النَّارِ تَرْسٌ بِسَلاَسِلٍ مِنْ ثَعَابِينَ.

٣ - وَقَدْ انتَهَى كِرْكِيُونْ بِرَارِي إِلْمِيْسِ، وَقَطَعَ الطَّرِيقَ هُنَاكَ عَلَى الْمَسَافِرِيْنَ إِذَا كَانُوا يَتَحَدَّا هُمْ وَيَصَارُ عَهُمْ وَيَقْتُلُهُمْ. فَظَفَرَ بِهِ سَقْسَ وَصَرْعَهُ كَمَا صَرَعَ وَقَتَلَ لَصَاً مِنْ أَبْنَاءِ بُسْدُونَ اسْمَهُ سِينِسْ، أَقَامَ فِي بَرْزَخِ كُورِنْثُسْ يَشْلُحُ الْمَسَافِرِيْنَ، وَيَشَدُّهُمْ إِلَى شَجَرَتِيْ صَنُوبِرْ كَانُوا يَدْنِيهِمَا الْوَاحِدَةُ مِنَ الْأُخْرَى. وَبَعْدَ أَنْ يَعْلُقَ أَطْرَافَ ضَحْيَتِهِ بِهِمَا، يَتَرَكُهُمَا تَأْخِذَانِ مَدَاهِمَهُمَا. فَيُشَقُّ الْمَسْكِينُ الْمَرْبُوطُ بِهِمَا. فَقَمَعَهُ شِسْفَسْ وَقَضَى عَلَيْهِ بِالْعَذَابِ عَيْنِهِ.

وَفِي عَدَادِ مَنْ اشْتَهِرُوا مِنْ أَبْنَاءِ بُسْدُونَ، الْجَبَارُ بُلِيفِمْسُ بْنُ ثُؤْسَا وَقَدْ فَقَأَ أَذْسَفْسَ عَيْنَهُ الْوَحِيدَةَ فِي وَسْطِ جَبِينِهِ. وَنَجَا هَذَا هُوَ وَمَنْ تَبَقَّىَ مِنَ الرَّفَاقِ، وَأَفْلَتْ مِنْ قَبْضَتِهِ وَمِنْ أَنْيَابِهِ الطَّوَاحِنَ.

٤ - وَخَلَصَ هِرَكْلِيُسْ الْدِيَارِ الْمَصْرِيَّةِ مِنْ طَاغِيَّةٍ اسْتَولَى عَلَيْهَا اسْمَهُ فُسِيرِسْ. وَكَانَ هَذَا الطَّاغِيَّةُ ابْنُ بُسْدُونَ وَلِفِيَا. وَلَكُثْرَةِ شَرُورِهِ ضَرَبَتِ الْآلَهَةُ بِلَادِهِ بِالْجُوعِ. وَلَمَّا اشْتَدَتِ الْمَجَاعَةُ وَخَافَ ثُورَةُ فِي الشَّعْبِ، أَشَارَ عَلَيْهِ عَرَافُ قَبْرِصِيِّ أَنْ يَذْبَحَ غَرِيبًا استَعْطَافًا لِلْآلَهَةِ. فَأَخْذَ الْعَرَافَ وَذَبَحَهُ. وَلَبِثَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ يَذْبَحُ كُلَّ سَنَةِ رَجُلًا أَجْنبِيًّا. وَلَمَّا قَدِمَ هِرَكْلِيُسُ الْدِيَارِ الْمَصْرِيَّةَ، أَمْسَكَهُ وَهَمَّوا بِذَبَحِهِ. وَلَكِنَّهُ أَفْلَتْ مِنْهُمْ وَقُتِلَ مَلْكُهُمْ. وَأَبْطَلَ هَذَا الذَّبَاحُ الْبَشَرِيَّةَ عِنْهُمْ.

وَقَدْ اعْتَادَ بُسْدُونَ أَنْ يَسْلُطَ الضَّوَارِيَّ عَلَى خَصُومِهِ، وَيَبْتَلِيهِمْ هَذَا بِالْتَّنَانِينِ وَالسَّبَاعِ، وَالْوَحْشِ الْكَاسِرِ الْمُفْتَرِسَةِ. فَلَا عَجَبٌ إِذَا وُلدَ لَهُ بَنُونَ يَضَارُ عَوْنَهُ فَظَاظَةً وَشَرَاسَةً.

الفصل الثاني عشر

هستيا أو إلهة المقدة

١ - إن هستيا إلهة قديمة عريقة في القدم. وهي علاوة على ذلك إلهة وادعة حليمة محببة. فالمقدة لا يستغني عنها أحد، وهي نقطة التقل في البيت، وواسطة العقد في عناصر حياة الأسرة. ولذا أحب الجميع إلهة المقدة، وأكرموها وحوطوها بالتجلة والمحبة.

ف حول المقدة اجتمعت الأسرة، وهي التي جمعت شملها. وعندما كانت الأسر تنمو وتتفرع، فالفروع المتشعبه عن الأسرة الأصلية، كانت تأخذ منها الجذوة الأساسية، لتضيء وتشعل مقدة جديدة. وعندما كانت تجتمع أسر كثيرة لتألف بلدة أو مدينة، كانت تتشي قبل أي شيء آخر، مقدة عمومية تعد مقدة البلدة أو المدينة أو الدولة، وينصبونها في دار الشورى. وفوق كل اعتبار، كانت المقدة ضرورية لتقديمة الذبائح، إذ منها كانوا يأخذون النار لإحراق المحرقات وتقديم الأضاحي.

٢ - فهستيا نظير هيفستس إلهة النار، ولكن لا نار البراكين ولا نار المصانع والحدادين، بل نار المنزل ونار التدفئة، ونار الصداقة ونار الألفة والمحبة فهستيا إلهة عائلية، وإلهة اجتماعية تحمي الأسرة كما تحمي المجتمع، وتحمي المدينة كما تحمي الدولة. وقد شادوا لها هياكل مستديرة وتمثلوها بهيئة سيدة كريمة رزينة جليلة، أسبلت رداءها الفضفاض إلى القدمين، وغطت رأسها بوشاح تهدل فوق الكتفين.

ويقول لنا هسيدس إنها بكر أخرونوس وريئا، ومن ثم بكر الألبيين والآلهة المخلدين. وقد عرف ذلك اليونان، وسكنوا لها السكك في بدء ولائهم، وسكنوها لها في ختام مآدبهم. وما اشتركت قط في منازعات الآلهة، بل تجنبتها بحرز، ولبنت دوماً في دعة وسلام.

٣ - وأرادها بسذون شريكه لحياته وسلطانه على الينابيع والبحار، ولكنها أبت عليه ذلك، كما ردت طلبات أبولن ابن أخيها زفس مجمع الغيوم. ولما لجوا وألحوا في الطلب، وقفت في محفل الخالدين ولمست هامة أخيها أبي الآلهة، وأقسمت أنها ستبقى عذراء مدامات الدهور وتعاقب الملوك. فقبل زفس قسمها، وفازت مع أرتميس وأثنا، بامتياز العفة والطهر. وهكذا نرى أن شعب اليونان، على إباحية العالم القديم، قد عظم البتولية والطهارة، وخص بها ثلاثة من كبار الإلهات، وقدس قيمة من أسمى قيم الإنسان، وعرف أن المرأة ليست أداة لذة، وأن لها في ذاتها قدرًا سامياً وإمكانيات إلهية رفيعة.

الفصل العاشر

آلهة السماء الأصغر

انطوت سماء أبي الآلهة على آلهة أكابر عرفاً جانباً من أمجادهم ومخازيمهم وانطوت أيضاً على آلهة أصغر قاموا إجمالاً على خدمة الآلهة الأكابر.

١ - الإلهة ثيمس إلهة الحق والعدل.

١ - هذه الإلهة هي ابنة السماء والأرض، وابنة غينيا وأرتوس، ولما استولى الألَمِنْيون أبناء أخيها أخرونوس على مقاليد الأمور في الكون، لم تتح مع إخواتها التيطان عن سياسة العالم، ولم تقص من سماء المخلدين، بل لبست في قصر زفس، وجلست دوماً إلى جانب عرشه، لتسدي إليه النصح والمعروف. ويبدو أن هيرا شريكة حياته، لم تر في الأمر إجحافاً بحقها ولا تعدياً عليها. وإذا دخلت محفل الآلهة، تناولت من يد زوجة زفس الثانية، وأمينة سرّه ومستشارته الحاضرة، كأس النكتار، بكل بشاشة واستئناس.

٢ - وما ذلك إلا لأنها تعرف جيداً أن ثيمس هي إلهة الإنصاف والحق والعدل. وهي التي ترتّب عيش الآلهة، وتعد لهم المآدب والولائم، وتشيع الهدوء والسكينة والنظام في حياتهم، وإذا ختل جانب من ذلك النظام، فهي الساهرة على إحقاق الحق وإعادة العدالة إلى نصابها. وقد حدبت على حداثة زفس، ولذلك أحبّها واقتربن بها، قبل أن يفضل عليها وعلى غيرها نهائياً أخته

هيرا. وهي التي سهلت ولادة أبوّن وأرتميس، ومنحت أبوّن موهبة العرافة ومقامها في ذلّفي. ومن اقترانها بزفاف ولد لها ربّات الفصوص وال ساعات، وربات المصائر الثلاثة. ويُقال إن المغريّات بناتها أيضاً.

٣ - وقد تمثّل قدامي اليونان هذه الإلهة بشكل امرأة كاملة السن جليلة مهيّبة. وأحبّوا أحياناً أن يشيروا إلى نزاهة العدالة، وبعدها عن كل تحيز، فصوروها مقنعة بمنديل، وقسطاس الحق والعدل في إحدى يديها. وشادوا لها المعابد في كل مكان، في أثينا وثيقة وتانغرا وألمانيا، ومدنٍ غيرها كثيرة.

وقد أكرموها في تلك المعابد، كمخلصة من التعدي والظلم، ومشيرة في محافل الأمة و المجالس نوابها، و مرشدة نصوح في الأعمال والملمات. وروى بعضهم أنها هي التي أشارت على ذكّارين و أمرأته، بعد الطوفان أن يأخذوا عظام الجدة الأولى ويرميها بها وراء ظهريهما، لبعث البشرية من جديد على وجه البسيطة.

٢ - إِرِيسِ رسولَةِ زَفْسِ وَوَصِيفَةِ هِيرَا

١ - ولما اقترنت الأرض غيّباً بابنها بُنطُس أي البحار، أنجبت في ما أنجبت ابنًا دعنه العجب العجاب وذاك العجب تقدّمَت له حلية الكُترا بنت المحيط وأخته تثيس، فولدت الكُترا لتقدّمَت الإلهات الخاطفات

وإريّس قوس قزح. وهذه الإلهة عندهم هي مبعوثة الأرباب ورسولتهم، ولا سيما زفس و أمّرأتِه هيرا، فإذا أراد أبو الإلهة أن يبلغ أحد الخالدين أو المائتين امرأً، أنفذ إليه قوس قزح. فتحدر تلك الإلهة تخترق الأجواء أو تتخذ قوسها الامعة كجسر بين السماء والأرض، وتطير بأجنحتها السريعة إلى صاحب العلاقة، وتبلغه المشيئة الصمدانية. وكانت إريّس تخترق البحار كما تخترق الفضاء، وتبلغ دركات الجحيم بالسهولة والرشاقة نفسها. وكثيراً ما قصدت تلك الديار لتملاً من مياه استيكس كأساً ذهبيّة وتعود بها إلى مقرّ الخالدين، ليحلّفوا بتلك المياه وبربة تلك المياه الرهيبة.

٢ - قامت إِرِيس ب تلك المهمة الجليلة خير قيام. وبالإضافة إليها، أقامها زفس وصيفة لعقيلته هيرا، وتابعة أمينة ومزينة فنانة. فهي التي كانت تحممها وتلبسها وتمشطها وتشوقها أفضل شوفة، وتسهر عند قاعدة العرش ليلاً نهار دون أن تحل سير حذائهما أو ترخي زنارها أو تستسلم إلى الوسن والثبات.

هذا وإن تلك الإلهة المشرقة كالنور والناعمة كألوان قوسها الزاهية لم تقصر خدماتها على أبي الآلهة وقرينته، بل في نعومتها وطيب سجاياها، أسرعت مراراً إلى نجدة الآلهة الآخرين، وتقديم الغوث والعون لهم. فهكذا عندما جرح ذيميدس الْزَّهْرَةُ أَفْرَذِيَّتِي في سهول اطروادة، أقبلت إِرِيس بلهفة وآست الإلهة الجريح، وأصعدتها على مرکبة آرس، وعادت بها إلى محفل الآلهة.

٣ - ولم تستثن من عطفها وإحسانها البشر أنفسهم. فقد سمعت يوماً أخلفس بن ثنيس وبلفس، يبكي صديقه بتركليس، ويتشكى من اللهيب الذي أبطأ في التهام جسمان الحبيب الراحل. فخفت رسولة الآلهة وأتت كهف زيفرس، والتمسّت منه أن يغادر صحبه ووليمته، وأن يأتي مع فُرِيَّس ويضرم النار المحرقة.

وقد زعم بعضهم أن النسيم زيفرس هو قرين إِرِيس، وأن إله الحب إِروس هو ابن هذين الخالدين. وقد أكرموا الإلهة إِرِيس خصوصاً في جزيرة نيلس، وقربوا لها كقرابان مرضيّ تيناً يابساً وقطائف بعشل.

٣ - هيبي إلهة الفتوة ونضارة الشباب

١ - هذه الإلهة الفتية هي ابنة زفس وهيرا، وقد استحلاها والدها واستحلّ فيها خصوصاً نعومة رجليها وقدميها، فنصبّها ساقية في الأولمبي، تدور محفل الأرباب، وتصبّ لهم في آنية عسجدية، رحيق الخلود وطعم السعادة. وفيما هي ذات يوم تقدم لهم رائق الكثار، زلت بها قدمها اللطيفة،

فانقلبت أمام الخالدين مقلباً سيئاً، فاعتراها الحباء والخجل الشديد، واستولى على الآلهة والإلهات، موجة من الضحك صاحبة، بلغت ذرى السماء. وعلى الأثر استاءت الفتاة الخالدة، واعتزلت قصر أبيها، واعتصمت في خلوتها، لا تحضر مآدب الأرباب. وإن حضرتها لزمت مكانها، لا تقدم على شيء من مهمة السقاية، كما اعتادت في الأمس وما قبل.

٢ - ولكنها لبّثت تعنى بمركبة أمها، وتشد الخيول السوداء والبيضاء إليها بسيور من ذهب، وتساعد الإلهة ذات المهابة والجلال في اعتلاء المركبة والنزول عنها. ولما أُنجز هرقليس أعماله المجيدة، وقبل في مصف الآلهة المخلدين، زفت إليه هيقي كزوجة محبوبة مكرمة.

وهذه الإلهة الرازفة إلى بهاء الفتوة، وريungan الشباب ونضارته، عبدها اليونان. وشيدوا لها المعابد والمذابح، في أثينا وسِكِّيون وأفليوس، من أعمال شبه جزيرة اليونان. وفي المدينة الأخيرة المذكورة، وقفوا لها غابة مقدسة، امتنّت بحق اللجوء. فلا يُقْبض فيها على المجرم ولا يسأله، ما لبّث معتصماً بذلك الملجأ المقدس.

٤ - غنميدس ساقى الآلهة

١ - ليس هذا الشريف المؤله إلهاً ولا نصف إله، وإنما بشراً جاد عليه أبو الآلهة والبشر بموهبة الخلود. فهو نجل ملك افرغياً اتروس من قرينته كلروئي ومنهم من نسبه إلى أحد ولدي اتروس أو حفيده لؤميدن أو أبيه إرخثون بن ذارذنس بن زفي من الكترا بنت أطلس.

ومهما يكن من أمر، فقد أحرز ذلك الشاب جمالاً خلاباً، سبى قلب أبي الآلهة بالذات، وقد كان يبحث آنذاك عن خلف لهيفي، يخلفها في مهمة السقاية. فلما وقع بصره على الغلام، أعجبه قده وهو يميس كغضن بان، ورونق محياه وهو يتلقى بهاءً وبشراً، ووقع إلى جانبه على جبل ايذا بهيئة نسر.

٢ - عجب الفتى لذلك الطائر النبيل، ولم يعتد قط الألفة والمؤانسة.
عجب منه يدنو بوقار، ويبدي الكثير من الهدوء والاستئناس، بدل الوحشة
والابتئاس. ويفرد جناحيه في ظرف ولين، ويداعب بأحدهما خليله المنفرد
مثله في رؤوس الجبال. وكأنه يدعوه إلى امتطاء ظهره وركوب منته ليحلق
به في الفضاء.

عنت الفكرة للغلام الناعم البديع، فعلا ظهر النسر وأمسك جيداً
بجناحيه، وإذا بالجراح الجبار، يندفع براكبـه المحبوب في أجواز السماء، حتى
بلغ ديار الخالدين. وعهد إليه بمهمة هيـفي المستقلة. فقام بها الساقـي الجميل
خير قيام، وأثار بذلك على شعبـه وأمته حفيـظة هـيرا، لأنـه اختلس في نظرـها
منصب فـتاتها المحبـبة. وعوض زـفس الملك المـفجـوع عن تلك الخطـيفة بـخـيـولـٍ
تسـابـقـ الـرـيحـ.

٥- الحوريات ربات الفصول وال ساعات

١ - تعـني كـلمـة هـُـوـرـهـ عندـهـمـ السـنـينـ وـالفـصـولـ وـالـسـاعـاتـ.ـ ولـذـاـ اـخـتـلـفـواـ عـلـىـ
عـدـ تـلـكـ الـرـبـاتـ أوـ الـحـورـيـاتـ،ـ كـمـاـ اـخـتـلـفـواـ أـيـضاـ عـلـىـ مـهـمـاتـهـنـ وـامـتـيـازـاتـهـنـ.
فـفـيـ الـبـدـءـ كـانـتـ تـلـكـ الـحـورـيـاتـ إـلـاهـاتـ الغـيـثـ إـذـاـ هـمـيـ وـالـسـيـلـ إـذـاـ
طـمـيـ،ـ وـمـنـ ثـمـةـ إـلـاهـاتـ إـلـثـامـ وـالـفـواـكـهـ يـنـمـيـنـهـاـ وـيـنـضـجـنـهـاـ،ـ وـيـؤـتـيـنـهـاـ الـلـوـانـهـاـ
الـزـاهـيـةـ وـنـكـهـتـهاـ الـلـذـيـذـةـ وـرـائـحتـهاـ الشـذـيـةـ.

بـالـإـضـافـةـ إـلـىـ تـلـكـ الـأـمـتـيـازـاتـ عـلـىـ الصـعـيدـ المـادـيـ،ـ خـصـواـ تـلـكـ
الـحـورـيـاتـ بـامـتـيـازـاتـ عـلـىـ الصـعـيدـ الرـوـحـيـ،ـ وـجـعـلـوـهـاـ حـافـظـاتـ لـلنـظـامـ
الـأـخـلـاقـيـ وـسـاـهـرـاتـ عـلـىـ الشـرـائـعـ وـالـعـدـالـةـ وـالـسـلـامـ.ـ فـهـنـ الـلـائـيـ،ـ كـمـاـ يـقـولـ
هـسـيـدـسـ،ـ "يـنـضـجـنـ أـعـمـالـ الـبـشـرـ،ـ وـيـحـوـطـنـ الشـبـيـبةـ بـالـعـطـفـ وـالـدـرـايـةـ".ـ

أـمـاـ فـيـ مـقـرـ الـخـالـدـينـ فـقـدـ أـنـيـطـ بـتـلـكـ الـحـورـيـاتـ فـتـحـ أـبـوابـ السـمـاءـ
وـإـغـلـاقـهـاـ لـيـدـخـلـ الـآـلـهـةـ وـيـخـرـجـوـاـ،ـ وـهـنـ كـنـاـ يـنـشـرـنـ الـغـيـومـ وـيـطـوـيـنـهـاـ.ـ وـيـشـدـدـنـ

الخيول إلى مراكب الآلهة. ويحدين عليهم في ولادتهم وطفولتهم ونعومة أظفارهم. فقد عنين هكذا بهيرا وهرميس ونيونس. وكن مع ربّات الأنفة والظرف، يحيين حفلات الآلهة الراقصة تحت إشراف أبولن، ويظهرن فيها خود فاتنا، عصبن شعرهن الطويل، المسبل على أكتافهن، بتيجان من نصار وجواهر ساطعة.

ويحكى عن كربو إله الربيع أنها كانت محبوبة التسميم، وأنها أحبت هي ابن النهر الإله ميandrus، ولما يئست من اكتساب وده، ألقت بنفسها في النهر، فحوّلها رفس إلى ثمار. أما اختها إريني أي السلام، فقد أنجبت ولداً ثريّا سمته ثروت، وقال بعضهم ازدھار.

وقد عبدوا هذه الحوريات في أثينا وآرغس وألمانيا وعلى الأخص في كورنثوس.

البَابُ الْثَالِثُ

**اللهُ أَرْضٌ وَمَاءٌ وَفَلَكٌ وَهَوَاءٌ
وَحِيَاةٌ إِنْسَانٌ وَجَحِيدٌ**

الباب التالى

الفصل الأول : آلهة الأرض

الفصل الثاني : آلهة الماء المالحة والعذبة

الفصل الثالث : آلهة الفلك

الفصل الرابع : آلهة الهواء

الفصل الخامس : آلهة حياة الإنسان

الفصل السادس : آلهة الجحيم والعقاب والثواب

الفصل الأول

آلهة الأرض

الفقرة الأولى

غيناً وريئاً وكضيلي

١- غيناً الجدة الأولى والعظمى:

١ - "قبل كل شيء كان الخواء، يقول هسيدس، ثم بدت الأرض غيناً الرحيبة الصدر المترامية الأطراف..."

"ووضعت الأرض ابناً لا ينقصها عظمة وجلاً، هو أرنوس جذّ السماء الظاهرة، ليكتفها كلها ويلبث للآلهة المغبوطين مقرأً وطيداً.

"ولدت الجبال الشامخة، مرانع الإلهات عرائس الوديان... وأنجبت دون ارتياح الحب البحر العقيم بُنطَس يزخر بأمواجه العاتية.

"واقترنَت بابنها أرنوس، فولدت أمَّة التيطان ومنها آخرؤنس وريئا... وأمَّة العمالقة الرعد والبرق والصاعقة... وأمَّة العمالق " أصحاب المئة يد والخمسين رأساً، ثم الإلهات التاثرات إلهات السخط والانتقام، والعمالقة الأشداء حملة الرماح الفتاكه. وأخيراً الإعصار تيفن أو التنين تقىيس^(١).

٢ - فالأرض إذن أم الجميع وهي والدة الإلهة طرَا أو جدتهم، ولكن ابنتها رئا ما عتمت أن نابت منابها وحلت في قلوبهم محلها. وتغلبت

١ - (١) قد نقدم ذكر هؤلاء جميعاً في كلامنا عن مبادئ الكون. والباب الأول ف ١ و ٢.

ريئا على أمها غيئا، وانطوت عبادة الجدة الأولى، وازدهرت عبادة أم الآلهة الألمبين.

٢- رئا وكفيلي أو رئا - كفيلي:

١- يبدو أن الإلهة رئا كريتية الأصل، وأن كفيلي أفريقية المنشأ وعرفت عبادتها في كريت ومنها انتشرت في بلاد اليونان، الصغرى منها والكبرى. ثم امترجت الإلهتان واختلطت معلم الواحدة بمعالم الأخرى، وبرزت هذه وتلك بوجه مشرق واحد.

اقترنت رئا ابنة تنبئا، أو كفيلي ابنة غيئا، بأخيها التيطان اخرونوس، فأنجبت كما رأينا سلالة الآلهة الألمبين الكبار: زفس وبسدون وآدس، وهستيا وهيرا وندميتير. وبعد أن ابتلع الزمان أبوهم العدد الأكبر منهم، عاد وقائهم بفعل مقيء هدت زفس إله بنت عمته ميتيس. ولذا دعواها أم الآلهة، والإلهة الجدة والإلهة الطيبة.

٢- وقد مثلت رئا أو كفيلي الأرض في مظهرها البدائي، وطبيعتها الموحشة، بجبارها ومعدورها، وآجامها وغبارتها، وكنوزها وثرواتها الدفينة. وتمثلوها في هيئة امرأة كريمة مهيبة وفورة، يكلل هامها تاج ذو أبراج، تشير إلى المدن التي تدافع عنها الإلهة. وقد جلست على عرش أحدقته به الأسود، أو اعتلت مركبة جرتها الضواري عينها. فهي أم الطبيعة بكل غناها، ومن هنا دعيت ثروة أو كنزاً.

٣- وقام على خدمة هذه الإلهة طائفه من الكهان، نسبوا إلى كريفس أحد أبنائها، أو إلى الجنية كفيرا إحدى أعراس هيفستس، أو إلى الجنية إذا فدعوا باسمها، وأطلق عليهم أيضاً اسم غالٍي وذاكتلي وكوريتيس. وهم الذي حذبوا على طفولة زفس ونجوه من ازدراد الزمان له.

وفي شعائرهم الدينية كان أولئك الكهان يدمنون الرقص، على عزيف المزمار وطنين الطبول ورنات الصنوج. وإذا استقرتهم النشوة، استسلموا إلى حركات خليعة، وجدوا أنفسهم بالسياط ومقارع من كعب، ويبلغ بهم الهيجان على أن يشطروا أجسادهم بالسكاكين ويقطعوا أعضاءهم ويختصوا.

٤ - وقد قرروا هذه الإلهة في افريقيا، بـإله مجهول الحسب والنسب، لا تعرف بالضبط هويته. وقد قيل إنه راع من تلك البلاد، هويته كفيلي واتخذته كاهناً لها، وفرضت عليه عيشة التبخل. فصعبت عليه العيشة وأخلف بوعده واقترب بابنة نهر سنغاريـسـ. فحنـقـتـ الإلهـةـ لخـيـانتـهـ وأصـابـتـهـ بالـجـنـونـ، فـبـتـرـ فيـ إـحـدـىـ ثـورـاتـهـ نـفـسـهـ وـغـداـ منـ الخـصـيـانـ. وـإـذـ عـادـ إـلـىـ إـهـابـهـ، هـمـ بـقـتـلـ نـفـسـهـ، فـأـحـالـتـهـ إـلـهـةـ العـاشـقـةـ إـلـىـ كـوـزـ صـنـوبـرـ. وـقـيـلـ إـنـ زـفـسـ سـلـطـ عـلـيـهـ، غـيـرـةـ وـحـسـداـ، هـلـوـفـاـ كـاسـرـاـ أـوـدـيـ بـحـيـاتـهـ.

٥ - واقتربـتـ كـفـيليـ بـغـرـنـيـسـ مـلـكـ اـفـرـيـقـيـاـ، المشـهـورـ بـعـقـدـتـهـ الـتـيـ لاـ تـحلـ. وقدـ أـحـسـنـ الـاسـكـنـدـرـ حـلـهـ، فـبـتـرـ هـاـ بـسـيفـهـ. وـأـنـجـبـتـ الإـلـهـةـ مـنـ زـوـاجـهـ ذـاكـ اـبـناـ ذاتـ الصـيـتـ، خـلـفـ أـبـاهـ عـلـىـ العـرـشـ وـدـعـيـ باـسـمـ مـيـدـسـ.

وقدـ أـحـسـنـ مـيـدـسـ ذاتـ يـوـمـ إـلـىـ سـلـنـوسـ، وـكـانـ هـذـاـ الصـطـرـ، مـرـبـيـ نـيـونـسـ، قدـ تـمـلـىـ مـنـ النـبـيـذـ عـلـىـ ضـفـافـ سـنـغـارـيـسـ وـسـكـرـ. فـلـوـاهـ وـعـاـمـلـهـ بـمـرـوـءـةـ وـرـفـقـ. فـحـسـنـ هـذـاـ الصـنـيـعـ فـيـ عـيـنـيـ إـلـهـ الـخـمـرـ، وـخـيـرـ الـمـلـكـ مـيـدـسـ فـيـ أـنـ يـخـتـارـ مـاـ يـشـاءـ، فـتـحـقـقـ لـهـ أـمـنـيـتـهـ. فـالـتـمـسـ مـيـدـسـ أـنـ يـسـتـحـيلـ إـلـىـ ذـهـبـ كـلـ مـاـ يـلـامـسـ. فـكـانـ لـهـ ذـاكـ، وـاستـحـالـ لـهـ الطـعـامـ ذـاتـهـ إـلـىـ نـضـارـ. فـحـرـنـ مـيـدـسـ وـشقـ عـلـيـهـ الـأـمـرـ جـداـ. فـتـحـنـ عـلـيـهـ إـلـهـ وـأـمـرـهـ أـنـ يـغـتـسلـ فـيـ نـهـرـ بـاـكـلـسـ. فـاغـتـسلـ وـطـفـقـ النـهـرـ مـنـ ذـلـكـ الـحـينـ، يـزـجيـ فـيـ مـيـاهـهـ قـصـاصـاتـ مـنـ ذـهـبـ.

٦ - ولـمـ حـكـمـ مـيـدـسـ لـمـرـسـيـسـ بـالـقـوـقـ فـيـ العـزـفـ عـلـىـ المـزـمـارـ، عـنـدـماـ نـافـسـ إـلـهـ أـبـولـنـ، حـنـقـ هـذـاـ إـلـهـ وـأـعـطـىـ الـمـلـكـ الـمـغـفـلـ أـذـنـيـ حـمـارـ. فـسـتـرـهـماـ مـيـدـسـ بـقـبـعةـ اـفـرـيـقـيـةـ. وـلـمـ يـدـرـ بـهـ أـحـدـ سـوـىـ حـلـاقـهـ. وـقـدـ فـرـضـ عـلـيـهـ الـمـلـكـ أـنـ يـحـفـظـ السـرـ تـحـ طـائـلـةـ الـمـوـتـ. فـضـاقـ صـدـرـ الـحـلـاقـ بـسـرـهـ، فـاحـتـقـرـ فـيـ الـحـقـلـ حـفـرـةـ عـلـىـ ضـفـافـ نـهـرـ، وـبـاـحـ بـسـرـهـ لـلـأـرـضـ. فـنـبـتـ القـصـبـ فـيـ تـلـكـ الـحـفـرـةـ، وـرـاحـ بـرـدـدـ كـلـمـاـ هـزـهـ الـرـيـحـ: مـيـدـسـ الـمـلـكـ ذـوـ أـذـنـيـ حـمـارـ". وـإـذـ شـاعـ عـلـىـ ذـلـكـ الـوـجـهـ سـرـهـ، شـرـبـ مـنـ دـمـ ثـورـ وـأـنـتـحـرـ.

الفقرة الثانية

ذميتر إلهة الزرع والضرع

١- منشئها وميزاتها.

١- ذميتر أخت الإله زِفْس، وابنة رِيَا وآخْرُونُس. وقد ابنتها أبوها كأغلب إخواتها وأخواتها ثم عاد وفقاءها. وهي عندهم إلهة من إلهات الأرض القديمات. ولكنها إلهة الخصب وإلهة الزراعة، وإلهة الزرع والضرع، والخضار والأثمان، وما تؤتي الأرض من خير وبركات. فهي حامية الفلاحين وصائنة جهودهم وعرق جبئنهم. وهي تتمي مواسمهم وتحفظها إلى آن الحصاد. وقد كرسوا لها من الحبوب الحنطة والشعير. وصورها بهيئة الأمهات، تحمل في يد سنابل القمح، وفي الأخرى سنابل الشعير، مع زهر الشخص الذي أكرموها به في تقادهم. وقد التفت الحيايا على كلّنا يديها. وتمثّلها أيضاً في بعض الأنحاء كما في أرْكَنْتِيا، برأس فرس أو ثور، وقد رفعت في يد ذلفينا وفي الأخرى حمامة واحدة. كما رسموها غالباً مع ابنتها كوري بثياب جميلة فضفاضة والتاج على رأس المشعل أو الصولجان في يدها.

٢- أحب الأقدمون تلك الإلهة، ورأوا في عطفها حنان الأمهات. فهي من الآلهة التي حدبّت على البشرية في رأفة ولطفة، وأغدقّت علىبني الإنسان آيات الحضارة وسوابع الإحسان، ومن جملتها سنة الزواج، وسموها لذلك **تِسْمَفُورُس**، الإلهة المشترعة.

وقد عبدوها في الأنكي والأرْغِلِيس وأرْكَنْتِيا وجزيرتي نِيلُس وكريت وآسيا الصغرى وصقلية. وشادوا لها الهياكل غالباً في وسط الأماكن. وحوطوا

شعائر عبادتها بكثير من الكتمان. واعتادوا أن يحفروا في الأرض إبان الحفلات حفراً، دعواها تامِيغَرا، وأن يئدوا فيها الضحايا الحية لاسيما من صغار الخنازير.

٢ - مشاكل ذميتو وأبناؤها

١ - عُرفت الإلهة ذميتر بجمال باهر، وقد كانت شقراء ذات شعر ذهبي ناعم. وعلى مهابتها وجلالها، فقد شغف بها أخوها بُسدون وراودها مراراً على ذاتها. فنفرت منه وأمنت أرجاء اركذيا. وتذكرت هناك بشكل حجر. واختلطت بخييل الملك أنكُس. لكن عابدها اكتشف مكمنها، واتخذ هو أيضاً هيئة جواد وخلطها. فأنجبت له حساناً بدمي إنسان وقائمة جواد. ويحكى أنها عادت فولدت له ابنة لبث اسمها مكتوماً، فلُقبت بلقب مسلطة.

٢ - واغتاظت الإلهة غاية الغيظ من فعلة أخيها النكراء. وهجرت ديار أولمِبس، وتذكرت بزي الإلهة ثاثرة، من الإلهات السخط والغضب، وقُبعت في أحد الكهوف. لكن زفس لاطفها وأبدى لها غاية الرفق، فتطهرت في مياه لاذن، نهر من أنهار إيلس، في شبه جزيرة اليونان. وعاودت مساكنة الخالدين. إلا أن زفس أبا الأرباب كان قد شغف بها في تلك الأثناء، فهربت منه واستحالت إلى مهأة، فاتخذ هو شكل ثور وحشي وغشيهما، فأنجبت له ابنتها كوري، إلهة الفلاح والحساب.

وعلت ذميتر مع كل رصانتها، بطلأً من أبناء زفس يدعى يسيين، فاقترنـت به في أحاديد الحقول، وقد شقتها سكة الفلاح. وعاشت مع حبيبها أعواماً وسنين، في وئام وسلام وصفاء كبير. فأنجبت له مولوداً أسماه الثراء. وزعم بعضهم أن أبا الآلهة رشق يسيين في حقوله بإحدى الصواعق الماحقة، بداعـعـ الحسد واعتلـاجـ الغيرة.

٣ - مصابها بابنتها بِرْسُفُونِي

١ - خست إلهة الزرع والضرع ابنتها كوري بمحبة خارقة، وفضلتها على كل أبنائها وبناتها. وفيما كانت تلك الفتاة الطروب، تتنزه ذات يوم في الحقول، وتقطف الأزهار والرياحين، إذا بدرجسة بدعة تسترعى انتباها. فدلت الإلهة لتأخذ تلك الزهور الفتنة، وإذا بالزهور تتبعاً وتتغير في أعماق الأرض، وإذا باليابسة تموج بها كاللجة ثم تتفتح فجأة، ويبرز منها إله رهيب يخطف الفتاة المحبوبة، ويهبط بها إلى أعماق الجحيم، على عربة تجرّها التنانين.

٢ - فاستغاثت بِرْسُفُونِي بلوعة، وصاحت بلهع صيحة اليأس. فسمعت أنها تلك الصيحة، ونهش الحزن أحشاءها فقالت: "واحسرتاه عليك يا كوري، لقد فُجعتُ فيك يا حبيبة الروح!... واحرّ قلباً عليك يا ولدي، فماذا دهاك يا بهجة أمك؟..." وعصبت رأسها بوشاح الحداد وحطت على الأرض كالعقاب، وطفقت تجوب الآفاق والقار وقطع الأنهر والبحار، سعيًا وراء المجرم الأثيم الذي سلبها فلذة فؤادها. وبعد تسعه أيام وليل، وقد أضناها العياء والتعب، حتى عليها الجنية أرثوسا، إحدى وصيفات أرتميس، وهدتها إلى سواء السبيل، إذ شهدت وقوع الحادث الأليم.

٣ - وأخبرها هيليس الذي يرى كل شيء، أن الخاطف الجاني هو سيد الجحيم، لأن زفس سمح لأخيه آنس، أن يتخذ بِرْسُفُونِي حلية له. فصعقت ذميتر لهذا النبأ، وشق الأمر عليها جداً، فترك قصوراً أولمبيساً، وراحت في زي عجوز كسيرة البال، تضرب على وجهها في متأهات البلاد، حتى أدى بها المطاف يوماً إلى مدينة إلفسيس.

وصلت الإلهة عند الأصيل، وجعلت تتحدث إلى بعض الفتيات جلسن على العين في أول البلد. وأخبرتهن أن غزوة حملوها من جزيرة كريت إلى تلك الأ accus النائية، وأنها تبغي مأوى وعملاً وإن كان وضيحاً، عمل حاضنة أو خادمة.

٤ - فأسرعت الأميرات ونقلن الخبر إلى أمّهن متانرا. فبادرت الملكة واستحضرت المسبيّة الغريبة، وأكرمتها غاية الإكرام وحفّتها بالتجلة والإكبار، لمّا رأت دلائل العظمة والكمال بادية على شخصها ذي الجلال. فتنازلت لها عن العرش ودعتها إلى الجلوس عليه. فرفضت الإلهة الملوّعة. وما برحت إيمفي ابنة الصدى والفزع، تداعبها وت Hazel أمامها وتهرج لها، حتى موّهت قليلاً عن نفسها وأزالت طرفاً من حزnya وبذلت وحشتها بإيناس.

وادعى بعضهم أن فقو حاضنة رينا، هي التي قشعت الهم عن نفس نميتر، إذ قدّمت لها الشراب عثباً، وحاولت طويلاً دونما جدو. ولما فشلت في كل ملاطفة، استدارت وكشفت عن مؤخرها وقالت لها القول المأثور. فسرّي عن نميتر المفجوعة وضحكـت لحاضنة أمها.

٥ - وعهدت متانرا، امرأة كليوس ملك إلفيس، إلى الغريبة عابرـة السبيل بحضانة طفـلها الرضيع نـمـفـونـ. فجعلـت الإلهـة تـدلـكهـ بالعنـبرـ، وـتضـمـخـ جـسـمـهـ بـأـطـيـابـ الـإـلـهـةـ، وـترـمـيـ بـهـ فـيـ وـسـطـ الـلـهـيـبـ لـتـمـحـوـ مـنـهـ آـثـارـ الـبـلـاءـ، وـتـنـزـعـ عـنـهـ أـسـبـابـ الـفـنـاءـ. وـلـمـّـاـ انـصـرـفـتـ إـلـىـ ذـلـكـ ذـاتـ يـوـمـ، دـهـمـتـهاـ متـانـراـ عـلـىـ حـيـنـ غـرـةـ، وـذـعـرـتـ الـأـمـ مـنـ ذـلـكـ الـمـشـهـدـ، وـصـاحـتـ بـهـ مـنـ شـدـةـ الـهـلـعـ. فـلـامـتـهاـ إـلـهـةـ فـيـ قـلـةـ فـهـمـهـاـ، وـتـجـلـتـ لـهـاـ فـيـ سـنـاءـ الـأـلـوـهـةـ. ثـمـ توـارـتـ عـنـ نـاظـريـهاـ.

ولـكـنـ إـلـهـةـ الـمـحـسـنـةـ قـبـلـ أـنـ تـغـادـرـ الـقـصـرـ، أـهـدـتـ بـكـرـ مـلـكـ إـلـفـيسـ كـيـلاـ مـنـ السـبـلـ الـذـهـبـيـ، وـعـلـمـتـهـ الـفـلاـحةـ وـالـزـرـاعـةـ، وـاستـعـمـالـ الـمـحـرـاثـ وـالـثـيـرـانـ. وـوـضـعـتـ تـصـرـفـ اـتـرـبـتوـلـمـبـسـ عـجلـةـ تـجـرـهـاـ التـانـيـنـ، ليـجـوبـ بـهـ أـرـجـاءـ الـمـعـمـورـةـ، وـيـعـلـمـ الـبـشـرـ فـنـونـ الـحرـاثـةـ. فـطـافـ الشـابـ بـلـادـاـ كـثـيرـةـ. وـجـاءـ مـقـاطـعـةـ أـرـكـنـيـاـ، حـيـثـ عـلـمـ الـمـلـكـ أـرـكـانـ صـنـاعـةـ الطـحـنـ وـالـخـبـزـ.

٦ - وبعد التـرـحالـ وـالـتـجـوالـ، استـقـرـتـ إـلـهـةـ الحـزـينةـ فيـ هـيـكلـهاـ الكـبـيرـ فيـ إـلـفـيسـ. وـلـكـنـ لـتـبـدـيـ اـسـتـيـاءـهـ لـمـلـأـ مـنـ خـطـفـ وـحـيـدـتـهاـ كـوـرـيـ، منـعـتـ

الأشجار أن تؤتي حملها، وضررت المروج والحقول بالقطط. فأجدبت الأرض سنة كاملة وساعت حال الإنسان والحيوان، وصرخ الجميع إلى رب الأرباب. فانتدب إبرس إلى أخيه الغضبي، وفأوصها في أمر الصلح، وتسويه الأمور بينها وبين آذس، كي لا يهلك الإنسان والحيوان. ولكنها رفضت كل مفاوضة ما لم تر ابنتها الحبيبة.

فهي بط هرميس إلى أعماق الجحيم، وبلغ آذس إراد أخيه زفس، بأن يعيد برسفوني إلى النور. فامتثل آذس أمر أخيه زفس، ولكن قبل أن يُطلق قرينته إلى النور، أطعمها بعض حبات الرمان. وكان تناول هذه الثمرة، يجعل رباط الزواج ثابتاً غير قابل الانفصال.

٧ - وما إن برزت الإلهة من الأرض، حتى أقبلت عليها أمها وبادرت وسألتها بلهفة: "حبيبي كوري هل أكلت في الجحيم شيئاً؟ إذا لم تتناولني طعاماً بعد، نعود معاً إلى ديار الخالدين، وأنعم بك أبد الآبدية. وإلا اضطررت إلى سكني الجحيم، وحرمت من بهجة طلتك يا بهجة الروح". فأطلعت الفتاة أمها الرؤوم على ما حصل لها في الجحيم. وجزعت ذميت من أن تفقد وحيدتها من جديد. لكن زفس أبا الآلهة ليخفف لوعة أخيه ذميت، قرر أن تبقى معها ثلاثة السنة، وأن تلبي الثالث الثالث في الجحيم. فقبلت الإلهة بذلك الحل، ولذا تبقى الأرض مكفهرة في الشتاء، وتتشح أبهى الحل في الربيع، وتزдан في الصيف بالأزهار والثمار.

٤ - أسرار الفسيس

١ - لقد أحب الإغريق تلك الرزايا التي مُنِيت بها إلهة الزرع والضرع، وراموا أن يحيوها في مجتمعهم، ويخلدونا ذكرها في شعائرهم الدينية. فاحتفوا باختطاف كوري في الأعياد التي دعواها شسمفوريما ونسبوها إلى ذميت الإلهة المشترعة، واضعة سنة الزواج وصائنة قدسيته. فكانوا يقيمون تلك الأعياد في مطلع تشرين الأول، فتدوم ثلاثة أيام، ولا يشترك فيها سوى النساء والمتزوجات،

أما عودة الإلهة المسيبة، فكانوا يجدلون ويتهمون بها مع ذمِّيْرِ إلهِهم المحسنة، في أعيادِ لِفْسِينِيَا الصغرى، وقد كرسوا لها ثلاثة أيام في مطلع شهر شباط، وأقاموا شعائرها كل سنة بقرب أثينا على ضفاف نهرِ إلْسُوس.

٢ - وأكرموا الابنة والوالدة معاً في أحد أعيادهم العظمى، عيدِ الْأَلْفِسِينِيَا الكبرى. وقد عيدهُ كل خمس سنين. فتتعاقب الاحتفالات فيه مدة تسعه أيام، بين أثينا وإِلْفِسيِس، في منتصف شهرِ أيلول، أي في آخر الصيف وابتداء الخريف.

ففي اليوم الأول من العيد، ينتظم شبان الأثينيين في موكب حافل، ويتجهون إلى مدينة صغيرة اسمها إِلْفِسيِس، تبعد عن أثينا ستة عشر كيلومتراً، وتقع إلى شمالها الغربي على خليج سارونيك. فما أن يطّلوا على تلك البلدة الجميلة الزاهرة، الزاهية المزданة بجناتها الغناء، ومصايفها الأنiqueة الحسناً، وهيكل ذميْرِ الرخامي البديع^(١)، حتى تتعالى أصواتهم بالهتاف لإلهِهم البهية الشقراء، ويلجون حصن الهيكل، ويتناولون من أيدي السدنة والكهان الأواني المقدسة وأدوات الذبائح، ويعودون بها إلى اللُّفْسِينِيِّن، في سفح قلعة أثينا، ويضعونها هناك على مذابح ذميْر.

٣ - وفي اليوم الثاني، يتجمع المطلعون على أسرار الإلهة الشقراء، من أنجاء ورؤاء، وينحدرون هم وخازيرهم إلى البحر، وهناك يغسلون ويغسلون الأضاحي، ثم يقلون راجعين إلى المدينة، وعلى رأس موكبهم رئيس الكهنة معلن الأسرار^(١) وعندما يبلغون هيكل الإلهة المعروف بهيكلِ لِفْسِينِيَا، يتَّسح رئيس الكهنة بطيسان محملٍ، نثرت عليه نجوم من نضار، ويعتصب بأكلى ذهبي رصع بالحجارة، ويباشر الصلاة وتقديم الذبائح.

٢ - (١) بني ذلك الهيكل الفخم من رخام جبل بتليك، وبلغت مساحته طولاً مئة وثمانية عشر متراً، وعرضًا مئة متر.

٣ - (١) هذا تعريب اسمه اليوناني هيرفانتس.

٤ - وفي اليوم الثالث، يمضون من جديد في موكب مهيب إلى هيكل إلْفِسِيس، حاملين أواني التقديس وعدّة الذبائح. وهناك بالصوم والصلوة والعكوف على شعائر العبادة، كانوا يستعدون للاستارة العلوية. فتتم تلك الاستارة على مرحلتين. في المرحلة الأولى يدخل طالبو الاستارة إلى موضع من الهيكل، يدعى تِلْسِتِيرِينُ أي موضع الكشف أو تتمة الأسرار، وبعد تناول الكعك ومزيج من الشراب، يحضرُون مأساة دينية، تمثل لهم اختطاف الإلهة الفتاة بِرْسُفُونِي.

أما الرؤأة أو الإلْفُوري، فكانوا يشهدون في الهيكل تمثيلية أخرى، موضوعها افتتان زفس بأخته ذِمِتر، فيمثّل فيها دور زِفس معلن الأسرار الْهِيرُفَانْتِس ويسند دور ذِمِيتِر إلى كاهناتها العظمى. وقد حرموا الزواج على هذه أو ذاك، إلا في تلك الحفلة الكبرى. وربما أشاروا بذلك الشعائر إلى قدرة إله العناصر الجوية، وإلى إحسان إلهة الزرع والضرع.

الفقرة الثالثة

فَاكُسْخس أو دُيُونِسُس إِلَهُ الْخُمْرَة

١- منشأه ومولده:

١- أصل عبادة إله الخمرة من شرقيّة، جاء بها أهل القبائل التي اجتاحت بلاد فِيُتِيَّة في شمال اليونان، ونقلوها من هناك إلى جزيرة نَكْسُس، فتأصلت في الجزيرة وتغلغلت منها إلى جزر الأَرْخِيلِيُّون، ثم عادت أخيراً إلى أرض اليونان، إلى الأَنْتِي وشبه الجزيرة اليونانية، وسائر بلاد الإغريق الصغرى والكبرى. ومن المحتمل أيضاً أن يكون منشأ تلك العبادة آسيوياً هندياً فارسياً، كما سنرى في أسطورة حياة ذلك الإله.

٢- والد ذيُونِسُس زفس أبو الآلهة، وأمه سميلي ابنة كادموس ملك ثيفية وأخي إفروبي. لاحظ ملك الأرباب نعومة سميلي وبهجة طلعتها، فأحبها وأخذ بغرامها، وجعل يتتردد عليها وهي تبادله الحب. فانقذت غيرة هيرا واستشاطت الإلهة غضباً عليها. وتزرت بزي وصيفتها، ودنت منها وقالت: "يا بنتي سميلي، إن الإله الذي يرتاد مضعك، لعله يكذب عليك، وكأنني به ليس الإله زفس. فالتمسي منه أن يبدو لك في أبهة عظمته ومجد اقتداره، فينقشع الشك عن نفسك وتثبت لك صحة هويته".

٣- ولما مضت الطاغية المضللة، لبث الشك يراود قلب سميلي ويضايق الريب قلبه، ورغبت رغبة ملحة أن تعرف شخص حبيبها الإلهي، فيوضح حقيقته. فطفقت عندما دهمها، تبكي وتُلْحُّ عليه كي يتجلّى لها في ضياء اقتداره. فمانعها وحذّرها من فضولها، ولكن الهوى سيطر على

تفكيرها، وأبْتَ مِهْما كَانَتِ الْعَوْاقِبَ، إِلَّا أَنْ يُظْهِرَ لَهَا سَنِي لَاهُوتِهِ، وَبَهَاءَ عَزَّتِهِ وَجَبْرُوتِهِ.

٤ - فانقاد الإله حزيناً مكتباً. وما كاد يبدي ضياء اللاهوت حتى أحرقت نيرانه جنيات القصر، والتهم الهيب الفتاة الغرة. وقبل أن يصل اللظى أحشاءها، مدد رفس غصون الجفان على جدران مخدع سميلى، فخففت أوراقها حدة النيران، وحالت دون احتراق الجنين البريء. فانتشر زفس وحشره في فخذه، ونما هناك نموه الطبيعي، متغذياً بدماء أبي الآلهة والبشر. ومنذئ ذهب مذهب الأمثل سؤلهم: "أَتَحُدُرُ مِنْ فَخْذِ جِبِيْتِر؟"^(١) ولما آن أوان الوضع، استدعى زفس قابلة الإلهة، فساعدت إلبيثيا أبا الأرباب، وولد ابنه نيونس وهو يعاني آلام المخاض، ويصرخ صرحاً من شدة الطلاق. وأخيراً وضع ابنه وعهد به إلى خالته إنو ملكة أرخمنيا.

٥ - هذا ما اتفق عليه عندهم علماء الدين والتاريخ. ولكن جماعة زعمت أن كان موس عرف سوء تصرف ابنته، فوضعها هي وطفالها في سبط وألقاها في البحر. فعام السبط على وجه الماء، وبلغ ساحل افرسية، في شبه جزيرة بيلبس. فأخذ الصيادون السبط وحملوه إلى أميرتهم إنو امرأة أثامس ملك أرخمنوس. فوجدت أختها سميلى ميتةً والطفل على قيد الحياة.

٦ - ولكن ثأر هيرا لم يهدأ، فابتلت إنو وقرينها بمس من الجنون. إلا أن رفس ما انفك يسهر على ابنه وحبيبه نيونس، فأحاله إلى جدي رضيع، ودفعه إلى هرميس. فأخذه ساعي الآلهة وعهد به إلى عرائس جبال نيسا في شمال كريبا على حدود لذيا، فعطفن عليه واعتنين بأمره وربينه خير تربية. يساعدهن في هذه المهمة الجليلة رهط من الصطر والسليني^(١)، وجماعة المنايس وهن النساء

٤ - (١) جبیتر أو یوبتر باللاتینیة تعادل زفس بالیونانیة.

٦ - (١) السلیني أو السليني عند الرومان، هم ضرب من الجن تصورهم الأقدمون بهيئة الإنسان وحوافر وذيل وأنني الحصان. وكان هذا النوع من الجن يسهر أيضاً على الغدران والينابيع، كما سترى بعد قليل.

اللائي أحبن إله الخمرة حباً جنونياً، وشغف به فزاغ رشدهن ودعين "الهائمات" وقد أسممت إلهات الفن والموسيقى في تهذيبه والسهر عليه.

٧ - أما عرائس الجبال اللواتي حدبن عليه وضحين في السهر على حداثته، فقد كافاها زفس وأحالهن إلى نيرات ساطعات في رأس برج الثور وأطلق عليهن اسم هِيادِس أي الكواكب الممطرات.

ولما شبّ ذيونسُس وترعرع أخذ يجوب الغابات والحدائق في سفوح الجبال وأغوار الوديان تصحبه عرائس الأرض وربات الجمال، وهامات الجميع مكلاة بأكاليل اللبلاب والغار. واكتشف ذيونسُس عصير الكرمة، فأدمن معاقرته وأصيّب بالجنون. لكن مربيه سلوس، الساهر على تهذيبه وتعليمه، قصد معه سنديان ذدون، وسألها عن وسيلة لشفائه. واجتاز لبلوغ تلك الأجمة، مستقعاً على ظهر حمار، كفأه إله بهبة النطق.

ولما تداوى إله السكير، وعاد إلى صوابه، طفق يجوب الآفاق، لينشر فوائد الخمرة، ويحمل الناس على عبادته. ولكن قبل روایة تلك الأسفار، لابد من تعريف حاشيته وعرض طائفة من أهل بطانته.

٢- بطانة ذيونسُس وحاشيته من الأنس والجن.

اعتد الأقدمون في أعياد القطاف، ولاسيما في قطاف العنبر، أن يحتفوا بإله الكرمة، فيعقدون إكراماً له حلقات الغناء والرقص، ويقيمون على شرفه مآدب وولائم صاحبة، امتازت غالباً بالقصوف والعربدة والمجون.

وقد رموا من وراء ذلك إلى التشبه بإلههم الخليع، وإحياء ذكرى موكيه الماجن، الذي لمّا لمّا لمامات شتى من مومسات، دعين هائمات ومعتهفات^(١)، وعرائس جبال أو تلال، ووديان وجنان، وبحيرات وغدران، وغابات ومحيطات. كما ضم زمراً من الصَّطْرِ والسلِّيني والكتنفري، عدا بان وأرسِتسِوس وابرييس.

(١) هذا معنى الكلمة منادس اليونانية.

١ - جماعة الصرّ

١ - اعتقد اليونان أن البحر والأنهار والحقول والسهول كالبحيرات والغابات آهلة بالأرواح، تظهر فجأة للرعاة كما تظهر للمسافرين، وتذعرهم بأشكالها الغريبة. وقد تمثلوها في هيئة التيوس والقرود، لها من القرود الجبار المائلة والعيون المستديرة والأنوف الفطسة، ومن التيوس القرون والأذان المروسة والذيول والقوائم والأظلاف.

٢ - ولكن ملامح الصرّ قد نعمت ولطفت مع الزمن، فأضفى القوم عليها قسطاً من الجمال والأناقة. ولم تعد جماعة الصرّ كما كانت، جماعة مستسلمة إلى الأشر والبطر، وإلى الله والخلاعة، تتعقب عرائس الغدران وترعب الغادات في الوديان. بل حافظت على دعابتها ومرحها، ومالت إلى الفن والموسيقى. وزعم بعضهم أن الصرّ أخوة عرائس الغاب، وادعى آخرون أنهم بشر من سلالة هرميس وإنثيمي شقيقة بُنُوبِي، وأن هيرا مسخthem قروداً لتوازيهم عن مراقبة ذيُونسُس.

٢ - زمرة السليني

١ - وتتألف موكب فاكحُس من جماعة أخرى هي زمرة السليني. وما السليني إلا طائفة من آلهة الحقول أو بالأحرى من آلهة الجداول والغدران. وهي أقرب في قوائمها إلى هيئة الخيل منها إلى هيئة التيوس. تشبه جماعة الصرّ في أخلاقها وتصرفاتها، وتختلف عنها بقوائم الخيل وأذانها وسنابكها وأذنابها. وما الصرّ مَرسِيس إلا أحد أفراد تلك الجماعة، وهو إله من آلهة أنهار افْرِغِيَا في آسيا الصغرى. ويبدو أن السليني آلهة إغريقية الأصل.

٢ - أما سلنوس فهو شخص بارز في موكب الإله الماجن، شخص دبٌ فيه الهرم وأضاعات صلعته، واستدار كالوطب بطنه، واحدودب أنهه وشمتت لحيته، وراح يتهدى من سكره الدائم، يدعمه صَرَّ على اليمين وصَرَّ آخر

على الشمال. وإذا ما تناقل في المسير، ودوّن السكر رأسه، رفعوه على متن حمار. بيد أن ذلك الشيخ تمتع بالعلم والحكمة، وحدب على إله الخمرة، وسهر عليه وهذهب. وكان يعلم الغيب كلّه.

٣ - رهط الكنفري

١ - وواكب فاكُّس في حلّه وترحاله ضرب غريب من الجن دعوهم رهط الكنفري، أي هامزي الثيران. وأصل هذه الآلة الدنيا من تسلّياً حيث تكثر طروش الثيران، يرعنها من على صهوات الخيل. وامتاز رهط الكنفري بجسم حصان كامل، تفرع منه جذع رجل كامل، ببطنه وصدره ويديه ورأسه.

٢ - وفطرت تلك الجماعة على الخشونة والقسوة، وعرفت بمجنونها وفظاظة طباعها. وفنيّسُ أول من نحت تماثيلها على هذا الشكل. ويقال عنها إنها تحدّر من اكسيّن بن آرس إله الحرب. وتتافر اكسيّن وصهره أبا خطيبته، فاستدعاه واحتال عليه ورماه في اتون. فاستشاط الآلة غضباً عليه والتمس حماية زفس واستضافه. فأضافه رب الآلة. ولكن اكسيّن في قحته طمح ببصره إلى هيرا شريكة زفس في عرشه.

٣ - فقدم زفس له غماماً، أضفى عليها شكل هيرا وملامحها. فولدت هولة لإكسيّن، فأطلق عليها اسم كنفروس. واقترب ذاك الكائن الهجين بأفراس جبل بلين، فأنجبت الأفراس له جماعة الكنفري.

واشتهر بالحكمة فيهم فولس الذي أضاف هرقليس، وخِيرُون مهذب بعض الأبطال، وقد تلقن الفضيلة والعلم من أرتميسيس وأخيها أبولن.

٤ - أما الكنفروس إفريتُين، فقد حارب شعب الليثيَّة، وذلك أن ملكهم بريثوس كان قد دعا إلى حفلة زفافه على هبندِيميا حفيدة آرس. فتملى الكنفروس من الخمر وثمل، وفي نشوة الطرف رام أن يخطف الفتاة. فمنعه

عن ذلك سقساً. فمضى واستجد بأمته وعاود الكرة، وقد تسلح هو وجيشه بجذوع الصنوبر وصخور ضخمة. واثتبك الفريقيان وأبلى سقساً وملك شلياً بلاء حسناً، وفازاً بخصومهما الأشداء. فطرد الكنتوري إلى حدود إبيرس، ولجوءوا إلى سفوح الجبال هناك.

٤ - عرائس الغابات والآجام:

١ - قد يظن المرء أن الخشونة والفظاظة والعنف سطت على حاشية فاكُس ووصمتها وصمة شائنة. إلا أن الواقع أنعم وألين وألطف. لأن تلك الحاشية والبطانة تألفت خصوصاً من جماعة الوالهات وأمة عرائس الآجام والغابات. وعرفت تلك الأمة، كما عرفت إلهات الأنافة والفن، بالنعومة والرقابة والظرف ...

٢ - وأمة العرائس من الجان ضروب وأنواع فهناك عرائس المغاور والجبال المدعوة أرِآدس، وعرائس الآجام المقدسة والأدغال، المسماة ألسئديس وهلئورس، وعرائس الوديان وغابات السنديان المعروفة باسم أفنليادس وأذريلادس. وهناك عرائس غيرها كثيرات، كعرائس الغدران والأنهار والبحيرات والغابات والأدغال والبحار. وتلك الجنيات جميعها شببيات بعضهن البعض، يعشن في الدعة والسلام، ويصبحن الآلة والإلهات، ويوفرن لهم شتى الخدمات.

٣ - وقد كان في بطانة هيرا، عروسه من عرائس الجبال، بهية مرحة مهدار، اسمها إخُو أي صدى الأقوال. وكانت تلك الجنية الفتاتة كلما رأت رب الأرباب يغازل إحدى الفتيات العذاب، تحاول لتعلقها بزفاف، أن تلهي عنه قرينته هيرا، بالغناء والرقص وطريف الألعاب، فلم يمض على الأمر زمن طويل حتى عرفت هيرا مكر الماكرة، فحرمتها الإفصاح وسهولة التعبير، ولم تدع لها سوى ترداد المقطع الأخير من كل كلمة تقال أمامها أو يلفظ بها بصوت جهير.

٤ - وأحبت إخو شاباً رائعاً البهاء، ولكن لما عجزت عن إداء حبها له، أعرض عنها ذلك المحبوب ولم يبال بشعفها المذيب، فاعتكفت في كهف منفرد. وذوت هناك من فرط الهيام. واستحالـت عظامها إلى صوان ولـبت صوتها يتـردد على الدوام.

٥ - أما ناركـسـس حبيـها القاسي الصـدودـ، فقد غـضـبـ عليهـ الآلهـةـ والأـنـامـ، لأنـهـ رـذـلـ حـبـ تـلـكـ الغـانـيةـ، وـفـرـضـواـ عـلـيـهـ أنـ يـهـيمـ بـصـورـتـهـ. وـكـانـ العـرـافـ تـرـسـيـسـ قدـ تـنـبـأـ أـنـ الفتـىـ سـيـظـلـ حـيـاـ مـاـ لـبـثـ صـورـتـهـ مـحـجـوـبـةـ عـنـ نـاظـرـيـهـ. وـذـاتـ يـوـمـ، بـيـنـمـاـ كـانـ يـغـتـسـلـ فـيـ عـيـنـ مـاءـ، شـاهـدـ مـحـيـاـهـ عـلـىـ صـفـحةـ المـيـاهـ المـتـرـقـفـةـ، فـسـبـىـ لـبـهـ ذـلـكـ المنـظـرـ الأـخـاذـ، وـلـمـ يـسـطـعـ أـنـ يـحـولـ بـصـرـهـ عـنـهـ. وـأـقـامـ عـلـىـ تـلـكـ الـحـالـ وـهـوـ يـذـبـلـ يـوـمـاـ بـعـدـ يـوـمـ كـزـهـرـةـ غـضـةـ زـاهـيـةـ، لـفـحـتـهاـ حـرـارـةـ الـهـاجـرـةـ، فـذـوـتـ وـذـبـلـتـ وـتـلـاشـتـ. وـلـمـ قـضـىـ نـارـكـسـسـ مـتـيـماـ وـالـهـاـ، تـحـولـ إـلـىـ زـهـرـةـ جـمـيلـةـ تـحـمـلـ اـسـمـهـ، أـلـاـ وـهـيـ زـهـرـةـ النـرجـسـ.

٦ - وـنـشـأـ فـيـ سـفـوحـ جـبـلـ إـنـتـاـ شـابـ وـسـيـمـ بـهـيـ الطـلـعـةـ اـسـمـهـ ذـافـسـ. وـكـانـ ذـاكـ الـغـلامـ اـبـنـاـ لـهـرـمـيسـ وـإـحدـىـ عـرـائـسـ الـجـبـالـ. وـقـدـ تـرـكـتـهـ أـمـهـ بـيـنـ الـأـدـغـالـ فـالـنـقـطـهـ قـوـمـ مـنـ الرـعـاـةـ فـنـشـأـ نـشـأـتـهـمـ وـتـخـلـقـ بـأـخـلـاقـهـمـ. وـرـأـتـهـ عـرـوـسـةـ مـنـ عـرـائـسـ تـلـكـ الـبـلـادـ، فـاضـطـرـمـ قـلـبـهاـ بـحـبـهـ وـصـادـقـتـهـ، وـعـاهـدـهاـ وـعـاهـدـتـهـ عـلـىـ الـلـوـفـاءـ وـالـأـمـانـةـ، مـادـامـ أـحـدـهـاـ فـيـ الـحـيـاـةـ عـلـىـ أـنـ يـفـقـدـ الـخـائـنـ الـبـصـرـ. وـلـكـنـ إـحـدـىـ الـأـمـيرـاتـ فـيـ تـلـكـ الـمـقـاطـعـةـ وـاسـمـهـاـ خـمـيرـاـ سـقـتـ الشـابـ خـمـراـ وـعـسـلاـ وـأـسـكـرـتـهـ حـتـىـ فـقـدـ صـوـابـهـ. فـحـنـثـ عـنـدـئـذـ بـأـيمـانـهـ وـابـنـتـهـ الـآـلـهـةـ بـالـعـمـىـ. فـانـصـرـفـ لـيـرـوـحـ عـنـ نـفـسـهـ نـقـلـ الـبـلـيـةـ، إـلـىـ الـشـعـرـ وـالـغـنـاءـ وـالـمـوـسـيـقـىـ. فـغـداـ عـنـهـمـ أـبـاـ الـغـنـاءـ وـوـاـضـعـ الـشـعـرـ الـرـعـوـيـ. وـقـدـ وـقـعـ يـوـمـاـ مـنـ صـخـرـةـ عـالـيـةـ فـانـدـقـتـ عـنـقـهـ وـقـضـىـ هـكـذـاـ نـجـبـهـ.

٥ - الإله بانْ وأرِستَفس وابرييُس

١ - نشأت عبادة هذا الإله في أركذيا، ولبثت مقصورة على تلك المقاطعة حقبة طويلة من الزمن. ثم انتشرت في أرجاء مختلفة، وعمت كل بلاد اليونان والرومان. هذا، وقد اختلف المدقون في أصل ذاك الإله وفي نسبة ومعنى اسمه.

٢ - ولكن القسم الأكبر منهم أجمع على أنه ابن هرميس من ابنة الملك اذربيس. وكان الإله قد كلف برعاية قطعane، أو من بنلوبي امرأة أنسفس ملك إثاكى. وقد دنا منها ساعي الآلهة ليراودها بهيئة تيس. فأنجبت له ابناً استعار من الجدي وبره وقائمتيه الخلفيتين وقرنيه الصغيرين. ولذا ضموه إلى بطانة نيونس، وجعلوه فرداً من أفراد حاشيته المؤنسة، لشدة التشابه بينه وبين جماعة الصَّطرَ.

٣ - كان الإله بان فوق كل شيء إلهاً راعياً، يعيش في الأجام والأدغال ويسيهر على المواشي، ويصد عنها هجمات الوحوش الضاربة. وقد ألف خصوصاً منحدرات جبال مِنَال وكهوف هضاب لكيُس. وفيها قصده الرعاة ليؤدّوا له فروض العبادة ويلتمسوا منه الخصب لطروشهم وقطعائهم. وقد أكرمه الصيادون أيضاً لأنّه كان بشكله المخيف يوقع الطرائد في حيائهم. وإذا أخفقوا في صيدهم وخالفهم الحظ، انهالوا على أصنام ذلك الإله وأوسعواها لكمًا وجداً.

٤ - ولم يكن وجه الشبه كبيراً بينه وبين عشر الصَّطر في الجسم وتكون الأعضاء فحسب، ولكن في الطبع أيضاً وفي الأخلاق. فقد اعتاد ذلك الإله الركض والقفز على ضفاف العدران، والسعي وراء عرائس الوديان، يخيفهن بمنظره الغريب، ويلقي عليهن الرعب بمهاجمتهن الفجائية. فقد دهم هكذا ذات يوم جنية لطيفة هيفاء، اسمها سيرنس أي القصبة الناعمة. فذعرت منه أي ذعر وهرعت إلى أبيها نهر لاذن، واستغاثت به

وسائله أن يحولها إلى قصبة، لتنجو من شر الإله بَان. فأحالها أبوها ولبى رغبتها. وحاول الإله الخائب أن يعزّي نفسه، فاقتطع قصبة من ضفة النهر وصنع لذاته مزماراً.

٥ - وقد طارد مرة أخرى عروسه الجبال بِينس. فحظى بها وفضله على خلُّها فريئس. إلا أن ريح الشمال ألهبت غيرته المهاجمة، فهبَ على تلك المحظية الخائنة ورمها على صخرة، فتهاشمَت يداها وساقها. فحنَت عليها الجدة الكبرى غيثاً، وأحالتها إلى صنوبرة. وقد أغوى بَان الإله القطعان ربة القمر الإلهة سليني. ففي ليلة قمراء بدا لها بشكل كبش ناصع البياض، فاستهوها وأهدأها جلد عنزة بيضاء.

٦ - وكما قدمنا، انحصرت عبادة بَان في مقاطعة أركنديا، حيث ارتاح الإله إلى اللهو والعبث، وإلقاء الرعب على المسافرين. وإذا اتسمت تلك المخاوف بصفة المفاجأة فقد دعيت المخاوف الفجائية مخاوف بانيكية، أي شبيهة بالخوف والذعر الذي كان يطيب للإله بَان أن ينشره. ولما وقعت الحروب الفارسية، ظهر بَان لوفد أثيني جاء لمفاوضة إسبطة. ووعد الإله أن يذعر الفرس وأن يهزمهم شر هزيمة إن قبله الأثينيون في محفل آلهتهم وقدموا له شعائر العبادة. وعقب موقعة مَرثون (٤٩٠ ق. م.)، شاد له أهل أثينا معبداً في الأكرْبُولِس، شكرًا له على مناصرته واعترافاً بجليل فضله.

٧ - بيد أن عبادة ذلك الإله، الذي أثار شكله ضحك الآلهة، ما انفك تنمو وتزداد خطورة، حتى غدا صاحبها في عيون القوم رمزاً للإله الأكبر، الإله المهيمن على الطبيعة. وقد روى البُلُوتَرُخُس أن قبطاناً في مروره بإزاء جزر إخِنَادِيس، قد سمع صوتاً جهيراً سرياً يناديه على دفعات ثلاثة ويقول: "أُخْبَرُ فِي مَدِينَةِ بَلُودِي أَنْ بَانَ الْأَكْبَرَ قَدْ مَاتَ". وقد وافق ذلك الحادث بدء ظهور المسيحية.

٨ - وقد أكرمت كل مقاطعة من مقاطعات اليونان "بانها" ودعته باسم خاص بها. فأطلقت مقاطعة **شليا** على "بانها" اسم **أرستقس**، وسمته مقاطعة مسيّا في آسية الصغرى **ابرييس**. أما **أرستقس الإله الجزيل الصالح** فهو في زعمهم ابن **أرنوس** وغيّا أي ابن السماء والأرض. وقيل إنه ابن ابولن وكريتي. وقد زعم بندرس في إحدى أناشيده أن هرميس حمله بعد مولده، ودفعه إلى الجدة الكبرى وال ساعات، فغذوه برحيق العنبر والنكتار، وحولنه إلى إله أزلي. فأصبح الإله زفس أو الإله ابولن. وقد هذبه الكتافرس **خيرن** ولقنه الطب والعرفة. وعده عابدوه حامي الزرع والضرع، لاسيما الجفنة والزيتونة. وقد علم الناس تربية النحل.

٩ - أما الإله ابربيس، فقد عبده في مدينة لامبسكس من أعمال مسيبا وقد رأوا فيه مثلاً لقوة الذكور ورمزوا إليه بالذكرة. وزعموا أن أمه خيوني أو افرنيتي، وأباه نيونسس أو أندنيس أو بان أو هرميس. ويحكى في هذا الصدد أن هيرا قد ابتلت المولود بعاهة فطة، وشوهرته تشويهاً انتقاماً من الزهرة افرنيتي، إذ نقمت عليها لفطر جمالها. وازدادت نقمتها عندما أحرزت منافستها قصب السبق في هذا المضمار. وكان ذلك الإله إلهاً للحقول، يسهر على الحواكير والبساتين، والحدائق والجنان الغناء، حيث كانت توضع صورته الرمزية كما كان يرعى ممالك النحل ويهتم اهتماماً خاصاً بالطبور والأسماك.

٣- **أسفار ذيونسس وما شرره**

١ - انطلق ذيونسس من مقاطعة ثراكية ماراً بفينيا، ثم انحدر إلى الأتكي. وهناك استقبله الملك إكاريس أجمل استقبال، فأهداه الإله ثمار الكرمة وعلمه استخراج النبيذ. فشرب الملك وسقى رعاته. ولما ثمل أولئك الرعاعة، ظنوا أن الملك شاء تسميمهم فحملوا عليه وقتلوه. وإذا أبطأ في العودة إلى القصر جعلت ابنته تبحث عنه. فهدهتها كلبتها ميرا إلى قبر أبيها. وعندئذ شنت إرغوني نفسها من فرط حزنها عليه. وشق الأمر على ذيونسس،

وضرب نساء الأتكى بالجنون، لأن رجالهن سبوا موت الملك وابنته. فنقلهما الإله إلى السماء كما نقل كلبتهما ميرا، فغدا إكارييس برج الراعي، وأصبحت ابنته برج العذراء، وصارت ميرا نجمة من نجوم الجوزاء^(١).

٢ - ومضى من هناك إلى مقاطعة إثليا، ماراً برياض فكيس وحدائق لكريس. ولما بلغ مدينة كلدون، حل ضيفاً على الملك إفس. فرحب به وأكرم مثواه، وقدم له حسب تقاليد تلك البلاد امرأته الثنائيا. فأحبها الإله الخمرة وأنجبت له ابنة دعاها ذيانرا، ولما شبّت وكبرت أحبّها هركليس وشقى بسببها.

ثم انحدر الإله من تلك الأرجاء، وأتى مقاطعة لكتيا، في شبه جزيرة اليونان. فأضافه ملكها ذين على الربح والسعفة، وتعلق ذيوننس بصغرى بناته الثلاث. فغارت شقيقاتها وحاولتا أن تشيا بها وتصدّاً للإله عن الاقتران بها. فغضب فاكخس وأحال الحسودتين إلى صخرة صماء، وأختهما كريا إلى شجرة جوز لذيذ الطعم.

٣ - وانتقل فاكخس من أرض اليونان إلى جزر البحر يطوف أنحاءها الفاتنة وينشر فيها فوائد الكرمة وأطعيب خمورها. وفيما كان يتتردد على ساحل إحدى تلك الجزر، انقض عليه جماعة من القرacsنة واعتقلوه وساقوه أسيراً. وتوسموا فيه الخير ظانين أنه ابن ملك عزيز، لما تجلّى فيه من ملامح الشرف والنبل.

ولما حملوه إلى متن سفينتهم، أرادوا أن يكبلوه بالقيود والأغلال. ولكن السلسل كانت تتلاقص بين يديه وقدميه، وتحل من تلاقائهما نفسها. ويا للعجب العجاب! فقد دهش البحارة لما رأوا سيلًا من النبيذ الأصهب الفوار، يتدفق على متن السفينة ويصب في البحر. ونظروا فإذا بأغصان الكرمة تنساب حول سطح المركب، وتمتد بسرعة وتعانق السواري.

١ - (١) دعيت تلك النجمة شعرى، وهي تطلع عند اشتداد القسط.

وعندئذ، بدا لهم الأسير بشكل هزير، وليثٌ ضار يتحفز للوثوب.
فاستولى الذعر على القرابنة أجمعين. فهربوا كلهم وارتموا في البحر، ولم
ينج منهم سوى القبطان، لأنه حاول ردعهم عن سوء فعلهم.

٤ - وأرسى المركب في جزيرة ناكسوس. فلما انحدر الإله، وجد على
الساحل فتاة نائمة تغط في نومها من شدة العناة. ولم تكن تلك الفتاة إلا
أريادني ابنة مينوس ملك كريت. نامت تلك البائسة المغرورة مطمئنة إلى
الأمير الأثيني الذي خلصته من المنورق. وما إن أفاقت حتى وجدت نفسها
في وحشة مفجعة، وقد أفلع شفافها، وتركها وحدها في جزيرة نائية، لا تعرف
فيها أحداً.

راقبها الإله عن بعد، وعندما رآها تجهش في البكاء، أقبل نحوها
وطمأن خاطرها، وأعاد إلى نفسها السكينة والدعة فأنسنت به واستأنس بها.
وتونقت بينهما عرى الصداقة. وما عتم أن اقترن بها وحضر الآلهة حفلة
الزفاف، وجاءهما كل واحد بهدية. وأنجبت له أنجالاً ثلاثة، إثنيين وإناثين
واستائفلا.

٥ - وقيل إن ارتميس تحاملت على أريادني، وأرددتها قتيلة بناتها
الصائبية. ولم يقترن بها الإله الخمرة إلا بعد موتها. ويرى قبرها إلى الآن في
جزيرة ناكسوس. وقد اعتاد أهل الجزيرة أن يقيموا لها عيدين: أحدهما مناحة
ومائماً ي يكون فيه موت تلك الأميرة الناعمة المنكودة الحظ، والآخر عيداً بهجاً
يشيدون فيه ببعث أريادني واقترانها بإله الجفنة.

٦ - ولم يكتفِ نيونس في حله وترحاله بالتجول في بلاد اليونان، بل
رام أن يشمل إحسانه قبائل الأرض كلها إن أمكن. وفي الواقع لم تمتد
فتوراته إلا إلى الأقطار والأمسكار التي فتحها الاسكندر من بعده. فكان الإله
الخمرة كان رائداً للفاتح العظيم وممهداً للقائد العبقري الفهيم. ورسالة
الاسكندر التاريخية أنت محققة ومتمنة لرسالة فاكسس الأسطورية. وما حلم

به اليونان، في عصورهم المترامية السحيقة، من تمازج الحضارات واندماجها وانسجامها، جاء الاسكندر الكبير وأحاله إلى حقيقة وواعٍ.

٧ - نابع الإله الماجن مسيرته، وغادر الجزر الساحرة إلى السواحل الآسيوية. فهبط في أرض افرغيا وقدد إلهة الأرض كفلي وأم هيلكها في آفس فأطلاعته على أسرارها. وأمعن في جبال افرغيا حتى بلغ غابات كِبُذِكِيَا وفي تلك الأرجاء حاولت أمة الأمزونس النسائية، أن تصده عن نشر عبادته المجنونة، وثار ثائرها على ذلك الإله الخليع، فهاجمها وطاردها، وأقصاها عن مدينة إيفسوس، حيث حشدت قواها لمقارعته.

٨ - بعد انتصاره على تلك الأمة القديرة، جاب في إينيا وكيليكية. ومر منها إلى سوريا، وجاء مدينة دمشق العريقة في القدم، ونزل في جنائزها الغناء، وعلى ضفاف أنهارها الصافية. ودرى بأمره الملك ذاتسكس، وإذ كان قد سمع الشيء الكثير عن تهتكه وخلالاته، فقد اقتنع الجفان التي سبق الإله وغرسها في أرجاء المملكة. فحنق إله الخمرة وسلخ الملك حياً.

٩ - وعلى الأثر غادر مدينة دمشق إلى لبنان، وأتى مغاني جبيل وحل ضيفاً على أذنيس وافرذيتى. وفي غضون إقامته في ربوع لبنان تعرف إلى فروئي كريمتها وأحبها. وارتحل من هناك إلى بلاد الهند والسندي، وعرج في طريقه على بلاد الكوكاز وملك فيها فترة من الزمان. ثم هبط إلى بلاد ليبيا، وساعد عاهلها عمون على استرجاع عرشه، وقد جرده منه التيطان وعلى رأسهم اخرون. وأم ضفاف النيل وسكر وعربد فيها كثيراً، وعلم أهلها التحشيش والتهويش. وفي آخر المطاف قفل راجعاً إلى بلاد اليونان.

١٠ - ولما عاد إلى موطنها، أنكره صحبه وذووه وبنو جلدته، لأنه تخلق بأخلاق آسيا، وتشرب مشارب أهلها، وجرى على أصولهم وعاداتهم،

مما لم يأنسوه فيه من قبل. وقد بدا لهم شاباً أنيقاً مخنثاً، يرتدى ثوباً ليدياً فضفاضاً، يستسلم في شعائر عبادته إلى مظاهر خلاعية اقتبسها من طقوس كفيلي وارتيميس في افرغيا. ولذا أظهر له مواطنه كثيراً من الفتور والوحشة والتحفظ.

١١ - فعندما دخل مراتع ثracية، وجنانها الهادئة الدافئة، في شمال البنطس، قاومه ملكها لكورغس وناصبه العداء. فهرب ذيونسس من وجهه، وغاص في أعماق البحار، ولجا إلى عمة أبيه تثيس، أخت وقرينة أكينوس ولما احتجز لكورغس حاشية الإله من النساء الهائمات والمومسات الخليعات، وأغلق عليهن في غياهب السجون، بلاه ذيونسس بالجنون، وضرب بلاده بالقطط والعقم. ولم يرفع البلاء عن تلك الأنحاء، إلا بعد أن قتل لكورغس ولده، في ثورة من ثورات جنونه، وبعد أن قضت عرافة ذلف بأن يساق الملك المعتوه إلى قمة جبل بنغين، ويداس هنالك بسنابك الخيل.

١٢ - وسمع أمير ثيبة بانثيس بتلك المأسى، فغضب على الإله وألقاه في الدياميس فنجا الإله من معتقله وأصاب نساء البلاد بالبله وأزاغ عقولهن. فاندفعت تلك النساء الزائغات إلى وادي كثرون يُقمن فيها شعائر فاكحُس المجنونة. فتعقبهن بانسيس ليصدّهن عن تلك المخاري، فهجمت عليه أمه البلهاء أغافي^(١)، وأزرتها المعتوهات الزائغات ومزقنه إرباً إرباً، كما يروي لنا ذلك إفريبيدس في مأساته الفاكخيات، أي الهائمات بفاكحُس. وهذا المصاص بالذات فجع بلاد آرغس، إذ ثارت الأمهات فيها وذبحن أنجالهن وأكلن من لحمهم.

١٣ - أما في أرخمنيا فقد أثم الإله وتمادى في غيه وشاء إكراه الناس على عبادته والابتذال في شعائر عبادته. وقد أبْتَ في تلك المقاطعة بنات

١٢ - (١) أغافي ابنة كادموس وأخت انو وسميلي وافتئي. وكادموس مؤسس ثيفه وأخوه إفروبي.

الملك مِيُّسْ أَن ينسق لِمَجُون ذِيُونِسُ. فَبَدَا لِهِن إِلَهٌ بِهِيَةٍ فَتَاهَ مِنْ سَنَهُ، اندفعت في الذود عن الإله وعن أسرار عبادته وعن فوائد اتباعه. لكن الأميرات سفهنهَا وألبسنهَا الخزي والعار في إبداء تلك العبادة على حقيقة أمرها فاستحال إِلَهٌ إِلَى ثُورٍ، ثم ظهر في شكل أسدٍ، وتحول أخِيرًا إلى هيئة نمر. فارتاعت الأخوات الثلاث وخلع الذعر قلوبهن، غير أنهن بَقَيْنَ ثابتات يقاومن ذلك إِلَهَ الغاشم فقط معهن من الظفر، وأحال الواحدة إلى فأرة، وأحال الثانية إلى صدى^(١)، وأحال الثالثة إلى حَدَأة^(٢).

٤ - ولما عنا الجميع لأمره، هبط إلى ديار الجحيم، وانتشر سميلي أمه، وصعد بها إلى أولمِبس، وأدخلها مقر الآلهة، حيث تعم بحياة الخلود. وفي تلك الديار خاض ذِيُونِسُ معارك أبيه، وذعر العملاقة بنهايق حماره، وأجهز بنفسه على إِفْرِتُسْ، وأرداه بضربة قاضية صوَّبَها إليه بدبوسه.

٤- ذِيُونِسُ والأَلَهَةُ الْأَجْنبِيَّةُ الْمُنْصَهَرَةُ فِيهِ

- انطوت سيرة ذِيُونِسُ على دنيا من الأحداث والأساطير لشيوخ دينه وشمول شعبيته وانتشار عبادته. فقد أدمَنَ الأَقْدَمُونَ شرقاً وغرباً معافرة الخمرة، وأَحْبَبُوا لِذَلِكَ حَبَّاً شَدِيداً مِنْ اعْتَقَدوْا أَنَّهُ صانعها ومعلم فوائدها. ولما تفتشى إكرامه في الأقطار والأمسار دانِيَّها وقادسيَّها. سُطَّتْ شخصيَّته على آلهة أخرى، فاندمجت فيه وتلاشت، وتركت أثراً لها بما أضفت على سيرته من غنى وعلى عبادته من مجالٍ مُخْتَلِفةٍ ثرية.

(١) الصدى ضرب من اليوم الكبير الهام يأوي إلى الخرائب والأماكن المظلمة، ويدبر رأسه إليك كيما درت. وزعم عرب الجاهلية أنه يخلق من رأس القتيل، ولذا سموه هامة. وإذا لم يؤخذ بثار المقتول لا ييرح هذا الطير يهتف "اسقوني" حتى يقتل القاتل.

(٢) طير من الجوارح قريب إلى الصقر والباز.

١ - وأول تلك الآلهة هو الإله سَفَارِيسُ. عد أهل ثراثيا ذلك الإله إلهاً أسمى وتصوروه إله الشمس. أما نسبة وغير ثابت. إذ أحذروه تارة من كفيلي الفريغية، وقد صحبها خادنها. واقترن بالآلهة فنديس ربّة القمر عند الثراقيين وهي نفس الإلهة آرتميسيس أو الإلهة الثرائية هِكَاتِي ربّة فرقن الليل وعالم الأموات. وتمثلوا سَفَارِيسُ بقرون الجداء وخصوه بشعار الحياة، واحتفوا به في أعياد ليلية مجنونة صاخبة، دعواها "تاسفاريَا".

وعندما خلطوا بينه وبين ذيونسس، ودمجوه الأول بالثاني، زعم بعضهم ان سَفَارِيسُ حشر ذيونسس في فخذه، ثم ولده وعهد به إلى هبأ إحدى العرائس. وادعى غيرهم أنه هو ابن ذيونسس. ولم يفصل في الخلاف أحد إلى الآن.

٢ - أما الإله فَسَارِفْسُ فهو إله ليديّ. ويشير اسمه إلى جلود الثعالب التي كان فاكحُس يرتديها هو وأتباعه وتابعاته المومسات. وُدعى ذيونسس فَسَارِيسُ ودعى تابعاته فَسَارِيدِنْسُ أي لابسات جلود الثعالب. وقد عبده في لذياً من أعمال آسيا الصغرى على جبل أتمولس.

كان ذلك الإله إلهاً فاتحاً وصياداً كبيراً، ولما انصرفت أسطورته في ذيونسس نسبوا فتوحاته إلى هذا الإله، كما نسبوا إليه زيارته لأفرُوزيتي الزهرة وأنديس، وحكياته مع أمِيلس.

أحب فَسَارِفْس شاباً نادراً الجمال اسمه آمِيلس. وفيما كان هذا البطل يروّض ذات يوم ثوراً وحشياً، نطح الثور مروّضه وصرعه، ثم أجهز عليه وقتله. ففجع به الإله وأحاله إلى كرمة^(١)، وبعد ذلك نقله إلى الفلك وجعله برجاً من أبراجه.

(١) كلمة آمِيلس تعني الكرمة.

٣ - وهنالك أخيراً إله كريتي اسمه زَغْرِفُس، حسبه أتباعه الإله الأسمى وعادله بعضهم بزفس، ثم دمجوه بإله الخمرة، وأبرزوا هذا الإله بحلة جديدة قشيبة، لها ما لها من رونق وشجو وروحانية. وإليك فيما يلي قصته الشائقة. وتلك القصة الطريفة الغريبة إن دلت على شيء فإنما تدل على حنين البشرية إلى الخلود وإلى الحياة الدائمة وإلى النعيم والهناء المؤبد.

وُلد زَغْرِفُس لأبيه زِفْس من ذميتر أو من ابنتها كُوري. ولفرط حسه وصلاحه تحامل عليه بعض الآلهة وراموا التخلص منه. فدفعوه إلى التيطان فمزقه هؤلاء إرباً، ورموا بأشلائه في خلقين مستعر. لكن بلاس الطاهرة الباسلة انتسلت قلب الضحية وحملته إلى أبيها زفس. فقذف زفس الطغاة بصواعقه، وكوّن من ذلك القلب المختل إلهًا جديداً هو الإله ذيونسُس وغدت بقايا زَغْرِفُس إلهًا من آلهة الأرض، تستقبل النفوس في الجحيم، وتساعدها على التكفير والتطهير.

وهكذا حسب التعاليم الأرفية ضمّ ذيونسُس إلى ذميتر وكوري في الأسرار الإلfsينية، إذ غدا هو أيضاً رمزاً للتألم والموت والبعث والحياة السعيدة الدائمة والخلود^(١).

(١) راجع الكتاب المقدس: العهد الجديد، رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس فـ١٥، والثانية فـ٥ - ١٠.

الفصل الثاني

اللهة الماء

المالحة والعذبة

١ - أنجبت غِيَّاً دون ارتياض الحب بُنطس البحر العقيم الزاخر بأمواجه العاتية، كما أنجبت قبله ارنوس السماء الزاهرة الزاهية.

وولدت الأرض لابنها فلاك السماء بعد اقترانه بها، التيطان العظيم الجبار اكتنوس، ذلك النهر اللجب الذي تتدفق مياهه الغزيرة المزبدة على حدود المسكونة، يحدق بالبساطة كأنه حزام شاسع، وليس له من منابع ولا مصب، بل هو الذي يفيض البنابيع والأنهار والبحار، وكل المياه المتفرققة في أعماق الآبار والأغوار. لا بل هو مطلع الكواكب السادرة والنجوم الساحرة التي تبزغ في الأصالة وتغيب بين لجأه في الأسحار. وعلى سواحله امتدت بلاد النوبة الفاضلة وأقطار السمرّيين الغضارف وأمسار الأقزام الزعافن.

٢ - كان أكينوس إحدى القوى الطبيعية الكبرى، وذهب هُومُرس إلى أنه مبدأ الأشياء والآلهة أنفسهم. وقد فاقهم جميعاً عظمة واقتداراً ما خلا ابن أخيه زفس. واقترب هذا الإله بأخته تثيس فأنجبت له ثلاثة آلاف ابن هم الأنهر المتفرعة في بطاح الأرض وجبالها ووديانها، وثلاثة آلاف بنت هن

عرائس الغدران والينابيع. وقد حدب النهر الكامل المحيط وقريرنته تثيس على هيرا في طفولتها، ورباها في نعيم قصرهما عند مغرب الشمس. ولما سيطر الألبيون على أرجاء الكون وتقاسموا ملكه، اعتكف المحيط في المحيط في دياره الساحرة وأخلد إلى الدعة والسكينة وتسلط بُسْدُون على البحار والأنهار. ولم يعد ينazuءه السيادة عليها منازع.

الفقرة الأولى

آلله المياه المالحة

ومع سيطرة بُسِدون ووسط سلطانه على المياه كلها، فقد احتفظ بعض الآلهة بشيء من امتيازاتهم وخصائصهم، نظير نرفس وأمفترتي وأبرنفس وفركيس وأغلفكوس وخارفنس واسكيلا.

١- نرفسُ

١- ولد البحر من اقترانه بالأرض نرفس الصديق بكر أولاده. هذا ما رواه هسيدس وبعض المحققين عندهم. ولكن غيرهم من كبار العلماء رأوا غير هذا الرأي وقالوا إن نرفس هو ابن أكينو وثيس وإنه اقترن بأخته ذريس، فأنجبت له خمسين فتاة دعين نرئيس وهن إلهات البحار. وقد برزت منهن أمفترتي وثيس وأرشوسا وغلانيا وغليني وأغلافكي.

٢- وقد دُعي صديقاً، كما رأينا لأنّه صادق رحيم عادل. ولقب "شيخ البحر" لأنّه كان ذا وقار ومهابة وجلال. وهو كالامواج المتلاطمة دائم الحركة دائِب القلب. من اختصاصه الإنباء بالغيب. ولكنه لا يكشف حبه عادة إلا مضطراً. وقد أرغمه هكذا هرقليس على تعليمه طريق بلاد الهسبرية ليأتي من هناك بنفاح الذهب. وسمعه بارس يوماً يبني بخراب إيليس عاصمة اطروادة.

٣- وأقام نرفس في أعماق بحر إغين، في قصره الربح هو وقرinetه. ذريس ابنة المحيط وبناته الخمسين ينعم بحياة وادعة هنيئة، لا مشاكل فيها

ولا مغامرات. أما بناته *البرئيذس* ذوات الشعر العسجدي الفضفاض، المسترسل على أكتافهن الناعمة البيضاء، فقد اعتقدن أن يتلاعن مع جماعة *الثريطون* على سطح البحر، يزين وجهها بقامتهن الهيفاء وينشرن فوقها باقات بهيّات من الزنابق والورود.

٤ - وقد انصرفت هكذا إحداهن إلى المرح، تداعب أديم البحر بخطواتها الرشيقه، فرمقها عن بعد صياد شهير، إله نهر *ألفيس*، في شبه الجزيرة اليونانية، وتعقبها ليختطفها. فأحالتها الإلهة *أرتميس* إلى ينبوع *فياسن*، يتتدفق في جزيرة *أرتيغي*، واستحال الصياد إلى نهر *لجب*، تشق مياهه عباب البحر، ولا تختلط بالأمواج، حتى تأتي جزيرة *نيلس*^(١) ، وتمازج مياه *أرثوسا*.

وقد شاهدت هذه الجنية الناعمة *بسذون* يخطف ابنة إلهة الزرع، وهدت الأم الملوّعة إلى مقر ابنتها كوري. وقد أكرموا الإلهة *أرثوسا* في أماكن كثيرة، منها جديدة عرطوز التي دعيت باسمها، في ضواحي مدينة دمشق.

٥ - أما أختها *غلتيا*، ذات البشرة البيضاء، التي ضاهى بياض الحليب، فقد أحبها الكلوبيس بليفمس ورام أن يخطب ودها. ولكن الفتاة اللعوب الطروب ازدرت ذلك العملاق الرهيب، وسخرت بما أبدى لها من هيام. فكانت تسعى على وجه المياه، وتأنّيه مفترأة باسمة. وما يكاد يفرج بقدومها، حتى تقفل راجعة إلى اللجة، قبل أن يبادرها بالسلام.

٦ - فحق العمالق من مثل تلك التصرفات، وفاجأها يوماً في مغارة تغازل آكِس أحد الرعاة ويغازلها. واستنشاط المستهام غضباً، وأخذ صخرة كبيرة في متناول يده وهو بعد متمدد يزحف على بطنه، وضرب بها منافسه القزم فسحقه. وذعر الجنية المحبوبة والآمها. فاندفعت إلى أعماق اللجة ولم يعد يعainها من بعد. ولم يبق له إلا أن يشكوا هم لأبيه *بسذون*.

٢ - (١) الباب الأول، الفصل الأول.

٧ - ولكن أكثر الرئيس جمالاً وأوسعهن شهرة هي الجنية ثيتس وقد امتازت تلك الإلهة ببهاء رائع وفتنة ساحرة، سبت عقول الأرباب المخلدين. فترافق إليها زفس وتقرب منها بسذون. ولكن ثيمس كانت قد تبأت أن ثيتس من شأنها أن تلد ليناً يفوق أباه سطوة واقتداراً. فتورع زفس وخاف أخوه بسذون. وقر رأيهما أن يقرنا ثيتس بأحد البشر. واختارا لذلك بلفس ملك شليا.

٨ - فساء الأمر الفتاة الإلهية، وتدركـت ثيتس لذلك القرار، وتمـنعت الجنية الفاتنة عن صحبة زوجها البشري، فتبـدت له بأشكال غريبة رهيبة، تارة في شكل سمكة، وطوراً في هيئة دبة، وأحياناً كلهيب نار وأحياناً كمياه هادرة. إلا أن الكنـقرسـ خـيرـنـ كانـ قدـ عـلـمـ الـمـاـكـ بـلـفـسـ طـرـيقـةـ يـضـبـطـ بـهـاـ قـرـينـتـهـ. فـاستـولـىـ عـلـيـهـاـ بـعـدـ الـجـهـدـ وـالـعـنـاءـ، وـأـقـامـ الـآـلـهـةـ لـهـ حـفـلـةـ زـفـافـ، وـأـهـدـوـهـاـ هـدـاـيـاـ نـفـيـسـةـ.

٩ - وفي ليلة الزفاف بالذات، وقع ذاك الخلاف الشهير، بين هيرا وأثنا وأفرنيتي. إذ أقت إلهة الخصم إريس تفاحتها الذهبية، التي نقشت عليها عبارتها المشؤومة: إلى أكثر الإلهات فتنة وبهاء^(١). وأنجبت ثيتس لملك شليا بطلاً من أكثر الأبطال شهرة، إذ أشادت الإلياذة بملاحمه تحت أسوار إيلين. وقد تدخلت هذه الجنية في الصراع بين هيرا وقرينها زفس، وخلصت رب الأرباب مما حيك له من دسائس^(٢).

١٠ - ولما ولدت ابنها أخلفس، أرادت أن تؤتيه الخلود. فجعلـت تصـهـرـهـ فيـ النـارـ، وـتـدـلـكـ جـسـمـهـ بـعـنـبرـ الـآـلـهـةـ. فـبـاغـتـهاـ قـرـينـهاـ فـيـ إـحـدىـ الـلـيـالـيـ، وـقـدـ انـصـرـفـتـ إـلـىـ تـلـكـ الـأـعـمـالـ، فـجـزـعـ عـلـىـ اـبـنـهـ الرـضـيـعـ، وـانـتـشـلـهـ قـبـلـ أـنـ يـنـالـ منـاعـةـ الـخـالـدـينـ. وـقـيـلـ إـنـ الـجـنـيـةـ الـبـدـيـعـةـ كـانـتـ تـغـطـسـهـ فـيـ السـتـيـكـسـ لـتـوـتـيـهـ الـمنـاعـةـ وـالـخـلـودـ. وـلـكـنـ كـاـحـلـ الـغـلامـ لـمـ يـمـسـ تـلـكـ الـمـيـاهـ وـلـبـثـ قـاـبـلـ الـآـلـامـ، فـنـفـذـ فـيـ سـهـمـ طـائـشـ وـمـاتـ فـيـ حـرـبـ طـرـوـادـةـ.

٩ - (١) راجـعـ فـيـ ذـلـكـ الـبـابـ الثـانـيـ فـ ١٠ـ :ـ ٢ـ .
١٠ - (٢) رـ :ـ ٣ـ :ـ ٦ـ .

٢- امْفَرِيَّتِي

١ - لأمفريتي مقام سام بين بناط نرفس، نظراً لمقام قرينه بسذون سيد البحار. واعتادت تلك الجنية أن تجلس على مركبة فخمة، إلى جانب رب البحار، وتجوب أرجاء مملكتها المترامية الأطراف بسرعة خاطفة إذ كانت تجر تلك العجلة خيول مطهمة بيضاء، تصاهي الأمواج عتوأً، وزبد اللجة نصاعة ونقاء. وكان يحدق بها سرب من الجن من أبناء اتريطن. وامتازت تلك الطائفة بأجساد البشر في نصفها العلوي، وأجسام الأسماك في النصف السفلي، ما خلا بعض الفوارق التي لا تخلو منها أمثال تلك الهولات: نظير الأنابيب بدل الأسنان والمخالب بدل الأظافر، وذيل مشعّب يداني ذيل الحيتان وزعناف على رديف الصدر والبطن، وحراسف غطت الجسم وغشّته بجملته.

٢ - وفيما كانت امفترتي تخال على مركتها، كان سرب التريطن يجاري العجلة في سيرها، ويتلاءب على صفحات الماء، وينفح في الأصداف ويزفر فيها زفيرًا تردد الأمواج. واعتاد التريطن بين الفينة والفينية أن يرتاد السواحل، وأن يخطف البشر ولا سيما النساء. وقد حفظوا في تانغرا لجمي من تلك الطائفة تمثلاً تذكاراً لنجاها المقاطعة من هول تسلطه عليها، وخطف الكثير من نسائها وفتياتها. فاحتالوا عليه ووضعوا له على الساحل دنّا من الخمر. وأقبل عليه وما انفك يعب الصهباء اللذيدة حتى ثمل وسكر. فدنا منه الصيادون وحزوا عنقه.

٣ - أما اتريطن أبو تلك الطائفة من الجن فهو ابن بسذون وأمفريتي. وقد استمد من أبيه قدرة تهيج المياه وتسكين هيجانها. وقد ألف مثل والده ركوب عجلة فخمة تجرّها خيول قوية، تنتهي قوائمها بفكين يشبهان فكي السرطان. وأحرز نظير معظم الآلهة المائية روح النبوة ومعرفة الغيب.

واستجد به زِفس عمه في حرب العمالق. فذعرهم اتريطن بصوته الهادر ونفخه المدوي في الأصداف. وقد كلفه أبو الأرباب بعد الطوفان أن يحرر المياه عن وجه الأرض ويردها إلى الأبحار والمحيطات. وعرف هذا الإله بمروءته ورأفته بالغرقى والكادحين على متون السفن في عرض البحار. وقد أنجد هكذا بحارة ارغو لما قذفت العاصفة سفينتهم إلى اليابس على سواحل ليبيا مقامه المفضل.

٣- فُركيس وابرِتْفَسْ واغلِفْكُوس

١ - فُركيس على زعم هِسيّدُس هو ابن بُنْطُس وغيثا أي نجل البحر والأرض. وقد أنجبت له أخته كِتُو التي افترن بها، العجائز الثلاث^(١) وقد أتتني إلى العالم بأوجه صبوبة وشعر شائب. فدعاهن الآلهة والبشر "العجائز" ولم يكن لهن سوى عينٍ واحدة وسنٍ واحدة يتناوبن في استعمالها. وقد خطف بِرْسِفس منهن تلك العين والسن، ولم يرجعهما لهن إلا بعد أن أطلعته على مكان اخته مِيدُسا، وكان في عزمه أن يمضي ويقطع رأسها. ولما عرف مُقام الغُرْغُونِس أعاد للعجائز العين والسن، وسرق منها نعلين مجنّحين يطير بهما إلى حيث يشاء بسرعة خاطفة، كما سلبَهُن قبعة تنشر الضباب حوله وتخفيه عن الأ بصار، وجراياً يضع فيه رأس مِيدُسا بعد قطعه.

٢ - تلك كانت ابكار فُركيس. وقد أنجبت له أخته بعدهن هولات ثلاثة، دعيت الهائلات أو الغُرْغُونِس. لأنهن لم ينظرن قط إلى امرء إلا وحولنه إلى صخر أصم، إذ كانت لهن أحداقي رهيبة وأنيات هَلْوَف^(٢) وأيدٌ من نحاس وأجنحة من ذهب ترف على مناكبهن وتحملهن في الأجواء الفسيحة. وقد أوت

٣: ١ - (١) راجع هنا ١: ١: ٦.

٣: ٢ - (٢) ضرب من خنازير البر.

تلك الهولات البشعة إلى بلاد القيروان من أعمال ليبيا وجهل الجميع محل إقامتها، ماعدا أخواتها العجائز.

كانت استثنى القوية وشقيقتها إفريالي الدمامنة المجمسة، وحظيت هذه وتلك بالخلود. أما أختهما ميدسا فقد خُصت بجمال فريد نافست به منيرفا نفسها أي الإلهة لأنثا. وأحّبها بسذون - جدّها حسب ادعاء بعضهم - وأرادت مبادلته الحب في هيكل لأنثا. فحققت الإلهة واستناعت من ذلك المنكر أي استثناء، فبلغتها بدمامة تصاهي شناعة أختيها وحولت شعرها إلى أفاعي وشعابين، ووصمتها بعار الهرم والموت.

٣ - وإن استسلمت أختها إلى السبات، وأغرقتا فيه بعد سكرة عارمة، أقبل برسفس على ميدسا، تحميء أنثا، وحزّ عنقها ووضع الرأس في جرابه، وطار على متن بيغسون، ذاك الجواد المطهم المجنح الذي برع من دماء ميدسا. ولما أفاقت الأختان من نومهما العميق اندفعتا بأجنبتهما الذهبية تطاردان الريح سعياً وراء القاتل الجاني. ولكن أجنة الذهب كلت عن اللحاق، فدوى عوبل الأخرين وخلط حفيظ الشعابين المشربة فوق رأسيهما، واستحال إلى أنين حزين، حاولت أنثا أن تردد صدأه على الناي الذي استبسطته. إلا أن المزمار شوّه وجهها أثناء العزف فرمي به في ازدراء.

ولد لفركيس تنين رهيب له مئة رأس، دُعي التنين لأنْ و قد أقيم على حراسة تفاح الذهب في بستان المغربيات، وقيل أن اسكيلا هي ثمرة مغازلته لهكاثي، ربة القمر وكأن في اسمه إشارة إلى زبد البحر و رهبته.

٤ - هذا ما يتعلق بفركيس. أما صنوه ابرتقس فهو ابن الأقيانس المحيط وأخته وقرينته الجليلة نتيس. هذا الإله "شيخ آخر من شيوخ البحر" وقد عهد برعاية ما ملك بسذون من قطuan فظاظ البحر، أبناء هلسندي الهيفاء. وتلك الفظاظ كانت تلتم حوله، وتحيط به إحاطة الأسوار بالمعصم، حين يخرج من اللجة عند الظهيرة، ويستسلم للسبات وراء صخور الساحل.

٥ - عرف ابرتنقس الغيب نظير أقرانه آلهة البحر. ولكن إن شاء أحد أن يكشف له غياهـ المجهول، لزمه أولاً أن يقبض عليه ليكرهـ على الكلام. وما الأمر بالسهل لأن ابرتنقـ يـ يستطيع التـقصـ بـأشـكـالـ كـثـيرـةـ، فـيـتـحـولـ منـ هـيـةـ الشـيـوخـ إـلـىـ هـيـةـ النـمـورـ وـالـأـسـودـ، أـوـ التـعـابـينـ أـوـ الـمـيـاهـ أـوـ الـنـيـرـانـ المـتـأـجـجـةـ أـوـ الـأـشـجـارـ الـوـارـفـةـ. فـمـنـ رـامـ أـنـ يـسـتـفـيدـ مـنـ عـلـمـهـ وـجـبـ عـلـيـهـ أـنـ لاـ يـهـابـ تـقـلـبـاتـهـ الـمـثـيـرـةـ وـأـنـ يـلـبـثـ رـابـطـ الـجـاـشـ، وـعـنـدـئـ يـعـاـودـ إـلـهـ شـكـلـهـ الـأـوـلـ، وـيـعـتـرـفـ بـهـزـيمـتـهـ وـيـنـقـادـ لـمـشـيـةـ سـائـلـهـ، وـيـنـبـئـهـ عـنـ الـغـيـبـ وـالـمـجـهـولـ.

٦ - وقد جعلوا مقرـهـ المـفـضـلـ فـيـ جـزـيرـةـ فـارـسـ عـلـىـ السـاحـلـ الـمـصـرـيـ. ولـعـلـ فـيـ قـوـلـهـمـ هـذـاـ، خـلـطاـ بـيـنـ إـلـهـ شـيـخـ الـبـحـرـ وـبـيـنـ أـحـدـ مـلـوكـ مـصـرـ، وـقـدـ دـعـيـ بـاسـمـ أـبـرـتـنـقـسـ. وـرـوـوـاـ عـنـ ذـاكـ الـمـلـكـ أـنـ اـسـتـقـبـلـ بـأـرـسـ وـهـلـيـنـاـ اـبـنـةـ زـفـسـ وـلـيـذاـ، وـأـنـ اـحـتـفـظـ بـأـمـرـأـ مـنـلـاسـ هـذـهـ، فـتـرـةـ مـنـ الزـمـنـ، عـلـىـ أـنـ يـرـدـهـاـ إـلـىـ قـرـيـنـهـاـ الـشـرـعـيـ. وـلـكـنـ هـذـاـ القـوـلـ مـرـدـودـ. وـقـيـلـ إـنـهـ أـتـىـ ثـرـاقـيـةـ وـاتـخـذـ زـوـجـةـ مـنـ أـهـلـ الـبـلـادـ. إـلـاـ أـنـ شـرـاسـةـ اـبـنـيـهـ حـمـلـتـهـ عـلـىـ الـعـودـةـ إـلـىـ مـصـرـ، فـحـفـرـ لـهـ بـسـدـوـنـ نـفـقاـ فـيـ قـاعـ الـبـحـرـ، سـلـكـهـ وـرـجـعـ مـنـهـ إـلـىـ جـزـيرـةـ فـارـسـ.

٧ - وهـنـالـكـ إـلـهـ ثـالـثـ قـرـيبـ مـنـ السـابـقـينـ، اـخـتـلـفـ الـعـلـمـاءـ فـيـ أـصـلـهـ وـفـصـلـهـ، هـوـ إـلـهـ اـغـلـفـكـوسـ. كـانـ هـذـاـ إـلـهـ إـنـسـانـاـ. ثـمـ اـسـتـحـالـ إـلـىـ اـتـرـيـطـ، وـأـقـحـ بـيـنـ آـلـهـةـ الـمـيـاهـ الـمـالـحـةـ. وـاـخـتـلـفـ الـعـلـمـاءـ عـنـهـمـ فـيـ روـاـيـةـ مـاـ مـرـ عـلـيـهـ مـنـ صـرـوفـ وـأـحـوـالـ. فـزـعـمـ بـعـضـهـمـ أـنـهـ اـنـصـرـفـ ذاتـ يـوـمـ إـلـىـ الصـيـدـ عـلـىـ ضـفـةـ نـهـرـ جـمـيلـ ظـلـلـتـهـ الـأـشـجـارـ وـصـفـتـ مـيـاهـهـ كـالـبـلـورـ. وـلـمـ جـمـعـ قـلـيـلاـ مـنـ السـمـكـ، رـأـىـ أـسـماـكـهـ الـمـرمـيـةـ عـلـىـ الـعـشـبـ، تـخـلـجـ اـخـتـلـاجـاـ عـنـيفـاـ، وـتـنـطـ وـتـطـرـفـ وـتـثـبـ فيـ الـنـهـرـ. وـكـلـمـاـ اـصـطـادـ كـمـيـةـ مـنـهـاـ، جـرـتـ عـلـىـ غـرـارـ غـيرـهـاـ، مـنـ الـاخـتـلـاجـ وـالـقـفـزـ وـمـعاـودـةـ الـنـهـرـ. وـمـنـهـ كـانـتـ تـتـسـابـ بـارـتـيـاـحـ وـتـغـوـصـ فـيـ لـجـةـ السـاحـلـ الـقـرـيبـ. فـتـبـادرـ إـلـىـ ذـهـنـ الصـيـادـ النـبـيـهـ أـنـ فـيـ ذـلـكـ الـمـكـانـ عـشـبـاـ يـحـويـ خـصـائـصـ فـرـيـدةـ مـدـهـشـةـ. فـأـكـلـ مـنـ ذـلـكـ الـعـشـبـ الـعـجـيـبـ وـرـاحـ هـوـ نـفـسـهـ يـخـتلـجـ

بعنفٍ وينطّ. ويقفز ويطفر، وغدت ذراعاه زعانف، وأسفل جسمه ذيلاً مشبّعاً، وكساً الطحلب صدره واسترسلت لحيته وابيضت، ولما بلغ ساحل البحر طفر طفرةٌ أخيرةٌ وغاص في أعماقِ الخضم، بقرب مدينة أنتِدون على ساحل فيتيا فأنعمت عليه تثيس بالخلود وضمته إلى آلهة البحار.

- ٨ - وادعى آخرون أن ذلك الصياد خرج مرة من بلدة أريتا على شواطئ إيليا، وراح يصطاد الطيور وإذا بأرنب برّي يقفز من بين رجليه، فجعل أغلفوكوس يطارد الحيوان. وكلّما أزمع القبض عليه قضم الأرنب الرشيق قطعة عشبٍ، واستعاد نشاطه بعد لغوب، ونجا ظافراً من قانصه. فاستغرب الصياد تلك الخارقة، وتناول من النبتة المذهلة، فأخذ يطفر بقوّة فائقة وهو في أعماق اليم، فأحبه نرفس وأبولن ومنحاه موهبة النبوة، وقرناه بجنيّة فاتنة، أنجبت له سبّيلة كومه العرافة المشهورة.

- ٩ - أحب هذا الإله جزيرة ذيلس، فأضحت مقامه المفضل. ولكنه كان يغادر كل سنة ويتقدّم جزر الأرخبيل اليوناني، ويظهر للنوتية وينبئهم أنباء شوّم. ولم يوفق ذلك الإله البائس في مغامراته، لأن مظهّره كان زرياً، إذ غشّي الطحلب كل جسمه. وقد رام أن يعزّي أربادنی في جزيرة ذيلس عندما غادرها حبيبها شيس. لكن ذيونيس فاجأه وكبله بأغصان جفنة، وناب منابه لدى الأميرة البهية المهمّلة. وحاول الإله أن يستميل الجنية الفاتنة اسكيلاً، ففشل معها فشلاً ذريعاً، وسبّب لها من حيث لا يدرّي، البؤس والشقاء الأليم.

٤- خارفنس واسكيلاً ورهط الغانيات

أقامت في القديم تحرس جانبي مضيق صقلية هولتان هائلتان: الواحدة هي خارفنس والثانية هي اسكيلاً. وإن نجا المرء وأفلت نحو الشمال، فقد يتربّص به شر ثالث مستطير، بقرب جزر سريلس تجاه سواحل كمبانيا. وما ذلك الشر سوى غناء غانيات ساحرات.

١ - أَنْجَبَتِ الْأَرْضَ لِحَفِيدِهَا بُسْدُونَ ابْنَةً جَمِيلَةً دَعَاهَا خَارِفِنْسُ وَتَجَرَّأَتِ تِلْكَ الْفَاتَةُ ذَاتِ يَوْمٍ وَأَخْتَلَتْ قَطْبِيْعَ ثِيرَانِ لِهِرْكَلِيْسُ، فَأَرْدَاهَا زَفِسُ بِصَوَاعِقِهِ الْحَامِيَةِ وَأَحَالَهَا إِلَى لَجَّةٍ فِي الْبَحْرِ، فَاغْرَرَهَا، تَبَلَّغُ الْحَيْثَانُ وَالسُّفُنُ إِذَا دَانَتْهَا، ثَلَاثَ مَرَاتٍ فِي النَّهَارِ ثُمَّ تَقْذَفُ بِهَا مَهْشَمَةً إِلَى الرَّمَالِ الْمَجاوِرَةِ. هَذَا مَا يَقُولُهُ عَنْهَا هُوَ مَرْسُ فِي إِلْيَادَتِهِ: "هَنَالِكَ عَلَى رَأْسِ جَزِيرَةِ صَقْلِيَّةٍ أَقَمَتْ تِلْكَ الْهُولَةَ الْإِلَهِيَّةَ، فِي غَورِ سَحِيقٍ، تَحْتَ صَخْرَ كَلْتَهَا أَشْجَارُ التَّينِ". وَقَلِيلُونَ الَّذِينَ نَجَوا مِنْ هُولِهَا نَظِيرِ أَنْسِيفِسِ الْذَّكِيِّ الْفَؤَادِ، وَمَلَاحِو سَفِينَةِ أَرْغُوْيَاْسُنُ وَرَفَاقِهِ الْأَبْطَالِ الْمِيَامِيِّينَ.

٢ - أَمَّا قَرِينَتِهَا اسْكِيَّلاً فَقَدْ اعْتَكَفَتْ فِي كَهْفٍ عَلَى الرَّأْسِ الْمَقَابِلِ، فِي طَرْفٍ شَبِهِ الْجَزِيرَةِ الإِيطَالِيَّةِ. وَكَانَتْ اسْكِيَّلاً بَدْءَ بَدْءَ بَهِيَّةِ رَائِعَةِ الْجَمَالِ. وَأَخْتَلَفَ الْمُحَقِّقُونَ فِي حَسْبِهَا وَنَسْبِهَا. فَنَمَّا هَا بَعْضُهُمْ إِلَى فَرِكِيسِ وَأَكْرِتِيسِ، وَبَعْضُهُمْ إِلَى التَّتِينِ تِيْفُنُ وَالْحَيَاةِ إِيْجِنْدَنَا، وَغَيْرُهُمْ إِلَى بُسْدُونَ، وَآخَرُونَ إِلَى زَفِسِ وَمَلَكَةِ لِيَبِيا لِمَيَاءِ. وَرُوِيَّ عَنْ هَذِهِ الْمَلَكَةِ الْبَائِسَةِ أَنَّهَا فَقَدَتِ الرَّشْدَ لَمَّا ذَهَبَ أُلَادُهَا ضَحِيَّةً لِحَسَدِ هِيرَا. وَفِي حَالَةِ جُنُونِهَا كَثِيرًا مَا كَانَتْ تَدْهِمُ الْأَمْهَاتِ، وَتَخْتَطِفُ أَنْجَالَهُنَّ وَتَقْرَسُهُنَّ بِلَا رَحْمَةٍ. وَنَشَأَ عَنْهُمْ طَافِقَةً مِنِ الْجَنِيَّاتِ دُعِيَتْ "لَامِيَّاتِ" وَأَوْتَ إِلَى الْغَابَاتِ وَانْصَرَفَتْ إِلَى خَطْفِ الْفَتَيَانِ وَالْفَتَيَاتِ وَأَكْلِ لَحْوِهِمْ نِيَّةً بِلَا مَلْحَ.

وَلَمَّا كَبَرَتِ اسْكِيَّلاً رَأَاهَا إِلَهُ الْجَدِيدِ اغْلَفُوكُوسُ وَهَامُ بِحُسْنِهِ الرَّائِقِ. وَلَكِنَّ الْفَاتَةَ الْفَتِيَّةَ ازْدَرَتْ حَبَّهُ وَامْتَهَنَتْ شَخْصَهُ، وَأَنْفَتَتْ مِنْ دَمَامَتِهِ وَقِبَحِهِ. فَلَجَأَ الْمُتَيَّمِ إِلَى سُحْرِ كِيرْكِيِّ الشَّهِيرَةِ، ابْنَةِ الشَّمْسِ، الْمُسْتَهَمَةِ بِحَبَّهِ وَهُوَ لَا يَدْرِي. فَوَعَدَهُ خَيْرًا وَاسْتَحْضَرَتْ بَعْضُ الْأَعْشَابِ، وَقَصَدتْ إِلَى الْعَيْنِ الصَّافِيَّةِ، حِيثَ اعْتَادَتِ اسْكِيَّلاً أَنْ تَغْتَسِلَ كُلَّ صَبَاحٍ، وَأَلْقَتْ فِي الْمَاءِ الرَّقْرَاقِ. أَعْشَابُهَا السُّحْرِيَّةُ. وَقَدَمَتِ الْفَاتَةُ الْبَاهِرَةُ الْجَمَالُ عَلَى عَادَتِهَا لِتَسْتَحِمُ، وَمَا لَامَسَ جَسْمَهَا النَّاعِمَ مِيَاهُ الْعَيْنِ الْمُلْوَثَةِ، حَتَّى اسْتَحَلَّ بِهَا إِلَى هُولٌ وَغَدَّتِ الْجَنِيَّةُ الْبَدِيعَةُ هُولَةً مَرْوَعَةً، قَائِمَةً عَلَى اثْتَي عَشَرَةَ سَافَّاً، مَسْلَحَةً بِبَرَاثِنَ رَهِيَّةً، وَانْدَلَعَ مِنْ جَسْمِهَا سَتَّ أَعْنَاقٍ طَوَالُ جَدًا، تَتَهَيِّي بِرَؤُوسِ

هائلة، فاغرة أشداقها، وفي كل شدق ثلاثة صفوفٍ من الأنابيب المتراسقة المسننة. وانطلق من حناجر الهولة دويٌ يشبه زمرة الرعد أو هدير الأمواج المتلاطمـة في العاصفة الـهوجـاء، أو زئير الأسود وعوـاء الضـبـاعـ. فارتـاعتـ البـائـسـةـ منـ ذـلـكـ التـحـولـ المـفـجـعـ وـارـتـمـتـ مـنـ يـأسـهاـ فـيـ الـبـحـرـ،ـ وأـوـتـ إـلـىـ ذـلـكـ الـكـهـفـ بـإـزـاءـ غـورـ خـارـفـذـسـ.ـ وـهـنـالـكـ كـلـمـاـ تـسـنـتـ لـهـاـ فـرـصـةـ مـؤـاتـيـةـ،ـ اـنـتـرـعـتـ بـأـشـدـاقـهاـ السـتـةـ عـدـدـاـ مـنـ الـمـلـاحـينـ زـجـتـ بـهـمـ فـيـ مـغـارـتـهـاـ وـافـتـرـسـتـهـمـ عـلـىـ هـيـنـتـهـاـ.ـ وـعـنـدـمـاـ مـرـ بـهـاـ أـذـسـفـ وـصـبـهـ،ـ خـطـفـتـ رـهـطاـ مـنـ جـمـاعـتـهـ.ـ وـفـيـ عـزـمـهاـ أـنـ تـخـطـفـهـ بـذـاتـهـ اـنـقـاماـ مـنـ عـشـيقـتـهـ الـأـثـيـمـ كـيـرـكـيـ.ـ وـقـدـ قـتـلـهـاـ هـرـكـلـيـسـ فـعـادـ فـرـكـيـسـ أـبـوـهـاـ وـأـحـيـاـهـاـ وـلـذـاـ مـاـ اـنـفـكـ الـمـلـاحـوـنـ يـتـقـونـ شـرـهـاـ.

٣ - وإلى شمال ذاك المصيق المخيف، مجموعة جزر صغيرة مهجورة، سكنـتها طائفة من الجنـ تدعـى "الـسـرـنـاتـ" أو السـرـينـسـ، امتـازـتـ بـأـجـسـامـ النـسـاءـ الـحـسـنـاـتـ وـقـوـائـمـ الـطـيـورـ وـأـجـنـحـتـهـاـ اوـ أـذـيـالـ الـأـسـماـكـ وـزـعـانـفـهـاـ.ـ وـتـحـلتـ تـلـكـ الـجـنـيـاتـ بـأـصـوـاتـ رـخـيـمـةـ عـذـبةـ،ـ تـأـخـذـ بـمـجـامـعـ الـقـلـبـ وـتـسيـطـرـ عـلـىـ الـأـلـبـابـ فـيـسـتـسـلـمـ سـامـعـهـاـ إـلـىـ تـلـكـ الـجـنـيـاتـ،ـ فـتـأـخـذـهـ إـلـىـ مـرـاعـهـ غـنـاءـ وـمـغـانـ فـيـحـاءـ،ـ حـتـىـ يـتـرـنـحـ وـيـذـوبـ،ـ فـيـسـلـوـ الـحـيـاةـ كـلـهـاـ،ـ وـعـنـدـئـذـ تـأـتـيـ تـلـكـ الـغـانـيـاتـ الـعـذـابـ وـتـمـتـصـ دـمـاءـهـ وـتـغـنـيـ بـلـحـمـانـهـ.

هـذاـ،ـ وـقـدـ كـانـتـ تـلـكـ الـجـنـيـاتـ مـنـ عـرـائـسـ الـأـنـهـرـ الـوـادـعـاتـ،ـ تـدـلـ أـسـمـاؤـهـاـ عـلـىـ ظـرـفـهـاـ وـلـطـفـهـاـ.ـ فـالـوـاحـدةـ دـعـوـهـاـ الصـوتـ الرـخـيـمـ،ـ وـالـأـخـرـىـ النـطـقـ الـمـعـسـولـ،ـ وـهـذـهـ الـلـحنـ الـرـائـقـ وـتـلـكـ الـوـقـعـ النـاعـمـ الـمـسـتـحـبـ.ـ وـلـمـ زـهـتـ بـصـوـتـهـاـ وـأـعـجـبـتـ بـفـنـهـاـ الـمـوـسـيـقـيـ،ـ رـامـتـ مـنـافـسـةـ رـبـاتـ الـفـنـونـ فـغـلـبـتـهـاـ تـلـكـ الـآـلـهـاتـ وـجـرـدـتـهـاـ مـنـ رـيشـهـاـ الـجـمـيلـ،ـ فـأـوـتـ إـلـىـ تـلـكـ الـجـزـرـ الـمـسـتوـحـشـةـ وـرـاحـتـ تـؤـذـيـ الـمـبـرـيـنـ بـجـوارـهـاـ.

وـقـيلـ إـنـهـاـ شـهـدتـ اـخـتـاطـفـ بـرـسـفـونـيـ،ـ فـسـأـلـتـ زـفـسـ أـنـ يـؤـتـيـهـاـ أـجـنـحةـ لـتـطـيـرـ فـيـ الـبـحـثـ عـنـ الزـمـيـلـةـ الـمـسـيـبـةـ.ـ وـإـذـ لـمـ تـوـقـقـ فـيـ مـهـمـتـهـاـ،ـ جـرـدـتـهـاـ ذـمـيـتـرـ مـنـ أـجـنـحـتـهـاـ،ـ وـعـوـضـتـهـاـ عـنـهـاـ بـأـذـيـالـ أـسـمـاـكـ.ـ وـزـعـمـ قـوـمـ أـنـ الـزـهـرـةـ هـيـ الـتـيـ بـلـتـهـاـ بـأـجـسـامـ الـطـيـورـ،ـ لـأـنـهـاـ رـفـضـتـ الـأـنـسـيـاقـ لـلـحـبـ.

فهناك في تلك الجزر أو في جزيرة كابري أو جزيرة أنثموسا تجاه نَبْلُس، أفت تلك الغانيات الجلوس على صخور الساحل، واصطياد الملاحين بعذوبة أغانيهن الشجية. وانسيفس نفسه مع كل حصافته، لم يكن ينجو من حالهن، لو لا أن حبيبته كيركي ابنة الشمس سبقت وحضرته قبل مغادرته لها، من خطر ذلك الغناء الذي، بقولها: "ستمر في طريقك أولاً بالسرنات الفاتنات التي تسبى الرجال والأطفال. والمغفل الذي يعرّج عليها لا يعرف يوماً أو موعداً للإياب. لأن السرنات تتكئ معه في الحدائق الغناء، وتستهويه بأنغامها الساحرة. فتتكس في مراتعها أشلاء الضحايا".

وفي الواقع عندما دنا انسيفس من تلك الجزر، سمع معزوفات مذيبة وأصواتاً ساحرة عذبة. فذكر كلام خليلته وسد آذان رفاقه، وأمرهم أن يشدواه إلى السارية وأن لا يذعنوا بعد لأوامره ولو تزلف إليهم ورجا فاك أسره، إلى أن يتجاوزوا منطقة الخطر. ولما اقترب من تلك الغانيات خاطبته بكلام لطيف ودعونه إلى النزول في ربوعهن وقلن له بمنتهى الرقة: "يا انسيفس الذايئ الصيت، يا مجد الإخائيين، أرس في خليجنا وحل ضيفا علينا. فما مرّ قط ربان بديارنا إلا وطرب لأنغامنا وأنصت إلى ملاحم اليونان تحت أسوار إيلين. فحن أدرى الناس طرأ بكل ما يقع على ظهر البطحاء".

قالت تلك الغانيات واستمالت قلب البطل المحنّك. ولو لا ما اتخذ من حيطة للأمر لقضى وصحبه نحبه هناك.

بيد أن تلك الفاتنات الساطيات وجدت من يسطو عليهن. وقد حاولت أن تسبى ملاحي أرغو. لكن أرْفِس بقيثارته حال دون مأرب الغانيات، وغلب عزفه سحر إنشادهن. فهوين جملة في جلة البحر، وأحالها الآلهة إلى صخور ناشزة، تجاه مدينة نابلي المسمة قديماً بـرثني.

الفقرة الثانية

آلله المياد العذبة

١ - اعتقد الأقدمون أن الأنهراء آلة، نظير أبيهم النهر المحيط، وأمهم تثيس ابنة الزمان. ولذا أكرمهم الناس وخصّوهم بشعائر العبادة. وقد تمثلوا بهيئة شبان أشداء، يزيدتهم القرنان في أعلى جلالهم عزة واقتداراً. وقدّموا لهم شعور الفتىان، وضخّوا لهم بكباش وخيوط وثيران، كثيراً ما قذفوا بها حية في الجداول والغدران.

وأشهر الأنهراء الثلاثة الآلاف أخلوؤس وأسبوس وإنخس وكفسوس.

١ - أما أخلوؤس فهو إله نهري في مقاطعة إيليا، ونهره أكبر نهر في بلاد اليونان. وقد شُغف هذا الإله بابنة ملك كلذون الأميرة ذينيرا. وأتى المدينة هرقلس بن زفس وألكميني، ورأى الفتاة وأغرم بحبها، ورام أن يتزها زوجة شرعية له، لكن الكثير من الخطاب سبقوه وطلبوها يد الصبية. ففرض أبوها للبت في الأمر سلسلة قاسية من المصارعات، تكون الأميرة البهية جائزة المنتصر فيها. فلما انبرى هرقليس للمبارزة انسحب كل المنافسين، وصمد الإله أخلوؤس وحده. فبارزه ابن زفس وقهره في جولة أولى، وهاجمه النهر في الثانية بشكل افعوان رهيب ولكن الذي قتل الأفعوانين وهو طفل، لم يرهب الشاعرين وهو في عنفوان الشباب، فأذل النهر في الدورة الثانية. فاحتاج النهر وهاجم البطل في هيئة ثور مستقرس ضار. ولكن ابن ألكميني قمعه بعنف وقتل أحد قرنيه. فأخذته عرائس الغاب وملائتها ثمراً وأزهاراً، وحولته إلى فرن إحصاب فائض بالخير. أما الإله المغلوب على أمره فقد غاص في نهره ليستر خزيه.

وقد أكرموا هذا الإله في أمصار كثيرة، وستة أنهار حملت اسمه. واعتدوا في الإيمان أن يستجدوا به. وقد استحالت بنات العراف إخنوس إلى جزر لأن أباهن أغفل إكرام هذا الإله في إحدى ذبائحه. وتلك الجزر تقابل مقاطعة شليا.

٢ - والإله أسبوس لا يقل عن السابق شهرة وعظمة. وقد سموا باسمه أنهاراً عدة في شليا وشبه جزيرة بيلبس وفيتيا. وولد له ابنان من امرأته مروبي، أحدهما بيلغس أو البيلسغيبين، واثنتا عشرة ابنة، إداهن سنوبى التي خطفها أبولن، وكرييرا وسلماس اللتين أحبهما بسذون، وإيني التي سباهما زفس. وكان يشهد اختطاف الفتاة ملك كورنثس الشقي، فلما جاء أبو الفتاة يسأله عن مصيرها إذا سمع عنها شيئاً، فرض عليه الملك أن يفجر نبعاً على هضبة المدينة. وإذا عرف الخاطف الجاني انبرى يطالب ويتحج لديه. فرشقه أبو الأرباب بصواعقه وأكرهه على العودة إلى مرجاه.

٣ - أما إينكس فله مع زفس شؤون وشجون. وقد خطف هذا الأخير ابنته إيو وأغواها على ما رأينا في سيرة زفس. وحكمه بسذون وهيرا عندما تنازعا على حماية الأغر غليس. وإذا حشد لرية الأرباب أنصب رب البحار مياهه.

وقد أكرموا من الآلهة النهرية بنفس في شليا، ولاذن أبا سيرنكس وذفي في أركنيا، وألفوس في مقاطعة إيلس. وحُكى عن هذا الإله أنه هام بحب أرتميس، فهربت إلى إحدى مدن المقاطعة ومررت وجهها بالحمأة، لتنتظر وتخلص من ملاحقاته. وقد أحب أيضاً الجنية أرثوسا على ما ذكرنا سابقاً ولم يوفق في حبه لها.

ويقال إن إفروتس نهر لكنيا، الذي بنيت مدينة اسبرطة على ضفته الغربية، هو ابن تافيتيس ذلك الجبل الأشم الممتد غربي المدينة باتجاه الشمال حتى منتصف شبه الجزيرة، في سلسلة من الصرود والهضاب. واسبرطة

ابنته اقترنت بملك المقاطعة لِكْنِيْمُون. فدعى حاضرة الملك إسبرطة أو لِكْنِيْمِين على السواء. أما الإله فقد هُزم في موقعة، فارتوى من شدة الحنق في النهر الحامل اسمه ليواري فيه عاره.

٥ - أما إلها أفرغيا فهما نهر مِيَنْذِرُس ونهر اسْكَامَنْذِرُس، أو كما سماه الآلهة نهر اكْسِنْثُوس. وقد اشترك الأول في حرب اطروادة وهاجم أخلف وأوقعه في شباكه فتعثر فيها البطل اليوناني، ولو لا تدخل هِيفِسْتُس وحمايته لابن الآلهة ثِيُنِيس، لهلك و Hulk معه رجاء أمته وانتصر شعب إيلين. أما الثاني فقد أخذ اسم ملك بِسْنُوس. ونذر ذاك الملك أنه يضحي بأول عزيز عليه يلاقاه بعد المعركة إن أحرز النصر. فلقي ابنه وذبحه للآلهة ومن فرط حزنه زجّ بنفسه في النهر^(١).

٢ - عرائس الغدران والجداؤل والسوافي واللينابيع والبحيرات.

١ - كما أن لأنهار اللجبة المتدافعه الأمواج آلهتها، كذلك للغدران أو الأنهر الصغيرة إلهاتها وعرائسها، وللجداؤل والسوافي غاداتها وللينابيع والبحيرات عذاراها الناعمة اللطيفة^(١). عبدوا تلك الآلهة الصغرى وأكرموها لأنها كانت رفيقة بالبشر، تعطف عليهم في المحن وغير الدهر، وتشفي أسماقهم، وتهتم باللينابيع والزهور والمروج، والطيور والحملان والجديان. واعتادت تلك الجنيات الناعمات مشاركة أخواتها الكبرى في حفلات الآلهة ومواكبها. وكانت تُقبل أحياناً في مرانع الخلود وديار أولمپس.

٢ - غير أنها لم تكن خالدة. وعمرها في زعم ابْلُوْتَرْخُس لا يتجاوز ٩٦٢٠ سنة. ومع عطفها على البشر ورأفتها بهم، كانت أحياناً تؤذيهم من

١-٥: (١) راجع سفر القضاة من التوراة الفصل ١١: ٢٩ - ٤٠.

١-٦: (١) كانوا يدعون تلك الجنيات بتمينس ونایاذاں واکرینه أو فيجه (بيجه) ولمنادس.

فِرط حبها لهم. كما فعلت سَلْمَكِيس بِهِرْمَفُودِنْتُس بن الزُّهْرَة أَفْرَذِي وَعُطَارَد هِرْمِيس. وكما فعلت أخْرَى بِهِلَاس، رَفِيق هِرْكَلِيس وأَحَد الْأَبْطَال الْمَاخِرِين عَلَى مَتْن سَفِينَة أَرْغُو.

٣ - وأَشَهَرُ الْعَرَائِسِ الْغَيْدِ أَغْنَبِي، جَنِيَّة نَبْعٍ فِي سَفَحِ هَلْكُونْ كَانَت تَلَهُمُ الشُّعُرَاء إِذَا شَرَبُوا مِنْ كَوْثَر يَنْبُوعِهَا. وَكَسْتَانِيَا وَكَسْتُنِيس عَيْنَان صَافِيتَان فِي جَبَلِ بَرْنُسُوس، تَؤْتَيَانُ الْأَدْبَاءِ الْقَرِيْحَةَ وَالْعَرَافِينَ الْوَحِيَّ. وَكِيَانِي رَفِيقَةِ بِرْسَفُونِي وَقَدْ اسْتَحَالَت إِلَى يَنْبُوعِهَا مِنْ أَسَاها عَلَى صَدِيقَتِهَا الْحَبِيبَةِ. وَكَلْبُسُو جَنِيَّةِ ذِيلِس الَّتِي أَضَافَتْ أَذْسَفَسَ سَبْعَ سَنِينَ، وَأَرْغَرَا الَّتِي عَلَقَتِ الرَّاعِي سَلِمَنُوسَ ثُمَّ كَرَهَتْهُ فَأَشْفَقَتْ عَلَيْهِ الزُّهْرَةَ وَحَوَّلَتْهُ إِلَى نَهْرِ وَآتَتْهُ النَّسِيَان لِيَسْلُو كُلُّ مَنِيمٍ يَشْرَبُ مِنْ مَائَهِ الرَّقْرَاقِ، نَارِ الْجَوِيِّ الْمُتَوَقَّدَةِ فِي فَوَادِهِ.

الفصل الثاني

آلهة الفلك

وبعض العوامل الطبيعية

الفقرة الأولى

الإله الشمس وأبناؤه

اقترن التيطان هيرين بأخته الناشرة النور إرفائسا أو ثيا الإلهية، فأنجبت له هيليس فرقد الشمس الساطع، وسليني القمر اللامع، وإيوس الفجر الوداع.

١- إله الشمس وعبادته وما شرطه:

الإله فرقد الشمس عندهم إله خاص هو شخص ذلك الكوكب بالذات، كما للأنهار والجداول آلهة هي أشخاص تلك الغدران. ففرقد الشمس كإله يختلف تمام الاختلاف عن أبولن، الذي يدعونه إله الشمس، لأنه إله النور والضياء. إلا أن بعضهم خلط بين أبولن وهيليس.

٢- وقد عبدوا الإله الشمس منذ القدم، وشادوا له الهياكل والنصب في كل أرجاء اليونان، ولاسيما في أثينا وأرغس وكورنث. وأعظم تمثال لهذا الإله نصب في رؤُس جزيرته المحببة، فوق حوض السفن التي كانت تستطيع أن تمرّ بين ساقيه وأشارت لها منشورة خفافة. وقد صبّ هذا التمثال العظيم،

إحدى عجائب الدنيا في ذلك الحين، فنان شهير اسمه خارس، من مدينة لندن في رودنوس. وأقام على سكبه من الشبه والنحاس، اثنتي عشرة سنة. وبلغ طوله اثنين وثلاثين متراً. شيد في أول القرن الثالث قبل المسيح، وهو في منتصف القرن الأول بعده. ولما استولى العرب على الجزيرة، قيل انهم حملوا من قطعه تسعمئة جمل، مما يعادل وزن ثلات مئة وستين طناً تقريباً.

٣ - وروى علماؤهم أن أعمام هيليس تواطأوا وأغرقوه في المحيط. ولكن زفس مكافأة لخدماته في حرب التيطان، نقله إلى السماء، فأضحت فيها ذلك الفرقـد الساطع. وعند ابـثاق الفجر ، تنهض الساعـات إـبـهورـه مـبـكرة ، وتشـد أحـصـنة إـلـهـ الأـرـبـعة إـلـى مـرـكـبة مـتـأـلـقـة ، صـاغـها لـهـ هـيـفـسـتسـ منـ ذـهـبـ إـبـرـيزـ وـعـاجـ. وـخـيـوـلـ هـيـلـيـسـ كـلـهـ بـيـضـاءـ لـامـعـةـ كـالـضـيـاءـ ، لـهـ أـجـنـحةـ قـوـيـةـ تـشـقـ بـهـاـ عـنـانـ السـمـاءـ. فـيـلـوـ إـلـهـ مـرـكـبـتـهـ وـيمـسـكـ بـأـعـنـةـ الـخـيـلـ وـيـطـارـدـ بـهـاـ النـسـيمـ مـنـ طـرـفـ الـقـبـةـ الـزـرـقـاءـ إـلـى طـرـفـهـ الـآـخـرـ ، وـالـضـيـاءـ يـسـطـعـ عـلـىـ الـعـوـالـمـ وـيـنـيرـ الـآلـهـ وـالـبـشـرـ وـكـلـ الـكـائـنـاتـ.

٤ - وعند منتصف النهار يبلغ الفرقـد ذـرـوةـ الـفـلـاكـ ، وـبـعـدـ بـلـوغـهـ الـأـوـجـ يـنـحدـرـ روـيـداـ حـوـلـ الـأـصـيلـ. وـفـيـ وـقـتـ الـغـرـوبـ يـبـدوـ وـكـلـهـ يـغـوصـ فـيـ لـجـةـ الـبـحـارـ فـيـ أـقـاصـيـ الـمـسـكـونـةـ. إـلـاـ أـنـهـ يـلـقـىـ هـنـالـكـ فـيـ الـحـقـيقـةـ زـوـرـقـاـ عـسـجـيـاـ، مـنـ صـنـعـ إـلـهـ الـحـدـادـ، فـيـهـ تـنـتـظـرـهـ أـمـهـ وـأـمـرـأـتـهـ وـأـوـلـادـهـ. فـيـمـخـرـ بـصـحـبـتـهـ الـمـؤـنـسـةـ عـبـابـ الـمـحـيـطـ، حـتـىـ يـعـودـ عـنـ إـشـرـاقـةـ الـفـجـرـ إـلـىـ نـقـطـةـ الـانـطـلـاقـ.

٥ - أـحـبـ هـيـلـيـسـ جـزـيـرـةـ إـيـثـاـ وـاصـطـفـاـهـ مـرـتـعـاـ لـهـ وـفـيـهـ أـفـامـ وـلـادـاهـ إـيـتـيـسـ وـكـيـرـكـيـ السـاحـرـةـ. أـمـاـ خـيـوـلـهـ فـقـدـ كـانـتـ تـرـعـىـ عـلـىـ أـطـرـافـ الـأـرـضـ، فـيـ جـزـيـرـةـ الـمـغـبـوـطـيـنـ، وـنـقـنـاتـ هـنـالـكـ بـأـعـشـابـ سـحـرـيـةـ. وـقـدـ مـلـكـ إـلـهـ الشـمـسـ مـرـاتـعـ أـخـرـىـ غـيـرـ الـتـيـ ذـكـرـتـ. وـلـكـنـهـ عـنـ اـقـتـسـامـ أـرـجـاءـ الـمـعـمـورـةـ، لـمـ يـكـنـ فـرـقـدـ الـنـهـارـ حـاضـرـاـ. فـبـقـيـ بلاـ نـصـيبـ. فـشـكـاـ أـمـرـهـ إـلـىـ زـفـسـ، فـسـلـطـهـ عـلـىـ جـزـيـرـةـ كـانـتـ تـبـرـزـ مـنـ الـيـمـ جـمـيـلـةـ فـاتـتـةـ، فـدـعـاـهـاـ وـرـدـةـ باـسـمـ حـبـبـتـهـ رـوـدـنـوسـ.

٦ - واختلف يوماً هيليس وبسدون بشأن كورنثوس، فحكمَ في الأمر افريارئس، فمنح البرزخ لملك البحار وروابي كورنثوس للإله الشمس. فتنازل عنها هيليس لخليته الزهرة.

وماعدا قطع الخيل، حاز هيليس قطعاناً من النعاج والثيران، قامت ابنته فنتوسا ولم بتريا على رعايتها. ولما هبط أذسفوس ورجاله في جزيرة اثرينكريا، اختار نفر منهم بعض البقر وذبحوها وأولموا وليمة فاخرة بلحومها. فساء الأمر هيليس وهدد الآلهة بأن يهبط إلى الجحيم ويضيء فيها عالم الأشباح. فهذا زفس روعه ورمى الأئمة بصواعقه.

٢- مغامرات هيليس الغرامية ونساؤه

١ - لما كان هذا الإله إله النور والضياء، فأنواره وأشعته كانت تتفذ حجب الغيب وتشتف سرائر القلوب. وكان عندهم العليم الفهيم العالم السر وأخفى في الورى. لا يخفى عن علمه خبر، ويعرف المصائر والغير. ولا يستتر عن بصره إله أو بشر. فهو الذي أنبأ نمير باختطاف ابنته كوري، كما اطلع صائغ الآلهة على خيانات خليته الزهرة. فانتقمت منه إلهة الحب والجمال، فأوقعته في غرام لفكوري كريمة ملك بابل أرخموس وقرينته إفرونومي.

٢ - فاتخذ الإله زي الوالدة الجليلة، ودنا من الفتاة. فقبلته بلا ريبة ولا تهيب. فحسستها أختها أكلتيا، وقد حظيت قبلها بعطف الإله، وشكّتها إلى والدها. فوأدّها الملك حية. ولما أسرع هيليس إلى النجدة، ولم يستطع إنقاذهما من براثن المفتر، ولم تقدر أشعته بإرجاع الحياة إلى تلك الخلايا الخامدة، أحالها إلى شجرة لبان ومرّ.

٣ - أما أكلتيا فقد ماتت من الوجد على حبيبها إله النهار. لأنه أ NSF من وشایتها النکراء، و هجرها هجراً موبدأ، فخرسته وخسرت نفسها وفقدت معه أختها: "فتعرّت على قول أفيديس، الشاعر اللاتيني، واستلقت على الحضيض في العراء، ولبثت تسعة أيام وتسع ليال، بلا أكل ولا شرب، سوى دموعها

وندى الهواء الرطب في الأسحار. فلصق جسمها الناعم بالصخر، وكسا
شحوب المنية أعضاءها، فاستحالت على غصن أدنى، وغدا رأسها زهرة
صفراء مستديرة، تتجه نحو الشمس بلا ملل، وتبعد ذاك الفرقد بلا كلل".
فسموها زهرة الهليليتروب أي دوار الشمس.

٤ - وأحب هيليس غادة من جنات الأنهر، فلجأت لتأمن ملاحقاته إلى
هيكل لأرتيميس على ضفاف نهر الغانج. ودخلت الهيكل وتوارت في إحدى
زواياه. فعجز الإله عن اكتشاف مخبئها. فصعد في طبقات الفضاء علّه يراها
من علو. ودعى موضع ارتفاعه أنثى، أي موضع الإشراق ولذا سميت تلك
الأمسار بلاد المشرق.

٥ - وهيليس كأبولن وزفس وكبار الآلهة، لم يكتف بامرأة أو اثنتين ولا
حظية أو حظيتين. بل كان له الكثير من النساء والحظايا. فقد اقتنى بابنة
المحيط بيرسي فولدت له برسيس وأيتيس وكيركي وبسفائي واتخذ نيرًا
عروساً من عرائس البحر، فأنجبت له فنيساً ولمبنتاً راعيتي ثيرانه وأغنامه.
وتزوج من الجنية رودس خلفت له سبعة بنين وفتاة وحيدة إلكترiona. واشتهر
أبناء هيليس في صنع السفن ونبعوا في ذاك الفن.

وقيل إنه اقتنى بالأرض جدة جده، فولدت له أخلؤس. وعرف الكلمياني
حليلة ميربس ملك الأحباش، فولدت له سبع بنات وأبناً وحيداً فنيشن، هو أشهر
أبناءه مع الساحرة كيركي.

٣- أشهر أبناء هيليس فنيشن وكيركي

١ - تшاجر يوماً ابن هيليس فنيشن وابن زفس من إيو إيفوس فأنكر هذا
على فنيشن أصله الإلهي. فاحتدم ابن هيليس غيظاً، ومضى إلى أمّه يشكو همه
في سخط واستياء. فهدأته ولاحظته وأرسلته إلى أبيه ليتبيّن الأمر. فلما دخل
قصر أبيه، الساطع الضياء، حجب هيليس في الحال أشعته ثلاثة يحرق بظاهراً ابنه
المحوب. وإذا رأى حزنه واكتئابه أقسم له بنهر التارتروس، أنه لن يرد له مطلبًا.

فحى الابن لأبيه قصته، والتمس بـالحاج أن يقود مركبة النهار، ولو يوماً واحداً، ليظهر حقيقة انتماه. فصدّه الأب طويلاً، وجزع على ابنه أشد الجزع. ولكن فتىًن أصر في الطلب. وعند بزوغ الفجر تسلّم قيادة المركبة، فشعرت الخيول بيد فتية غير يد خيالها المغوار. وعندئذ هاجت وماجت، وحدات في طريقها السوي في كبد السماء، ودنت من الأرض فانقضت اليابس وأحرقت الغابات، واستولى الجليد على أولميس، وكادت الجبال والهضاب تستعر استعراً فصرخت الأرض إلى رفس، فلم ير الإله مناصاً من أن يرمي الفتى الغرّ بنار صواعقه. فهبط على ضفاف نهر ديار السعادة، وهو نهر إرذانس. فبكّته أخواته السبع على ضفاف النهر، سبعة أيام وبسبع ليال، وندبّنه ندبّاً محزناً. ولئلا يعكرن هناه المغبوطين الذين اشتركوا في المناحة، أحالهن الآلهة إلى صفصاف على نبع المياه وتحولت عبراتهن إلى عنبر صاف يتکاثر على تلك الضفاف.

٢ - أما كيركي ابنة هيليس وبيرسي، فقد عُرفت خصوصاً بـسحرها ومجونها. وهي أقرب إلى عشتاروت إلهة الفسق عند البابليين. اقترنـتـ بـملك السرمـاتـ، شـعبـ منـ شـعـوبـ أـكـثـيـاـ أيـ بلـادـ القرـمـ وـماـ إـلـيـهاـ فيـ جـنـوبـ روـسـياـ. وـسـمـتـ زـوـجـهاـ وـهـرـبـتـ إـلـىـ جـزـيرـةـ إـيـثـاـ وـشـادـتـ لـهـاـ فـيـهاـ قـصـرـاـ مـنـيـفـاـ عـجـيـباـ، آـنـيـتـهـ كـلـهاـ مـنـ ذـهـبـ نـضـارـ، وـمـنـ فـضـةـ وـعـاجـ. وـسـرـحـتـ فـيـ مـغـانـيـهـ وـرـيـاضـهـ الأـسـوـدـ وـالـسـبـاعـ عـلـىـ اـخـلـافـهـ، وـقـدـ غـدـتـ بـسـحـرـ كـيرـكـيـ أـلـيـفـةـ وـدـيـعـةـ لأنـ اـبـنـةـ الشـمـسـ اـعـتـادـتـ أـنـ تـحـوـلـ إـلـىـ دـوـاجـنـ كـلـ منـ نـزـلـ فـيـ الجـزـيرـةـ. فـحـوـلـتـ هـكـذاـ رـجـالـ أـنـسـفـ إـلـىـ خـنـازـيرـ. إـلـاـ أـنـ الـبـطـلـ حـمـىـ نـفـسـهـ مـنـ سـحـرـهـ، بـفـعـلـ عـشـبـةـ اـسـمـهـ مـوـلـيـ، وـشـهـرـ السـيفـ فـيـ وـجـهـ السـاحـرـةـ، وـأـرـغـمـهـ عـلـىـ إـعـادـةـ صـحـبـهـ إـلـىـ إـهـابـهـمـ. فـعـاـودـوـاـ شـكـلـهـمـ الـبـشـرـيـ. وـأـحـبـتـ كـيرـكـيـ قـاهـرـهـاـ أـنـسـفـ وـأـضـافـتـهـ سـنـةـ فـيـ نـعـاءـ رـبـوـعـهـاـ. فـأـنـجـبـتـ لـهـ وـلـدـاـ أـسـمـهـ تـلـيـغـنـسـ، قـتـلـ أـبـاهـ مـنـ بـعـدـ فـيـ إـحـدىـ الغـزـوـاتـ وـهـ يـجـهـلـهـ. كـمـاـ أـنـجـبـتـ لـهـ اـبـنـةـ اـسـمـهـ كـسـفـيـ اـقـتـرـنـ بـهـ تـلـيـمـخـسـ اـبـنـ أـنـسـقـسـ مـنـ أـمـهـ بـنـلـوـبـيـ. وـإـذـ لـمـ يـحـتـمـلـ كـبـرـيـاءـ كـيرـكـيـ، أـجـهـزـ عـلـيـهـاـ وـقـتـلـهـاـ وـخـلـصـ الـعـالـمـ مـنـ شـرـّـهـاـ، وـمـنـ اـقـتـارـهـاـ الـمـخـيـفـ لـأـنـهـاـ اـسـتـطـاعـتـ أـنـ تـنـزـلـ الـكـوـاـكـبـ عـلـىـ الـأـرـضـ.

الفقرة الثانية

القمر إلهة الليل

١- أصلها ونشأتها

١- إن سليني إلهة القمر، هي شخص فرقد الليل، كما أن هيليس هو شخص فرقد النهار. وهي أخت الإله الشمس وابنة هبرين وثيا الإلهية. هذا وقد نماها بعضهم إلى هيليس ونسبها بعض آخر إلى أبي الآلهة والبشر.

٢- كانت سليني البهية تبتدئ جولتها في أجواز الفضاء، عندما يهبط أخوها إلى المحيط، ويتوارى في الأصيل خلف الأفق. فتطلع هي في نوبتها جميلة ناعمة، ترتدي خمارها الخمري، وتزهو في الفلك فاتنة ساحرة، تنشر أجنحتها الفضية الناصعة، وتخطر بمهابة بين السحاب، على مركبتها المصيبة اللامعة، تجرّها في تؤدة خيول دمسة مطهمة، تتيح لربتها أن تنشر على الغابات وعلى التلال والجبال، وعلى الأنهر والبحار، فيضاً بهياً من الضياء ودفقات رائعة من السناء.

٢- أسرتها وحبّها العذري لأنذميّن

١- لحظ زفس جمال إلهة الليل، فأحبها حباً جماً، واتخذها قرينة له فأنجبت ثلاثة بنات بهيات: بندِيا الفاتنة بين الخالدات، وإرسyi العذبة ندى الصباح، ونمِيّا التي أوى إليها الأسد الزائر. وقيل عن هذا الوحش الذي قتل هرقليس إنه هبط من القمر، وقد ولدته سليني لقرينه زفس.

وأحب القمر الإله بان، فبدا لها بشكل كبش ناصع البياض واستعمالها إلى أحمة من آجام أركَنْدِيا، كما رأينا في سيرة إله القطعان والغاب.

٢ - وقد هامت إلهة الليل بشاب ممشوق بهيّ الطلعة اسمه أندِمُينْ.
كان ذلك الفتى أميراً من الأمراء يرعى قطيعه على إحدى التلال. فجاءه
زفس ونفله إلى أولمبُس لفطر جماله وروعة كماله. ولكنه تجاسر وطمح
إلى ربة الآلهة، فألقى عليه زفس سباتاً مؤبداً. فنلتته حبيبته سليني إلى
كهف في جبل لاتُمس، وكانت تجيئه كل مساء، وتتأمل رونق وجهه
الصبور.

٣ - وادعى بعضهم أنه ملك على مقاطعة إيلِس، فأحبّته إلهة الليل،
وولدت له خمسين فتاة. وعلى زمن بَفْسَنِيس، كانوا يؤمّون ضريحه في
بلدة الْمَبِيتا. وقال أهل كَرِيَا أن أميراً من أمرائهم يسمى أندِمُينْ مال إلى
مغارة ليستريح من عناء الصيد. فدهمه الليل ولمحته القمر، فاستهواها
حسنه الفتان، فدنت منه يحدها الهيام، وقبلته بمنتهى الحنان. وإذا كان ذاك
الأمير كاماً، يحب العدل ويمارس الإنفاق، رام رب الأرباب زفس أن
يكافئه ويحسن إليه، فخيره فيما يشاء من ثواب، فاختار لنفسه أن يُخلد في
نوم هنيء مؤبد. مما انقطعت صديقته الودود عن زيارته في أول الليل
وتتأمل جماله الفتان.

الفقرة الثالثة

السحر إِنْوَسِ إِلَهَةِ الْفَجْرِ

١- أصلها ونشأتها وزيجاتها

١- لم يميز القوم إلا بعد أحقاب طويلة بين إِنْوَسِ وَهَمِيرَا، إِلَهَةِ السحر وإِلَهَةِ النهار. وقد تمثلوها دوماً في صحبة أخيها هِيلِيس، ترفل بثياب النور إلى جانبه، وتتجوب معه أجواء الكون، مشرقة وضاءة بهية. ثم فرقوا بينها، وبين إِلَهَةِ النهار وأناطوا بها مهمة خاصة، وهي أن تزف إلى البشر أشعة الفجر الأولى وإلى النبات والحشرات ندى الصباح البازغ. فتذكر تلك الغادة الهيفاء، ذات الأنامل الوردية والحواجب العسجدية والبشرة الحليبية التلجمية، لتهضع عند صياح الديك في الغلس، وتترك مهجع قرينهَا تُثُون، وتمتنطى جوادها بِيْغَسُّس، وتنطلق من المحيط مؤذنة بمجيء أخيها، حاملة قارورة فاخرة، تثير منها على الوجود، ندى عذباً لتحفظ له رطوبته. أو تعلو مرکبة ذهبية لامعة، يجرها جوادان مجنحان، أشرب جدهما صبغ الزعفران.

٢- افترنت تلك الإِلَهَةُ الْبَدِيعَةُ الناعمةُ في صباحها، بعدها التيطان أَسْتَرِيئُسُ وكان ذلك آنذاك مباحاً، فولدت نجوماً وكواكب. وولدت أيضاً الرياح: الصباح والشمال والجنوب. ولما ازدانت إِنْوَسِ بمزایا خلابة مال إليها إِله الحرب، فاستقررت بذلك نسمة الزهرة، فطعنتها بسهام العشق، وأولعتها بوجد كثير من البشر. وأول من أحب منهن العملاق أَرِين. فخطفته واحتجزته وأشارت ب فعلتها سخط الآلهة. إلى أن أردىته أَرْتَمِيس بسهمها النافذ، على سواحل جزيرة ذيلس.

٣ - ولما قضى أرِين خافت أفرذيني أن تعود إيوس إلى صحبة آرس.
فأوقعتها في حبِّ تثون نجل لوميدن، والد ابريمُس وجَّهِيكُتر، خصم البطل
أخلفس في حرب اطروادة. أحبَّت الإلهة الأمير الإيوني، وأخلصت له كل
إخلاص، ومن فرط هيامها بقرينه البشرى، سالت له حياة الخلود. ولكن فاتها
أن تقال له مع الخلود ديمومة الصبا. فهرم الحبيب وطعن في الهرم، وغدا مع
الأيام عجوزاً صغيراً، حتى صار بحجم الجنين. فأغلقت عليه إلهة الفجر في
مخدع من مخادع القصر، حتى رحمته الإلهة وحولته إلى صورة صرار.

٤ - وفي تلك الأثناء، ما انقطعت الإلهة عن اللهو والعبث، وعلقت
بشاب اسمه إكليپتُس حفيد العراف الشهير مِيلسَمْبُس. واستأنفت الأرباب
الخلدين ونقلته إلى ريوس أولمبيس. إلا أنها في عبث الفتوة أحبَّت أيضاً ابن
هرميسي المدعو كيفلس، أو ابن ملك فُكيُس.

انصرف كيفلس على هوايته المحببة، وراح يصطاد على جبل همتُوس،
وقد اقتنى من عهد جديدة بفتاة وديعة لطيفة جميلة. فلما رأته إلهة الفجر،
استهواها جماله الأخاذ، فحملته إلى مغاني سوريا، وحاولت أن تستثير بحبه،
إلا أن الزوج الأمين، ما انفك يهدس بعروسه الناعمة.

٥ - فشق الأمر على إلهة الفجر، وأوحى لها الشك بأمانة زوجته، وحملته
على اختبارها. فجاءها ذات يوم متتكراً، وقدم لها مجواهرات فاخرة، وراودها بها
على نفسها. وبعد ممانعة طويلة غلبت عليها التجربة واستسلمت للزوج المتتكراً.
فحنق بعلها أشد الحنق وطردها إلى جزيرة إيفيا. إلا أن أرتيميس المنصفة، أهداها
كلباً مرحف الحس، وسهماً نحاسياً لا يطيش، ورددتها إلى زوجها الحريص
المغرور. فأعجب بالهدية الفريدة، وهو الصياد المولع بالصيد، وارتكتب هفوة
قرينه ابرُوكريُس. وتعارف الزوجان وتصافحاً، ولكن قلب المرأة ما اطمأن.

٦ - وتعقبته ذات يوم إلى أحد الأدغال، واختبأت وراء شجيرات الآس.
فظن أن هنالك طريدة، فرمها بسهمه النحاسي الفتاك، وإذا بذلك السهم القاتل،

يفتك بأعز كائن في الوجود. ورفع قصيته إلى محفى القضاء الأعلى عندهم، إلى محكمة آرِيس باغُس. فُقضي عليه بالنفي. وإذا لم يحتمل فقد الحببية الغالية، قضى من فرط الأسى والهم. وأغرق نفسه في لجة اليم.

٢- سلالة إيوس

١- ولد لتنون من الإلهة إيوس نجلان كريمان: مِيمُنْ وَهِمَتِين. فملك الأول على بلاد الحبشة. وملك الثاني على بلاد العرب. وتشاجر هذا الأخير وهرقليس فقتله. وإذا أردى ميمن أنطيلخس بن نسطر، أجهز أخلفس صديق القتيل، على القاتل وأراد قتله. فرازهما رفس في ميزانه. فرجحت كفة أخلفس، فأجهز على أبيه مقاتل ظهر أمام إبلين، وهو ابن الفجر ميمن، وطعنه طعنة أودت بحياته.

وبعد مماته نالت له أمّه موهبة الخلود. ولكنها لا تتي تبكيه كل صباح، وتسكب على فده عبرات هادئة هي عبرات الندى السحري.

ويبدو أن مِيمُنْ هذا، أسس مدينة سوسة في بلاد فارس، وبنى أسوار بابل في ما بين النهرين، وقد أكرمه في مصر وشادوا له في ثِيفَة تمثلاً ضخماً، ينبئ منه نغم شجيّ، عندما تقع عليه أولى أشعة الفجر.

٢- ومن أبناء إلهة الصباح فَتِينْ، وقد خطفته لضياء وجهه، الزُّهرة إلهة الجمال، وأقامته على حراسة أحد هيكلها. وفُوسْقُرُس إله نجمة الصبح، وهِيْسِيرُس إله نجمة المساء. أما فُوسْقُرُس فقد كان قبل الفجر ينطلق في كبد السماء، حاملاً مشعلاً نيراً وهاجاً، ويتقدم مركبة والدته وعدوا هِيْسِيرُس وأخاه، أبيه وأروع كواكب السماء جميعاً، وقد ولد له ابن، حوله ابولن إلى باشق، لفرط حزنه على موت ابنه خِيوني.

٣- وأخيراً نسبوا إلى هِيْسِيرُس الهِيْبرِيَّة أو المغريبات. ونماهن بعضهم إلى الليل وإِيرِفُس أو إلى فُركِيس وكِنُو، وحتى إلى رفس وثِيمِس.

أقامت تلك الإلهات في أقصى مغارب الأرض، في رياضٍ ساحرة وربوعٍ فاتنة عاطرة، أزهارها عجيبة نادرة، وثمارها شهية وافرة، وتفاحها من التحف الفاخرة، وبعضاً ذهب ونضار. وربما كانت تلك الخرائد ترمز إلى السحب والغيوم التي شبّهواها بقطعان الغنم.

٣- أَرِينُ وَالْبَلِيادُ وَالْهِيادُ

١ - اختلف العلماء في نسبة هذا العملاق. فقال بعض المحققين إنه من العملاقة أبناء الأرض، وادعى غيرهم أنه ابن بُسْدُون وإفريالي. وقال آخرون إنه ابن ملك فِيتِيَا. وهذه الرواية أكثر الأقوال رواجاً. وقد لاقت عندهم رضى وقبولاً.

ذالكم أن زفس وأخاه ملك البحار وساعي الآلة هرميس استضافوا ملك فِيتِيَا هِيرِيفس - وقيل رجلاً فقيراً - فأكرم مثواهم وبالغ في أدب الضيافة. فراموا أن يكافئوه فالتمس لنفسه ولداً لأنَّه كان بلا عقب فاستحضروا جلد العجلة التي أولم منها الوليمة، وبالدوا عليها كل بنوته، وأمروه أن يطمرها ويستفدها بعد تسعه أشهر. ولمَّا حُمِّلَ الأوَانَ بزغْ أَرِينُ من الأرض فتى كبيراً ما عَتَّمَ أنَّه غداً عملاقاً قدِيراً وصباياً بارعاً شهيراً. إذا مشى في قاع البحر برزت منه هامته، وإن خطر على وجهه. نطح السحاب رأسه. فرأته إلهة الصيد وزاملته وصادقته، فما انفك وپاها ينصرفان إلى هوایتهما المفضلة، بصحبة كلبه سِيرِيس.

٢ - واقترن العملاق بجنية ببيعة اسمها سدي، تباهت مرة بحسنها الأخاذ، وفاخرت فيه هيرا ربَّة الأرباب. فحنقت الإلهة العظمى وزجت بالمدعية الصلفة في مهاوي تارْتُرس. فتعلق العملاق بمروبي ابنة ملك خِيس. لكن غنوبيُّن أبا الفتاة، فرض على خاطب ابنته أن يطهرِ الجزيرة من الضواري. وبعد أن أجز البطل المهمة، نكس الوالد بوعده، فأخذ العملاق فنانه عنوة. وإذا استتجد الملك بذِيونِسُس، أوقع على الغاصب سباتاً، فجاء الملك وفقاً عينيه.

٣ - لكن عرافة ذلقي أنبأت الضرير، أنه يستعيد البصر إن اتجه إلى الشمس. فجاء صائغ الآلهة في جزيرته لمُنس. فحنّ عليه الإله وكلّف ابنه كذلّين بمواكبته. ولما شفاه إله الشمس خطفته إلهة الفجر، ولما عاد إلى الأرض عاود مصاحبة أرتيميس، حتى جنى عليه أبولن وكان سبب قتله.

وقيق أيضاً إنه تجاسر وتحدى إلهة الصيد في رمي الصحن الطائر. أو إنه تباهى أمامها وتبرج بإخلاء جزيرتها من الطرائد أو الوحش الآباء. أو شاء بحضرتها أن يغازل بعض وصيفاتها من عرائس الغابات والوديان، وهذا جرم أشنع وأفظع. فأثارها وأسخطها بذلك، فهيّجت عقراً ضخماً. فلدغ الصاحب الطائش وأورده المنون في الحال. وعلى كل، ما رأت الإلهة حبيبتها فريسة البلا والجحيم، حتى نقلته إلى فلك السماء، حيث غدا برج القوس أو القلادة، الذي ينقص لمعانه، إذا بدا برج العقرب.

٤ - أما البليادس والهليادس فهنّ بنات التيطان أطلس وقرينته البليوني. وقد تعقبهن العملاق أريين على جبال فيتيا وقارب أن يقبض عليهن. لكن زفس الذي أحّبهن، أحالهن إلى حمامات ثم نقلهن إلى السماء حيث عدون نجوماً ساطعات. وهناك عندما تبدو الفتة الأولى تبشر بالربيع وأما الثانية فتؤذن بحلول الشتاء.

الفصل الرابع

آلله الهواء والزوابع والأعاصير

١ - الرياح الأربع

١ - رأينا أن الفجر أجبت لأستريُس، إله النجوم الساطعة، بين ما أجبت له، الرياح الأربع: فُرِيسْ ريح الشمال القارسة، ونُوشْ ريح الجنوب الزوبعية، وإِيرُسْ صبا الشرق الناعمة، وزِفِرسْ ريح البحر الغربية المثيرة العجاج والمهيجة الأمواج.

٢ - وتوّهموا فُرِيسْ في هيئة رجل قدّير مجّح، يموج شعره في الهواء، وقدالتقت الشعابين حول ساقيه. أكرمه الأثينيون وشادوا له معبداً على ضفاف نهر إِسوس، ليخلدوا ذكرى اختطاف أرثيَا ابنة إِرخْنس أحد ملوكهم الأوائل. وهو الذي بعثر في عرض البحر سفن دَارِيس الملك وابنه اكْسِرْكِيس إِبان الحروب الفارسية الأولى والثانية، في القرن الخامس قبل المسيح.

٣ - واختار فُرِيسْ مقاماً له جبال ثراقيا. وقد قصدته إِيرُس في كهوف تلك الهضاب الشامخات، عندما شاعت أن يضرم محرقة بِرْكِليس صديق أَخْلس. وهناك أقام مع الأميرة الأثينية التي خطفها. فأنجبت له الفرئادِ زِيُسْ وكالَّسْ. وقد اشتركا في رحلة سفينة أرْغُو، واختلفا وهرقليس فأرداهما في جزيرة زِيُسْ، فاستحالا إلى هواء عليل دعي الهواء السابق، لأنَّه يسبق اشتداد القفيظ عند ظهور

الشِّعْرَى في الجوزاء، أي ظهور سِيرِيس كلب أُرِين في برج التوامين كَاسْتُر وبُلْدِيفِيكِس. ومن مواليد ريح الشمال خيوني الحسناء التي أحبها بسذون إله البحار. واقترن فُرِيَّئِس بأفراس إِرْخُونِيُّس، فوضعت الأفراس اثنى عشر مهراً سلهباً، تمشي على مروج القمح ولا تنتهي السبل، وتختهر على صفحات اللجة ولا تبل سبابكها.

٤ - وأقام زِيفِرس مع أخيه فُرِيَّئِس في كهوف ثِراقيا وفي حصون جبالها الشامخة. وكان في عنفوان شبابه رِيحاً غربية عاتية. تهبّ هبوب الإعصار وتتجدد صفحات البحار، وتسوق الزوابع والأمطار. ثم سكن جيشانه وهذا هيجانه، وأصبح مع الأيام نسيماً ناعماً علياً، تعطر أنفاسه الأرجة ربوع الْهَلِيْسِين^(١) ومراتعها الغناء، حيث تتمتع بالهناء، نفوس الصديقين والأولياء.

٢ - رب الرياح وسيدها:

١ - وهناك اعتقاد آخر، يعبر عنه هومرس، صاحب الأَذْسِيَّة والإِلِيَّادَة، إن الرياح ذاتها لها سيد سائد عليها ورب يأمرها فتمتنل أوامرها، وهو إِلَه إِيلِيس، بن بسذون وأرني. أمّ هذا إِلَه جُزر لِبَارِي واقترن فيها بغياني ابنة الملك ليپِرس وحذبت عليه الآلة وشملته بعطفها بسبب برّه وعدالته. فعهد إليه أبو الآلة رعاية الرياح وسياستها. وقد كان أولاً حارسها والقيم عليها، فغدا مع الأيام أباها وربّها.

٢ - وأقام هذا إِلَه في الجزر البارية، بين صقلية وسواحل إيطالية الوسطى وأضاف البطل اليوناني أذسفس. وعندما ودعه، أهداه زِقاً كبيراً حشر فيه إِلَه، الرياح المناوبة لرحلة صديقه الطويلة في البحر. وأوصى إِلَه ضيفه قبل الرحيل قائلاً: "إِياك أن تفتح هذا الزق، وإلا أصابتك في اليم المكاره". لكن فضول الملائكة أصحابه، أبى إلا أن يفتح الزق. فانطلقت الرياح وهبت على السفينة وأغرقتها قبل بلوغ الميناء.

٤ - (١) هي الربوع المعروفة عند الفرنجة بربوع الأليزة.

ففي تلك الجزر ليس يضبط الرياح ويغلق عليها في كهوف رحبة شاسعة. وقيل عنه إنه استتبع أشرعة السفن وعلم النوتية طريقة استعمالها.

٣ - الخِيَمَرَا قَادْفَةُ الْهَبِ وَإِيهَارِبِيَّهُ الزَّوَابِعُ الْخَاطَفَاتُ:

١ - خلا ما رأينا من الرياح، هناك هولات شنيعات يمتنن عندهم الزوابع الزعازع، والعواصف الهرجاء والأعاصير. وتلك الهولات بناة الإعصار الرهيب تيفن، وقرينته المخيفة إيجندا، التي أحرزت جسم غادة هيفاء، وذيل أفعوان ضخم مرصوف بالفلوس الخشنة الخرشاء.

٢ - وأشهر تلك الهولات خيمرا. وقد صوروها وتمثلوها بأشكال مختلفة متباعدة. فبدت تارة في صورة أسد، على ظهره رأس عقاب، ذو قرنين شببيهين بقرون الماعز، وله ذيل الأسود. بيد أن الذيل ينتهي برأس حنش. وظهرت طوراً بهامة أسد وجسم ماعز وذيل ثعبان. تقدّف من شدقها النيران. وترمز إلى الرعد المزمزمة والغيوم المتبدلة والصواعق المتألقة المدوية.

٣ - وإخواتها الجنيات الخاطفات تمثل الزوابع والعواصف. لأنها كانت تحطّ على الأمواج العاتية وتثيرها وتهيجها، وتنشئ فيها الأعاصير الهائلة. ذكر هومرس اسم إحداها بذرغى، وسمى اثنتين آخرين أثلو وأكسيتيس.

كان لتلك الهولات وجه عجوز دميم، وأنذا دب وجسم الجوارح بمخالبها الشديدة. دعيت خاطفات، لأنها ما فتشت تسّطوا على الناس، وتخطف ما يشترون من لحوم، أو تتجسّها بذرقها، وتشيع الذعر والجوع. وقد سلطت هكذا على العراف فينفس، الذي حكم عليه زفس بشيخوخة دائمة. فكانت تأتيه كل صباح، وتلتّهم ما يقدم له من مأكل، وترش سلحها على الأوعية.

وقد حاربها ملاحو سفينة أرغو، ولا سيما زيتيس منهم وكالنس. وقد تعقباها في الفضاء وغلبها. ولم يتركها حية إلا نزو لا عند رغبة إيرس. وقيل إنها غرفت في البحر أو في نهر تغريس.

الفصل الخامس

آلله حياة الإنسان

سيطر رفس على الكون وسas الآلة والبشر. ولكنه لم يكن يتدخل في شؤون المائتين مباشرة بل عهد في تدبير أمورهم والسمير عليهم والعناية بهم، إلى أرباب آخرين أقامهم على هذا كله وأوصاهم بهم خيراً. ومن جملة أولئك الأرباب، آلهة الولادة والصحة والآلهة الحياة الخلقية.

١ - آلهة الولادة

١ - عرف الأقدمون قابليتين قانونيتين بين الآلهة باسم إلبيثيا. والاثنتان أنجبتهما هيرا لزفس. وخصنت الواحدة بآلام المخاض، وخصنت الثانية بخلاص الحامل البالغة أو ان وضعها. ولكن الاتنتين ما عتمتا أن اندمجتا الواحدة في الأخرى. ولم يبق بعد هومرس سوى إلبيثيا واحدة، لا تستطيع امرأة أو إلهة أن تلد مولودها دون حضورها ومؤازرتها.

٢ - ورأينا في سيرة أبولن وأرتميس كيف عذبت هيرا أمهما لتو. فعانت المغضوب عليها تسعة أيام وتسع ليالٍ آلام المخاض، حتى رحمة الآلهة وأوفدوا إيرس إلى هيرا، فاستعطفتها وجاءت إلبيثيا. وقد صوروا هذه الإلهة راكعة تمسك بيده مشعلاً وبالأخرى تشجع الولادة وتساعدها. وقد سموا هيرا باسم إلبيثيا في أرغس، وأطلقوا هذا الاسم على أرتميس في جزيرة ذيلس.

٢ - آلهة الصحة أسكليبيوس وسلطته:

١ - إِلَهِ الصَّحَّةِ عِنْدَهُمْ إِلَهٌ أَسْكَلِيُّوْسُ. وَهُوَ ابْنُ أَبُولَنَ إِلَهِ النُّورِ وَالْفَنِّ
وَالْمَعْرِفَةِ، مِنْ الْأَمْيَرَةِ التِّيفِيَّةِ كَرُونِي. وَعَرَفَنَا فَاجِعَةُ الْأَمْيَرَةِ الْبَائِسَةِ، وَمَأْسَاتَهَا
مَعِ إِلَهِ عَشِيقَهَا، وَمَوْتَهَا الشَّنِيعُ فَوْقُ الْمَحْرَقَةِ.

وَرَوَى بَعْضُهُمْ أَنَّ كَرُونِي وَلَدَتْ ابْنَهَا فِي حَمْلَةِ حَمْلَهَا أَبُوها أَفْلَغِيُس
عَلَى بَلَادِ أَرْكَذِيَا. وَخَوْفًا مِنْ أَنْ يَنْفَضُّ أَمْرَهَا مَعِ إِلَهِ، عَرَضَتِ الطَّفْلَ عَلَى
جِبْلِ تَنْثِينَ قَرْبَ إِبِيذِفِرسِ فِي فَكْنِيَا، فَعَطَفَتْ عَلَيْهِ عَنْزَةٌ جَعَلَتْ تَرْضَعُهُ حَلِيبَهَا،
وَحَمَاهُ كَلْبٌ أَمِينٌ، مَا انْفَكَ يَحْرُسُهُ وَيُدْفِعُ عَنْهُ السَّبَاعَ. وَأَبُوهُ الْقَدِيرِ يَسْهُرُ عَلَيْهِ
فِي تَلْكَ الْغَضْوُنِ.

٢ - وَلَمَّا نَشَأَ الطَّفْلُ وَتَرَعَّرَ قَليلاً، عَثَرَ عَلَيْهِ رَاعٍ فِي تَلْكَ الْمَنْطَقَةِ.
فَأَخْذَهُ وَاعْتَنَى بِأَمْرِهِ وَسَلَّمَهُ إِلَى الْكِنْتَرُوسَ خِيْرُونَ. وَزَعَمُوا أَنَّ أَبَاهُ أَبُولَنَ،
هُوَ الَّذِي اَنْتَشَلَهُ مِنْ فَوْقِ الْمَحْرَقَةِ وَدَفَعَهُ إِلَى خِيْرُونَ الْحَكِيمِ لِيَرْبِّيهِ وَيَهْذِبَهُ.
فَحَدَبَ عَلَيْهِ الْجَنِّيُّ وَعَلَمَهُ الصَّيْدَ وَلَفَّهُ عِلْمَ الْطَّبِّ، فَبَرَعَ فِيهِ حَتَّى تَغلَّبَ
عَلَى كُلِّ مَرْضٍ، وَقَهَرَ الْمَوْتَ نَفْسَهُ وَأَقامَ الْمَوْتَى، إِمَّا بِدَمِ الْهَوْلَةِ الْهَائِلَةِ
مِيْدُنْسا، وَقَدْ أَعْطَتَهُ أَيَّاهُ أَثِنَا. وَإِمَّا بِعَشَبَةِ رَأَى حَيَّةً تَحْيِي بِهَا حَيَّةً أُخْرَى،
كَانَ قَدْ قَتَلَهَا مِنْذَ قَلِيلٍ.

٣ - فَذَعَرَ هَانِسٌ لِهَذَا النَّبَأِ، وَقَصَدَ رَبَّ الْآلَهَ وَشَكَى أَمْرِهِ، مَدْعِيًّا أَنَّ
دِيَارَهُ لَنْ تَعْتَمَّ أَنْ تَغْدوْ قَاعًا صَفَصَفًا تَتَعبُ فِيهَا الْغَرْبَانُ وَتَعْوِي بَنَاتُ آوَى، إِنَّ
إِنْتَشَرَ عَلَمُ ذَاكَ إِلَهِ الْجَدِيدِ. فَرَأَى إِلَهُ الْكَوْنَ أَنَّ الْبَشَرَ مَائِنَوْنَ، وَأَنَّهُ لَابِدَّ أَنْ
يَسْرِي عَلَيْهِمُ الْقَدْرُ الْمَحْتَوِمُ. فَأَرْدَى أَسْكَلِيُّوْسُ بِصَاعِقَةِ خَفِيَّةٍ وَأَوْرَدَهُ حَتْفَهُ.
فَحَنَقَ أَبُولَنَ وَأَفْنَى الْعَمَالَقَةَ الْثَّلَاثَةَ: الْبَرَقَ وَالرَّعْدَ وَالصَّاعِقَةَ الَّذِيْنَ اسْتَبَطُوا لَهُ
تَلْكَ الْأَدَاءَ الْفَتَاكَةَ. فَنَفَاهُ أَبُوهُ عَنْ دِيَارِ الْخَلْدِ وَلَكِنَّهُ بَعْدَ أَنْ كَفَرَ عَنْ ذَنْبِهِ
وَأَرْضَى أَبَاهُ، التَّمَسَّ مِنْهُ أَنْ يَنْقُلَ ابْنَهُ أَسْكَلِيُّوْسَ إِلَى السَّمَاءِ، فَجَعَلَهُ فِيهَا بَرْجًا
نِيرًا هُوَ بِرْجُ الرَّامِيِّ.

٤ - اقتنى أسكليبيوس بابيوني إحدى الجنينات الفاتنات، فأنجبت له طبيبين شهيرين عندهم، هما مخاون وبذليريس. وقد اشتركا في حرب اطروادة. وشفى أولهما منيلس من جرح سهم بلغ وقتل في تلك الحرب. وقدفت الرياح بالثاني إلى سواحل كريا، فانصرف فيها إلى معالجة المرضى ومداواة السقاماء. أما بنات الإله الشهيرات، فهن أغليان وبنكيا وإيسو وهنئيا: أي النضارة والشفاء والعافية والصحة. وولد له ابن أصغر سمّاه النقّه تلسفورس.

٥ - وقد عبدوا هذا الإله في أكثر مدن اليونان، وشادوا له المساجد والمعابد في ربوع وادعة وغياض هاجعة على ضفاف الأنهار أو سواحل البحار، وفي أمكنة صحية هواؤها عليل ومؤها سلسيل. إذ كانت تلك المعابد مصحات حقيقة، يؤمّها ذنو العاهات من كل الأنهاء قصد المعالجة والمداواة والتماساً للعافية والشفاء. وقد انتسب كهان تلك المساجد إلى سلالة الإله الطب، واحتكروا العلم لذواتهم، وحفظوه أحقاباً، وجعلوه سراً مكتوماً وظلماً مختوماً.

٦ - كان المرضى في مصحات الإله، يتطهرون بالقطاعة والصيام، والغسول والظهور، والذبائح والصلوات ثم ينامون في الهيكل بجوار تمثال الإله على جلد الأضاحي أو أسرة خشبية. فيتمثل لهم الإله في الحلم ويرشدتهم إلى خير علاج. وعند الصباح يعمد الكهنة إلى وصفات معلقة على جدران الهيكل، فيفسّرونها باسم الإله، ويؤكّدون للسائلين أن في تطبيقها الشفاء. وتلك اللوحات كانت أولى كتب الطب. أما هيكل أسكليبيوس فقد اشتهرت في عواصم العالم القديم، ولم تخل منها مدينة هامة. ولكن أكثرها شهرة هيكل أثينا وروما وإيدينفرس وجزيرة كوس، الواقعة على الساحل الجنوبي من آسيا الصغرى بين ساموس وروذس.

٣ - آلهة الحياة الأخلاقية، إيميره ونيمسس وتخي

١ - إن المصائر الثلاث إيميره، هن بنات الأرض. وقال بعض علمائهم إنهن بنات رفس وثيمس. وقصرهن في ديار الخلود بقرب قصر الساعات النافعات. ففي تلك المغاني المؤنسة، تسهر إلهات القدر على مصائر الآلهة والبشر، وعلى نظام البرايا وانسجام الكائنات إذ لا يخضع لهن المائتون فقط، بل الخالدون أنفسهم بلا استثناء. وهن يعرفن معيار كل شيء، ومصائر الجميع مسطرة أمامهن على صفات من نحاس. فيشرفن على مبادئ الأشياء ومواليد الآلهة والبشر. وإذا دنا أجل أحد الأحياء، صرمن حبل حياته بلا شفقة.

٢ - وتلك الإلهات هن أكلثو ولاخس وآتربس. فالأولى ترتدي ثوباً أزرق سماوياً، وتتكلّ هامتها بتاجٍ من نجوم. والثانية اتشحت بثوبٍ ورديٍ فاتح، تأنق فيه الكواكب. والثالثة وهي الكبرى فقد ارتدت ملابس حدادٍ سوداء. والأخوات الثلاث يحضرن مولد كل إنسان مع إلبيتيا. ويراقبته خفية طيلة العمر. ولابد للزوجين وقت قرانهما من الابتهاج إلى إلهات القدر كي يظل الزواج موافقاً سعيداً.

٣ - ودعوها الغازلات، لأنها تغزل لكل امرء نسيج حياته. فتغزل لعيش السعد والهباء خيوطاً حريرية ذهبية، ولعيش البؤس والشقاء خيوط صوفٍ أسود مدلمم، وللعيش الرنق الممزوج بالأفراح والأتراح، خيوطاً من صوفٍ أبيض وأسود على السواء.

فاكلثو تمسك مغزاً يلامس الأرض. ولاخس تهب الحظ السعيد أو التعيس، وتقسم لكل مخلوقٍ قسمته. وآتربس تقضم على مقصٍ لا يرحم، وتصرم حبل العمر عند دنوِّ الأجل.

وقد تمثلوا تلك الإلهات بهيئة عجائز ثلاث، معتمّات بعمائم من صوف خالطه زهر النرجس وقد ذبحوا لها النعاج السود، كما يذبحونها إلهات الانتقام.

٤ - والإلهة نِيمِسْ قسمةُ الحق والإنصاف، هي أيضاً ابنة الأرض جدة الكائنات طرّاً. وقد ولدتها كأخواتها السوابق دون ارتياح الحب. وقيل إنها ابنة المحيط، أو ابنة الليل وايرفس أو ابنة العدل والقضاء.

وسماها هِسِيدُس وباء البشر، لا لإنصافها وإنفاقها الحق. ولكن لتجاوزهم القسط والاعتدال. فإن بطر الأنام وبلغوا حدود الصلف، حلّت بهم نسمة نِيمِسْ. لأن المرء يتبرّأ إلى الآلهة إما بتجاوز شرائع السماء، وإما بفرط الترف والرخاء. ففي هذه الحالة تنتقم نِيمِسْ. وفي تلك تبطش به الإلهة آتي.

٥ - وما هذه الإلهة إلا إلهة الانتقام أو بالحربي إلهة الشر والإثم، التي تدفع البشر والآلهة إلى ارتكاب المخازي والجرائم. وقد دفعت زفس أباها نفسه إلى ذاك القسم الذي جرّ الويل على ابنه هِرَكْلِيس، فطردها من ديار الخلود ونفضها من عيشه على الأرض. فوافقت على البشر داءً ووباءً. ولكن أبا الآلهة والبشر ندم على عمله فأعقبها باللته إلهات التضرّع والاستغفار. وهن بناته أيضاً. ومن أكرم مثوى هذه العجائز الوقورات، من المولى عليه باليمن والخير. وتخي هي الحظ الأعمى الجالب شَابِيبَ الخير.

الفصل السادس

الجحيم وأهتها وأعوانهم

الفقرة الأولى

الجحيم

١- موقعها ومناذتها

إن الجحيم في اعتقادهم مقر الأرواح بعد انفصالها عن الجسد. وهذا المثلوي الأخير الذي تهبط إليه النفوس البشرية بعد الموت هو منقע عذاب للأشرار، أو مرتع ثواب للأبرار. وقد ضم بقعاً كثيرةً، تُصنف فيها الأرواح حسب أصنافها ودرجة استحقاقها.

١- واختلف علماؤهم بشأن موقع الجحيم. فقال أصحاب المذهب الهميري إنها تقع على حدود البسيطة، وراء المحيط، خلف بلاد القمريين. هذا ما فصلته كيركي ابنة الشمس. لخليلها أنسُفْس، عندما شاء أن ينطلق إلى بلد الأموات، ليسأل ظلَّ ترسِيس، مما يخباره له القدر. ففي تلك الديار النائية، ديار البلاء والعفاء، حيث لا تشرق الشمس بعدها عن تلك الأصقاع ينبت في الحقول ضرب من الزنبق البري المنتشر في المقابر، ونوع من الحور والصفصاف، المغبر اللون الضارب إلى السواد.

٢ - وقال أصحاب فرجيليوس، وغيرهم من المدققين، عندما تتبّوا أن بلاد المعور كلها تضيئها الشمس، قال هؤلاء جميعاً إن الجحيم في بطن الأرض، ينحدر إليها المانتون من جهات مختلفة، من مغاور لا يُسرغورها، أو أنهار مجاريها تخترق الأرض على مسافات شاسعة. كمغارة هراكليا في البنطس، ومغارة أخروس في إبيروس، ومغارة رأس تينرس، في الجنوب الشرقي من شبه الجزيرة اليونانية، وكهف كلنوس قرب أثينا حيث أكرموا "العطوفات" إلهات الانتقام. وأشهر الأنهر المؤدية إلى الجحيم نهر أخيرون نهر الألم والحسرة في ثسبرتيا من أعمال إبيروس الوسطى. ونهر ككتوس نهر التنه والتحبيب، وهو من روافد أخيرون. ومن مداخل الجحيم مدخل بحيرة أفرنس في كمبانيا على مقربة من مدينة كوما. وهناك أخرى في فنتيا من أعمال آسية الصغرى، وفي صعيد مصر عند منابع النيل وفي بلاد الحبشة.

٢- مشارف الجحيم

١ - قامت على مشارف ديار البلى أجمة دعواها غابة برسفوني. وتلك الديار بعد هاتيك الغابة لها أسوارها المائحة بمياه مالحة نقيلة أو نيران متاججة. ولها تلالها وهضابها، ولها غياضها وواحاتها، ولها مناقع العذاب ومهاويها الرهيبة، كما لها مراعي الراحة ومحاناتها العجيبة. فهناك الحدائق الغناء وهناك الميادين الفيحاء، يتبارى فيها الأبطال الأقوباء ويتجرأ الفرسان الأشلوس الأشداء. كما يتنافس في ربوعها الشعراء وال فلاسفة والأدباء، ويقيم أهل الفن والطرب حفلات الرقص والتمثيل، على ضفاف الغدران وتحت صفصف الوديان.

٢ - فبعد أن يقطع المرء غاب ملكة الجحيم، يلقى الشؤون والشجون والغموم والهموم، في منعطف الهضبة التي قام عليها ذلك الغاب، ثم يشاهد العلل والأمراض والشيخوخة والأوجاع، والهلع والجوع، والفقر والهزال

والآلم والموت والنوم شقيق المنية، وأفراح النفس المنحرفة. وإذا تقدم المسافر في تلك الطريق، عاين على اعتاب هاتيك الديار، الحرب الضروس والأثافي الهائجات، المعروفات عندهم باسم إرنيس أي المنتقمات، وباسم إفمنيدس أي العطوفات. وهذه اللفظة من باب التورية خوفاً من لفظ الاسم الصحيح.

٣- ويرى أيضاً النزاع البغيض بلمنته المشعّنة، والثعابين المهاجحة فيها، والدم والسمّ الزعاف ينقط منها. ثم الكنفري تترنّغ في التراب وافريارُئُس العملاق الرهيب يهدّ ويلوح بأيديه المئة، ويدمم بأشداقه الخمسين. وتتّين ليبني والخيمرا قاذفة اللهب، والهوّلات الثلاث والخاطفات القذعات، وغرين العملاق الهائل بأجسامه الضخمة الثلاثة، وفي وسط البقعة دوحة شامخة باسقة من الدردار، حطّت الأحلام الواهية على أوراقها كضباب من الهوام.

٣- أنهار الجحيم

وعندئذ يبلغ المرء ضفاف أخيرٍ، ذلك النهر اللجب الذي تتدافع أمواجه الملوّنة عاتيةً زاخرة، لاسيما بعد أن تمتزج بمياه النحيب والحسرات مياه رفده نهر ككتوس. وأخيرٌ هو ابن الأرض وقد قضى زفس عليه إيان حرب التيطان. لأنّه ساعد إخوته وسقاهم في المعركة فرشقه زفس بصواعقه، وأهبطه إلى الجحيم. فاستحال فيها إلى نهر هدار. ولزام على أرواح الراقددين أن تجتازه لتبلغ مقرّ راحتها. ولا تستطيع ذلك إلا على متن فلك خارن العتيق الأيام، ذي اللحية الكثة الشمطاء والمحيا العبوس والثياب الفدّرة الرثّة. وهذا الشيخ العتيّ، هو ابن الديجور إيرفس الذي يكتنف أرجاء الجحيم، وابن دجنة الليل الحالك. وقد فرض على كل ظلّ يروم اجتياز أنهار الجحيم، أن يؤدي له فلساً يضعه الأحياء تحت لسان الفقيد، إن كان فقيراً. وإلا ففلسين أو ثلاثة. ومن لا يحمل هذا الفلس أو من

لم يدفن بعد موته، لكره خارُن بمقدافه، وتركه يتيمه ملائعاً على ضفاف
أخيرُن مدة مئة عام.

٢ - وإن شاءَ حي من الأحياء أن يعلو الفلاك ليجتاز الأنهر، عليه أن يحمل
إلى ربّة عالم الأموات غصناً من ذهب، يبنّت على شجرة فريدة، لا تهدى إليها
برسفوني إلا من تشاء. وإذا خشي خارُن بطش هرقليس وأجازه دون ذلك
الغصن، كُلَّ ربان الجحيم، وألقى في مهاوي تارترُس سنة كاملة ولم يكن خارُن
يستطيع أن ينقل من تلك الأرواح المزدحمة كالفراش، سوى عدد زهيد كل دور،
لأن زورقه قد تخْ وتشقّ.

٣ - ويصب النهران المذكوران في نهرٍ كبير يحدق بالجحيم من كل
صوب، ويحيط بها تسع مرات. والنهر هو نهرِ ستِيكُس، تلك الغادة الحسنة
ابنةِ المحيط وأخته تثيس. وقد اقترنَت بالتيتان بلاس فولدت له الغيرة والبأس
والعنف والظفر. ولما ثار التيطان على أبناءِ الزمان، لم تعبأ بقرينها، بل مالت
أولادها إلى أبناءِ عمها. فكافأها زفس بأن جعل اسمها مقدساً رهيباً، لا
يحلُّ به إله ويحيث بقسمه، إلا ويفقد ميزاتُ أووهته مدة قرن كامل.

وهنالك أيضاً ثلاثة أنهر، الأول يحوط منقع العذاب ويزيده رهبةً وهو لاً
وهو نهرِ إفليتُن، نهر اللهب والشهب. والثاني في بقعة السعادة وهو نهر
إرِذاتِس، والثالث على حدود الموت والحياة. وهو نهر التسيان والسلوان.

٤- البقع الكبرى في الجحيم ودركاتها

١ - بعد عبور النهر الأكبر، يدخل الزائر مملكة الظلال. فيستقبله على
أرض تكثر مستنقعاتها، وحش ضارٍ يربِّ عواوِه رنة الصنوچ، وتزفر
الأفاعي فوق عناقه، ويقطر السم من أشداقه. وقد عاين له بعضهم خمسين
رأساً. وعاين غيرهم ثلاثة أرؤس. وإن أفلت أحد من كلبِ الجحيم، لم يُفلت
من الهولات الأخرى التي حرست مداخل عالم الأموات.

٢ - ويتقىم الجائل في تلك الرحاب، وإذا أمامه سهل فسيح ينبع منه أنين شجي يطلقه الأطفال المائتون، حين الولادة أو بعدها بقليل. ويلي السهل سهل أكبر حشرت فيه أرواح الضحايا البريئة، وقد جنت عليهما العدالة البشرية وحرمتها لذة الحياة، بأحكام اعتباطية جائرة. وقد انتصب بين تلك الجماهير من الضحايا منبر مينس ملك كريت الأسبق، قاضي الجحيم المكرّم، يساعده أخوه إيكوس في الاستماع إلى قضايا الأرواح، وفي البحث عن أعمالها الصالحة، وفي تحديد الثواب أو العقاب، المتوجّب على كل واحدة منها.

٣ - وإذا قطع المرء سهل مينس، بلغ بقعة البكاء والنحيب، وقد انتشر في شعاب تلالها ووهادها، المنتحرون الذين صرموا جبل حياتهم، وهم الآن تائرون في تلك الوهاد يشكون ويتذمرون من قسوة حبيب صدّهم، أو معبد سلامتهم، أو معشوق أثار حقدم. ويبحثون في يأس وبؤس عن صاحب هياتهم ومهيج غرامهم، شأنهم في الحياة السالفة. أما الجنود والمشاهير من القواد والأبطال، نظير أغمنشن ملك الملوك، وأجكس الجيش وأخلفس المغوار وهركليس الصنديد، فهولاء وغيرهم كثيرون انصرفوا في مرج نير وضاء إلى المبارزة والملاكمـة، وإلى مختلف ألعاب الرياضة والفروسية.

٤ - وبعد مرج المحاربين تتشعب الطريق شعيبين، يؤدي أحدهما إلى منقع العذاب والآخر إلى مرتع العزاء والثواب. فهناك على بعد شاسع أرسـيت على الصخر الأصم أساسات ثلاثة أسوار شامخة، هي أسوار مكان البلاء والشقاء ويحـق بتلك الجدران العاتية المنيفة، نهر يزجي في تياره نيراناً متاجـة وحـمـماً متـوهـجة، دعي فـلـيـثـنـ أي نـهـرـ اللـظـىـ. وأـسـنـدـتـ بوـابـتاـ التـارـتـرـسـ إلى عمودين من ماس، وارتـقـعـ وراءـهاـ بـرجـ هـائلـ منـ حـدـيدـ. وبـقـربـ نـهـرـ النـشـيجـ والنـحـيبـ، جـلسـ حـاـكـمـ سـجـنـ الجـحـيمـ، يـمـليـ عـلـىـ المـعـذـبـينـ أـحـكـامـ شـقـائـهمـ المـرـيرـ. وـرـذـامـنـشـ هوـ أـخـوـ مـينـسـ وـأـكـوسـ، وـابـنـ إـفـروـبـاـ خـلـيـلـةـ ربـ الـآـلهـةـ.

ومن حكم عليه القاضي الرهيب، زُجَّ في مهاوي تارترس، في لحج لا قرار لها، من فوهة فاغرة رست بجانبها قواعد الأرض والبحار. وإذا هبط إليها جان من الجناة، تدهور فيها من هاوية إلى هاوية، مدة أيام وشهور. وبعد سنة كاملة لا يبلغ إلى القرار، والأعاصير تقاذفه كورقة من أوراق الخريف، تناثرت في مهب الريح.

٥ - ومن تلك الفوهة المشؤومة، التي يشتمز منها الآلهة، والتي أغلقها بسدون بأبواب من نحاس، انحدر تيتيس الجبار الذي يغطي جسمه تسع مئة وخمسين متراً مربعاً، إذا تمدد على الأرض. وقد سُلط عليه عقابان ينهشان كبده بلا هوادة، لأنه أهان لتو والدة أبولن وأرتيميس، عندما هربت من الأفعوان بثون. ومن تلك الفوهة هبط سييفس ملك كورنث الشرير، وأكره على درجة صخر إلى ذروة جبل، يهوي منها كلما قارب الوصول إليها. لأنه كان يهرس الناس بالصخور، أو يفسخهم بجزوع الصنوبر. وهبط تانتلس بن زفس ملك لذيا الذي تطاول على الآلهة بعد أن قبلوه ضيفاً على موائدهم. وقدم لهم مرة لاختبار علمهم لحم ابنه بيليس. فألقى في منقع العذاب هذا، في مستنقع لا يستطيع أن يعبّ من مائه ليريوي سعير عطشه، وأمام مائدةٍ فاخرة، لا يمكنه أن يأكل أكلها الشهي ويهدئ به جوعه.

٦ - ففي تلك البقعة الرهيبة، طرح التيطان المعاندون والمردة المكابرون المتجردون. وطرح أيضاً سلمنفس الذي أعماه الغرور ورام أن يماثل رب الآلهة بقذف الصواعق والبروق. وإيسين الأثيم الذي ندم عليه زفس بعد أن أحرق عمه أباً قرينته في تدور مستعر، ودعاه إلى مأدبة في ديار الخلد، فتطاول على هيرا زوج رب الآلهة. وكل الخونة والحانين والبخلاء والخاطفين والسراق والمنهتكين. فهو لاءً جمِيعاً كانت تسفون، إحدى ربات الانتقام، تستقبلهم بثوبها الدامي، وتدفعهم إلى شقيقتها أكلتو فتسومهم عسفًا وخسفاً، وتنهال عليهم بمقارع من ثعابين، وأختها ميغرا بمشاعل متقدة.

٧ - وعندما يبتعد الجائب الوجل عن تلك الأصقاع الباعة على الذعر، ويُضمّ أذنيه عن هول العويل والتحبيب، وينعطف شطر اليمين إلى بقعة العراء والهباء، يعثر فيها على مغانٍ ورياض ومراتع وغياض، استسلم أهلها إلى الصفاء وصنوف الرغد والرخاء. هواؤها نقى وضاء، وسماؤها نور وسناة. تشرق عليها نيرات بهية وتثيرها كواكب سنية. فتلك ديار السعادة ينصرفون فيها إلى المحاورة والمنادمة، على أعشاب ناعمة مخلمية، في راحة دائمة سرمدية. إلا لمن هاجه الشوق إلى حياة الأرض العلوية.

٨ - وتنساب هناك مياه نهر ارذانس النقيّة الفضية، الذي تقام على ضفافه حلقات اللعب والطرب. ومياه نهر النسيان والسلوان، الذي تزدحم بجواره الأرواح، عندما نسام حياة الظلّال، لتعبَّ من رائق كوثره وتسلو ماضيها القريب والبعيد، وتتوق إلى حياة عمر جديد. لأن روح الكون الشاملة في زعمهم، تبعث فيها ذلك الحنين، وتحدوها إلى العودة إلى سالف السنين، إلى عيش النك في ديار المائتين. فتغادر النفوس مقرّ السعادة، وتعود إلى هذه الدنيا من باب العاج وأحلامه الوهمية الخداعية، أو من باب القرون وأحلامه الثابتة الحقيقة. ومن ولج الدنيا مجدداً من باب العاج، بدا فيها من أصحاب الخيال. وأما من عبر إليها من الباب القرني، تصرّف فيها باعتدال وفقاً لما يقضي واقع الحال.

الفقرة الثانية

آلهة الجحيم وأعوانهم

١- هاذس ملك الهاوية

١- إن ملك الجحيم والهاوية هو ابن اخرونوس وريثاً، وأخو زفس وبسذون وهيرا. وكان إلهاً حصيفاً رصيناً، لا يغادر قصره البديع الوسيع، القائم بجوار الأنهار والينابيع، على مدخل ديار السعد، ومقر الصفاء والرخاء والرقد.

وقد خرج مرة إلى وجه الأرض، ليخطف برسفوني الحسناء قرينته البهية الهيفاء التي ملّكتها معه على ديار السعداء، وأصقاع البلى والعفاء. وخرج مرة ثانية إلى نطاسي ماهر بارع ليداوي طعنة في كتفه، أصابه بها هركليس، عندما احتمى كيرفرس تحت عرشه، وصدّ هو ابن زفس عن سحبه وجراه. وعلى كل حال، إن عن له أن يغادر دياره، يلبس قبعة تحجبه عن الأ بصار، فيجوب بها الأصقاع والأ مصار.

٢- قلنا إن ذلك الإله القدير، كان عاقلاً وقوراً. وفي الواقع لم يُر غيره زوجه ونقطة حماته، إلا مرة أو مرتين. ففي ذات يوم، بينما كان يتقدّم أحوال رعاياه، ويجبّ في أرجاء مملكته، مرتدياً قبعته السحرية التي تخفيه عن الأ بصار، رأى على صفة ككتوس غادة واجفة حزينة، ذات جمال وروعة. فدنا منها فجأة وعزّاها بلطف وفرج كربتها ووعدها أن يتذذها صديقة ووصيفة لقرينته كوري. ولكن هذه تزولت من التتابعة، لما لاحظت ما بينها وبين قرينهما هاذس. وأبدت مخالفها لأمّها القديرة ذميّر. فهرعت إلها الزرع والضرع وداست البائسة بقدميها. فأسف عليها رب الجحيم، وحول خليلته منش إلى نعنعة وخصّ ذاته بهذه الزهرة.

٣ - وصادق ابنة المحيط لفكي البيضاء، وأقامها في القصر مشرفة على الوصيفات، وعمّرت فيه طويلاً. ثم قشت نجها فأحالها الإله إلى صفصافة قضية، ينشر النسيم أوراقها على ضفاف نهر النسيان. وقد تكلل هرقليس في عودته من ديار المائتين بأوراقها الجميلة.

ولقد أكرموا الإله هادس إكراهم رهبة وخوف وحذر. واعتادوا أن يذبحوا له ذبائح مزدوجة لا مفردة، كما ضحوا لغيره من الآلهة. وأفضل الضحايا التي ضحيت له الثيران والضأن والنعاج السوداء. وإذا دعوه رکعوا سجداً، وضرموا الأرض بأكفهم. أما نباته المختار فهو مع النعنع السرو والنرجس.

٢- قرينة هادس كوري - برسفوني

١ - إن كوري - برسفوني إلهة الربيع، وجّه النير العابق البديع، هي نفسها بهجتها ورونقه وأريجه. وقد دعتها سُفُو شاعرتهم الملهمة "زهيرة الربيعة الفائحة". وعلى ما رأينا في سيرة أمها، إنها ابنة زفس وذميتر، إلهة فتية رائعة، تمثل العمر في ربيعه، والشباب في شرخه، والبهاء وزهوه في ريعانه. وتمثل الأيام العذاب وأملها الباسم الجذاب، وسحرها الفاتن الخالب.

٢ - ولكن الربيع يعقبه الخريف، وتثور فيه الرياح الزعازع وتتأتي بالعواصف والزوابع، تليها المتاعب والمصائب والفواجع. كذلك تلك الغادة الحسناء اللعوب وتلك الإلهة المبهجة الطروب، سقطت عليها يد الجحيم وبلتها ببلاء رخيص وسحبتها إلى ديجور ليل بهيم، إلى ديار البلى والفساد. ومع أنها تعود إلى مغاني النور وتنشر فيها البهجة والحبور مع الرياحين والأزاهر والعطور، فهي لم تعد تبدو بما ازدانت به من البشر والطرب والسرور.

٣ - كان الألبيون آلهة سعيدين، وأرباباً مؤبدين خالدين، لا يعيّون كثيراً بمشاكل البشر ولا بما ينالهم من مكاره وغيره. أما كوري وذميتر، فقد عرفتا الحسرة والهم، وذاقتا الألم والغم. ولذا كثيراً ما يلجأ الأقدمون إلى هاتين الإلهتين لأن الأم فجعتها السنون، إذ تخفي عنها ابنتها كل عام، وأن البنت رأت هول المنون، وخبرت مرارته على الأنام. فهما من ثمة الإهنا

الرحمة والشفقة، ترثيان لحال من جار عليهما القدر، وبلغتهم الأيام بالمحن وال عبر، وأذلم الموت وجار وقهر.

٤ - وقد أكرموا الإلهة برسفوني في صقلية وساردس، وأطلقوا عليها في اركذيا لقب نسبنا أي الإلهة السيدة، ولقب برسفوني ستيرا أي برسفوني المخلصة، ولم يفصلوها عن أمها في أسرار إفسيس. أما شعاراتها كإلهة للجحيم فهي الخفافيش والنرجس والرمآن. وإذا حبست رحمها عن الولادة، لأن مملكة قرينهَا مملكة البلى لا الحياة، اعتادوا أن يذبحوا لها بقرًا عاقرًا.

٣- هكاثي القمر المكفر أحدى إلهات الجحيم

١ - ادعى هسيدس أن الإلهة هكاثي هي ابنة التيطان برسيس والتيطانة ستيريا. وزعم غيره أنها بنت من بنت زفس، ولدتها له حليلته هيرا ربّة الآلهة والبشر. إلا أن هذا الرأي وذاك هو اعتقاد خاطئ. فإذا كانت الإلهة هكاثي نفس الإلهة ميني أو الإلهة سليني، فهي والحالة هذه شخص القمر، كما أن هيليس أخاها هو شخص الشمس، وكلاهما ابنا التيطان هيرين والتيطانة إرفائساً. وإذا كانت نفس أرتيميس، فهي أخت أبولن وابنة زفس ولتو. ومنهم أخيراً من خلط بينها وبين برسفوني إلهة الجحيم. ولكن هؤلاء يهربون بما لا يعرفون.

٢ - اشتهرت هذه الإلهة بقدرتها في السماء وعلى الأرض. فهي تدفع أبلوتس الثراء ابن ذميتر ليهب الناس الغنى والفوز والفتنة. وأراد الثراء أن يحصر خيراته في الأبرار والأخيار، فشكّته هكاثي إلى أبيها وخاله زفس. فرأى رب الآلهة أن المثل القائل: "ما أجمل الدين والديني إذا اجتمعا". لا يصلح تطبيقه إلا في ما ندر. والرخاء والرفاهية إذا افترنا بالفضيلة قد يفسدها، وعلى كل حال، قد يكونا أجرًا عاجلاً وثواباً دانياً. وإن الفضيلة أعظم أجر في حد ذاتها، وأبهى ثواب ل نفسها في هذه الدنيا. ولذا ضرب الثراء بالعمى. ومن ذلك الحين أخذ الأشرار يتزلّفون إلى الغنى، ويستثمرونها على حساب الأخيار. وهكاثي تسهر آناء الليل على القطuan، وتهدي السفن في لحج البحار، وقد ساعدت زفس في حرب العمالق. ولذا ما فتنوا بجلونها بين الخالدين.

٣ - وزعم من أحدرها من هيرا ربة الأرباب، أنها اختلست من والدتها علبة من النزور والعطور، لتهديها إلى إفروبا. وإذا حنقت أمها، هربت هي من وجهها وأوت على الأرض إلى بيت امرأة "تفاس". فتتجست من ملامستها. فأخذها الكافري كهنة كفيلي وغضّسوها في نهر أخرين، وأزالوا عنها رجسها. ومنذئذ غدت هكاثي إلهة علوية وسفلية معاً. وغنت في عالم الظلال هيبة ونفوذاً. فدعوها زعيمة الموتى والملكة غير المقهورة.

٤ - وقد أشرفت منذ القدم على التكبير والتطهير، وعلى الشعوذة والسحر والطسلمة. وما انفكَت تبعث بشياطينها إلى الأرض لتعذب البشر ولاسيما الأردياء، وتبدو بذاتها في الليالي الظلماء، تصحبها ثلاثة من الكلاب السوداء، على مفارق الطرق وعلى الضرائح والقبور وفي مكانِ الإنم والشروع. وانقاء لسخطها نصبو لها التماثيل الثلاثية الوجه، وقربوا لها الذبائح والقرابين، فإذا ما هلّ الهلال في السماء، وخطر بتؤدة في كبد الفضاء، وبدا طيفه من وراء السحاب، وتلألأ بين دوّحات الغاب وأشجار الصنوبر والسرور والشريبين.

٤- أعون آلهة الجحيم: الموت والسبات والإلهات الأجل وربات الانتقام

١ - إن الموت ثانتس، ممون الجحيم ومستوردها الأكبر، هو ابن الليل الداجي. ودجنة الليل ولدته دون اقترانها بـپيرفس. وهو آخر النوم هيبتُس. وقد تمنّواهـما بهيئة ملاكين. الأول يجول بين المائتين ويختطف منهم فرائسه. والثاني يمسّ بعصاه السحرية الآلهة والبشر، فيلقي عليهم السبات العميق. وابن النوم مرفقـس إله الأوهام والأحلام. وقد أوقع هـبيتُس السبات على زفس فوق جبل إيدا.

٢ - أما كيرس فهو إلهات الأجل وبنات الليل وأخوات الموت. ولدتهن دجنة الليل دون قران أيضاً. وكانت إلهات الأجل نصيرات إلهات القدر. فإذا حُمّ الأجل وحان وقت الرحيل، وصرمت إلهات القدر حـلـ العـمرـ، أقبلـتـ إـيكـيرـسـ وأـخـذـتـ بـتـلـاـبـيـبـ الـبـائـسـ الـمحـتـضـرـ، وـطـعـنـتـهـ الطـعـنـةـ الـأـخـيـرـةـ، وـهـوـتـ بهـ إـلـىـ دـيـارـ الـظـلـالـ. وـقـدـ أـبـدـتـ هـذـهـ إـلـهـاتـ بـطـشـهـاـ فـيـ المـعـامـعـ وـالـمعـارـكـ، حيثـ تـبـدوـ بـثـيـابـ قـائـةـ وـسـحـنـ كـالـحـةـ وـتـنـقـضـ عـلـىـ الـجـرـحـ وـتـنـشـبـ أـظـافـرـهـاـ

في جرائمهم، وتودي بحياتهم، ثم تقبل عليهم وتعبّ بهم من دمائهم. ولذا دعوها كلبات الجحيم.

٣ - أما إلهات الانتقام فقد رأينا كيف انصرفت تلك الإلهات إلى تعذيب الأردياء في منقوع البلاء والشقاء. وقد اختلفوا في نسبتها. فمنهم من نماها إلى الأرض بعد أن أخضبتها دماء السماء. وهذا رأي هسيدس. ومنهم من نسبها إلى الليل، ومنهم من أحدرها من إيرفس.

وعلى كل حال، كانت تلك الجنيات إلهات رهيبات، يسرعن إلى مكان الجريمة ويقمن على عتبة البيت، ولا يدعن أحداً ينجو من نقمتهن، حتى في موضع العذاب، في مهاوي تارترس. لاسيما إذا كان الجاني قد اقترف جنائته، بحق والديه أو أحد ذويه.

هذه سيرة الآلة أرباب البشر. وهذه تفاصيل مواليدهم ووقائع فعالهم وأعمالهم، فيها فكاهة للهواة وعبرة للمفكرين والفلسفه وعلماء الدين والباحثين عن المعتقدات والديانات. ومن خلال هذه الأساطير والخرافات، يستشف المطالع الأديب والمفكر الأريب نزعة الإنسان العميقه إلى الخلود، وإلى حياة الألوهة، وإلى السعادة والغبطة الدائمة.

فهرس الأعلان

A =

Ankhicis	أنخيسيس	Actéon	أكتئن
Aétis	أيبتس	Acropolis	أكريبولس
Aélio	أيلو	Alithéa	الثئا
Arghis	أرغيس	Akis	أكيس
Arkas	أركاس	Alciidhés	السيديس
Arkdhïa	أركنيا	Alphéos	الفنوس
Ariàdhnie	أرياذني	Alectrion	الكتريون
Asopos	أسوبوس	Alkipie	الكبي
Astipàlie	أستبالي	Alecto	الكتو
Astréos	أسترئس	Alkistis	الكستيس
Astérion	أسترین	Alcménie	الكميني
Astéria	أستريا	Alkionèvs	الكينفس
Astéria	أستريا	Alkinoos	الكينوس
Astérios	أستيريوس	Aloévs	النفس
Ascàlovos	أسكارلوفوس	Amathous	أماثوس
Asclipios	أسكلبيوس	Amazones	أمازون
Acïa	أسيبا	Amphiritie	أمفتريتي
Atlas	أطلاس	Amphitrión	أمفترين
Aghàvie	أغافي	Amphion	أمفين
Aghlaïe	أغلائي	Amiclas	أمكلاس
Aglaïa	أغلايا	Amàlthia	أمالايا
Aghamèmnon	أغممنون	Anthidhon	أنندون
Aghanipie	أغنبي	Anatolie	أنتنلي
Aghinor	أغينر	Antiopie	أنتيوببي

Athàmas	أثamas	Aftonoïe	أفتئي
Athinà	آثنا	Afroditie	أفرذتي
Athènes	أثينا	Avghias	أفعيس
Athinèa	أثينئا	Avloniàdhès	أفليادس
Avghias	أفعيس	Avérnus	أفيرنس
Avloniàdhès	أفليادس	Atropos	آتربس
Avérnus	أفيرنس	Admitos	آدمتس
Atropos	آتربس	Adhon	آذن
Admitos	آدمتس	Adhonis	آذنس
Adhon	آذن	Aris	آرس
Adhonis	آذنس	Arghos	آرغس
Aris	آرس	Aghlavros	آغلفرس
Aristèvs	أرستقفس	Avidhos	آفس
Arghira	أرغرا	Ampélos	آمبليس
Argholis	أرغليس	Amicos	آمكس
Argho	أرغو	Apollon	أبولن
		Attikie	أتكى

O = أ

Oriadhès	أريادس	Othris	أثيريس
Orion	أرين	Odhissèvs	أدسفس
Okéanos	أكتئوس	Orithia	أريثيا
Olympia	المبيا	Ortighie	أرتغى
Onkos	أنكس	Orkhamos	أرخموس
Otos	أوتس	Orkhoménos	أرخمنوس
Ossa	أوسا	Orkhoménia	أرخمنيا
Olympos	أولمبيس	Ouranïa	أرنينا

$$Q_{11} =$$

Ouranos أُرْنُوس

$$\hat{E} = \mathbb{I}$$

Eakos	إِيكوس	Eolos	إِيلوس
Eos	إِيوس	Evropa	إِفروبا
Ea	إِيئا	Evropie	إِفروبى
Epopèus	إِيبيفس	Evrotas	إِفروتس
Epaphos	إِيفوس	Evrialie	إِفريالى
Epimithèvs	إِيمتنفس	Evripilos	إِفريپيلس
Epidhavros	إِيدنفرس	Evanthis	إِفانثيس
Etolia	إِتليا	Evnomia	إِفونميا
Etna	إِتنا	Elevsinion	إِلفسينين
Ethalia	إِثليا	Elephsis	إِلفسيس
Ekhinadhès	إِخناذس	Enipéos	إِنبيؤس
Ethouça	إِتوسا	Endhimion	إِندمين
Erikhthonios	إِرخونينس	Enocikhthon	إِنسختون
Ericikhthon	إِرسختون	Enkiladhis	إِنكلادس
Ercie	إِرسى	Enias	إِنيس
Eryx	إِركس	Eyta	إِيتا
Ernys	إِرنيس	Eitis	إِيرتيس
Eros	إِروس	Ekhidhna	إِاخذنا
Eghinie	إِاغنى	Erévos	إِيرفس
Eghéos	إِاغيؤس	Ephécos	إِيفيس
Ephrocinie	إِفرسبي	Evros	إِيفرس
Ephialtis	إِفالتس	Evhimos	إِفعمس
Evterpie	إِفتيربى	Evvia	إِيفيا

Evrvia	إفرفيا	Evritos	إفرتس
Evridhikie	إفرذيكى	Evrition	إفرتىن
Evrinomie	إفرنومى	Evriphaessa	إفرفائسا

I = إ

Ilectra	إلكترا	Ilis	إيليس
Ilythia	إليثيا	Ilios	إيليوس
Imathion	إماثين	Ilion	إيليون
Inopion	إنبين	Iamvie	إيمفي
Inévs	إنفس	Ionia	إينيا
Ino	إنو	Io	إيو
Inopia	إنوبيا	Ion	إين
Iacon	إياسن	Ipionie	إيوني
Iacion	إيسين	Ikho	إخو
Inomaos	إنومؤس	Idhmon	إدمون
Ipiros	إبيرس	Idhéi	إذبي
Idha	إيدا	Sparte	إسبرطة
Iris	إيرس	Iphmidhia	إفمذيا
Iaço	إيسو	Ixion	إكسين
Ikaros	إيكروس	Ilissos	إلسوس

P = ب

Psykhie	ابسخي	Piça	بيسا
Paciphaïe	بسفائي	Píeria	بيريا
Psammathie	ابسماثي	Pighaços	بيغسوس
Pessoinous	بسنوس	Pélops	بيليس
Pyghmalion	بغملين	Pilion	بيلين

Paris	بارس	Pavsanias	بفسنس
Paphos	بافس	Pallas	بلاس
Pan	بان	Palatinus	بلتنس
Pandhimos	باندمس	Polidhevkis	بلذيفكس
Panthios	بانثيس	Polidhectis	بلذيكتس
Patroclis	بتركليس	Pilevs	بلفس
Pithon	بثورن	Polivotis	بلفوتيس
Pithonissa	بثورنسا	Palliki	بكلي
Potamidhès	بتمندش	Ploutos	ابلونتس
Podhalirios	بذليريس	Palodhie	بلوذي
Protèvs	ابرتقس	Pliadhès	ابليلادس
Pyrra	برّا	Polivotos	بليفتس
Persèvs	برسفس	Poliphimos	بليفمس
Persèphonie	برسفوني	Pélion	بليون
Persis	برسيس	Plionie	ابليلوني
Porphirion	برفررين	Pélias	بليس
Procris	ابركريس	Pendélicon	بنتلكون
Parcsitélis	ابركسنتيلس	Pindharos (Pindare)	بندرس
Promithèvs	ابرمتقس	Pandhora	بنذورا
Parnassos	برنسوس	Pandhia	بنذيا
priapos	ابرييوس	Pontos	بنطس
Pornie	برني	Panghie	بنغي
Pritos	ابريتس	Panakia	بنكيا
Pyrithoos	بريثوس	Pénélopie	بللوبي
Priamos	ابريموس	Pinios (Pénée)	بنيوس
Pocidhon	بسدون	Pothos	بوثس
		Pitys	بيتس

T = ت

Trizin	اترزين	Tityos	تیتیس
Tirécias	ترسیس	Tyrinthos	تیرنثس
Triton	اتریطون	Typon	تیفون
Tiro	ترو	Ténédhos	تیندوس
Tros	اتروس	Ténaros	تینرس
Ticiphon	تسفون	Ténaron	تینرن
Tighris	تغريس	Tartaros	تارترس
Taviétis	تفیتیس	Taviétos	تافیتیس
Télesphoros	تلسفورس	Tantalos	تانتلس
Téléphouça	تلفوسا	Titthion	تنثین
Tiléghonos	تلیخنس	Titéa	تنیا
Tilémakhos	تلیمکھس	Tithys	تنیس
Tampie	تمبی	Tikhie	تخی
Tmolos	اتمولس	Triptolémos	اتربتو لمس
Tyndharis	تنذارس	Terpsikhorie	تربسخوری

Th = ث

Thavmas	شمامس	Thalia	ثالیا
Thoossa	تؤوسا	Thanatos	ثانتس
Thétis	ثیتس	Thrace	ثرافیا
Thiris	ثیرس	Tharghilion	ثرغلیون
Théphanie	تفانی	Thrinacia	ادرنکریا
Thèbes	ثیبة	Thessalia	شسلیا
Thèmis	ثیمس	Thicèvs (Thèsée)	شفس
Thia	ثیا	Thesmophoros	شمفورس

J = ج

	Jamos	جams
--	-------	------

Kh = خ

Khiron	خيرن	Xaris	خارس
Khiméra	خيمرا	Kharivdhis	خارفنس
Khionie	خيوني	Khariclo	خركلو
Khios	خيس	Khronos	اخرونوس
		Khricis	اخريسس

Dh = ذ

Dhriadhes	اذريادس	Dhikie	ذيكى
Dhriops	اذرييس	Dhilos	ذيلس
Dhoris	ذريس	Dhiomidhis	ذيميدس
Dhevalion	ذفالين	Dhionyços	ذيونس
Dhimophon	ذمفون	Dhionie	ذيوني
Dhimitir	ذميتر	Dhardhanos	ذارذنس
Dhanaïe	ذنائي	Dharios	ذاريص
Dhanaos	ذنؤوس	Daphnis	ذافنس
Dhianira	ذيانرا	Daphnie	ذافي
Dhéthalos	ذينلس	Dhactili	ذاكتنى
Dhéiphovie	ذئفي	Dhamascos	ذامسكس (دمشق)
Dhictis	ذيكتس	Dhodhon	ذدون

R = ر

Rhétos	ريتس	Rhadhamanthis	رذامنيس
Rhéa	ريئا	Rodhos	روذس

Z = ز

Zithos	زيثوس	Zaghrèvs	زغرفس
Zéphiros	زيفرس	Zevs	زفس
Zinos	زينس	Zitis	زيتيس

S = س

Styx	استيكس	Silinos	سلنوس
Stymphalos	استيمفالس	Sélinie	سليني
Sthéno	استهو	Sileni	سليني
Sidhie	سدي	Smirnie	اسميرني (ازمير)
Sarpédon	سربدون	Simonidhis	سمينيدس
Sirine	سرین	Sémélie	سميلي
Sapho	سفو	Singharios	سنغاريس
Savazia	سفاذيا	Souria	سوريا
Savaios	سفاذيس	Siriphos	سيرفيس
Scamandhros	اسكاماندرس	Sirios	سيريس
Skithia	اسكتيا	Sirinx	سيرنكس
Skylla	اسكيللا	Sisiphos	سيسفس
Sikyonie	سكيوني	Sinis	سينس
Salmakis	سلامكيس	Septiria	سبتيريا
Salmonèvs	سلمونفس	Staphilos	استافليس
Sélemons	سلمونوس	Stérropis	استربليس

Ç = ص

	Çour	صور
--	------	-----

T = ط

Troas	اطروآس	Troada	اطروادة
-------	--------	--------	---------

Gh = غ

Ghalatia	غانتيا	Ghalli	غالي
Ghalinie	غليني	Ghordhias	غرذيس
Ghanimidhis	غميدس	Ghrghonès	غرغونس
Ghéa	غيأ	Ghavkie	اغلافكي
Ghéis	غيئس	Ghlavkos	اغلفكوس

F = ف

Phénicie	فينقيا	Phidhias	فديس
Phosphoros	فوسفرس	Phryghïa	افرغيا
Pholos	فولس	Phorvas	فرفاس
Phaéthouça	فتوصا	Phorkis	فركيس
Phivos	فيفس	Phoronèvs	فرنفس
Phivie	فيفي	Phokis	فكيس
Philios	فيلي	Phlyghïas	افلغيس
Phinix	فينكس	Phallos	فلوس

V = ف

Vosporos	فسبرس (البسفور)	Vackhos (Bacchus)	فاكخس
Vassarèvs	فسرفنس	Vithinia	فتنيا
Viçaltis	فسلاتيس	Vravrone	افرفرون
Vociris	فسيرس	Vrontis	افرنطيس
Vavvo	فو	Véroïe	فروئي
Vellérophon	فارفون	Vriaréos	افريارئس
Vendhis	فنديس	Voréadhé	فرياده
Viotia	فيتيا	Voréas	فريئس

K = ق

Koubros (Chypre)	قبرص
---------------------	------

C = ك

Caviro	كفرو	Clitios	اكلينيس
Cavcase	كفايز	Clio	اكليو
Cavira	كفيرا	Kéléos	كليوس
Kivélie	كفيلي	Campania	كمبنيا
Kécrops	كربس	Cnossos	اكنسوس
Kicnos	كنس	Cnidhos	اكنيس
Claros	اكلارس	Cotos	كوتس
Calavria	كلافريا	Corinthos	كورنثس
Calypso	كليسو	Corie	كوري
Clitemnistra	اكلنمنسترا	Cos	كوس
Clotho	اكتو	Cumae	كومه
Calidhon	كلدون	Kir	كير
Clitiā	اكلتيا	Kirkie (Circé)	كيركي
Calliroïe	كاروئي	Kervéros	كيرفرس
Calisto	كليستو	Képhalos	كيفلس
Climénie	اكلمبني	Kiclopès	كيلبس
Kéléno	كانو	Kilikia	كيليكية
Colonos	كلнос	Kimie	كيمي
Colonie	كلوني	Xanthos	اكستروس
Calliope	كليبي	Cassotis	كسوتس
Clitos	اكليتيس	Kouthos	اكسوش
Cadhmos	كانمس	Kyphiços	كفسوس
Castor	كاستر	Képhalie	كافلي

Coronie	کروني	Caviri	کافري
Carite "Crête"	کريت	Calaïs	کالئس
Courîtes	کريتش	Canathos	کانش
Corivas	کريفس	Kyparissos	کبارسس
Corivantès	کريفتتس	Capadhokia	کبذكيا
Crinissa	اکرینسا	Kithérone	کثرون
Crinie	اکريني	Kithira	کثيرا
Kirinie	کريني	Kidhalion	کذلين
Carïa	کريا	Kito	کتو
Crïos	اکريس	Cratéis	اکرثيس
Castalïa	کستليا	Crissa	اكرسا
Cassandhra	کساندرا	Crotopos	اکروتبس
		Kirkion	کركين

L = ل

Lycaon	لکون	Lycos	ليكس
Locris	لکريس	Linos	لينس
Laconïa	لکنيا	Lakhécis	لاخس
Licourghos	لکورغس	Ladhon	لازن
Likéos	لکيئس	Lampasacos	لامبكس
Lykïa	لکيا	Lipari	لياري
Lampêtia	لمبتيا	Liban	لبنان
Lemnadhes	لمتدس	Lapithé	ليثه
Lemnos	لمنس	Lito	لتو
Laomédhon	لؤميذن	Lithie	لثي
Lydha	ليذا	Levcothoëe	لفكثوئي
		Livia	لفيما

M = م

Melpoménie	ملبوميني	Méghéra	ميغرا
Molianie	مليوني	Mélampos	ميلامبس
Memphis	ممفيص	Mimas	ميماس
Ménas	مناس	Memnon	ميمنن
Mentor	منتر	Minos	مينس
Minthos	منثوس	Méandhros	ميئندرس
Minerva	منرفا	Ménélas	ميليس
Mniciclis	امنسكليس	Métanira	متانرا
Mnimocinie	امنمسيني	Makhaon	مخاون
Ménitios	منيتيس	Médhouça	مذوسا
Moros	مورس	Marathon	مرثون
Mitis	ميتيس	Marsyas	مرسيس
Midhas	ميدس	Mérope	مروبي
Mérops	ميرس	Mirinie	مرني
Mirai	ميره	Makédonia	مكذنيا
Mistra	ميسترا	Macris	مكريس
		Mikinie	مكينس

N = ن

Naïadhes	نيادس	Napoli	نابلي
Napaié	نبيئه	Navpactos	نافبكتس
Nirèvs	نرفن	Navplios	نافبليس
Niréidhés	نريئنس	Naxos	ناكسس

Nymphie	نمي	Niréis	نرئيس
Néméa	نميا	Nisros	نسروس
Notos	نوتس	Navplia	نفilia
Némécis	نيمس	Nictèvs	نكفس
Nééra	نير	Nilèvs	نفس
		Nymphé	نمف

H = هـ

Hilius	هيليوس	Hélénos	هلنوس
Hipérion	هبرين	Héléotrope	هليتروب
Hypolitie	هليتي	Hilicion	هليسين
Hippothoos	هبوثوس	Héléná	هلينا
Hygie	هجي	Hélénie	هليني
Harpalie	هربالى	Hélérès	هليرس
Harpina	هربينا	Hymittos	همتوس
Hiraclia	هركريا	Horai	هوره
Hiraclis	هركليس	Homiros	هومرس
Harmonia	هرمنيا	Hyadhès	هيانس
Hermaphroditos	هرمفرودنوس	Hyakinthos	هياكتنس
Hermis	هرميس	Hira	هيرا
Hirievs	هريفس	Hiérophantis	هيرفانتس
Hespéridhé	هسبريده	Hespéros	هيسبرس
Hestia	هستيا	Hivie	هيفي
Hiciodhos	هسيونس	Hiphestos	هيفستس

Hyghia	هغیا	Himéros	هیمرس
Hécatie	هکاتی	Harpiai	هاربیہ
Hécatonkhiri	هکتونخیری	Hadhis	هادس
Hélicon	هلكون	Hippodhamïa	هبدمیا
Hellin	هلهن	Hipérinor	هبرینر

I = ي

Ioupiter	یوبیتر	Iapétos	بیتوس
----------	--------	---------	-------

مراجع كتاب الأسطورة اليونانية

La Mythologie. E. Hamilton. Paris, 1962.

Mythologie universelle, A. H. Krappe, Paris,. 1930

Mythologie générale, F. Guirand, Paris, 1935.

Dictionnaire de Mythologie, H. Aubert, Paris, 1945.

Dictionnaire de Mythologie, H. Aubert, Paris, 1945

Les légendes mythologiques de la Grèce et de Rome, Paris. 1945.

Histoire illustrée de la littérature grecque, Y. Humbert, Paris. 1947

Histoire de la science grecque de Thalès à Socrate, R. Baccou. Paris,
1951.

Hist. Gén. des sciences I, science antique et médiévale. P. U. F. Paris
1957.

Dictionnaire des antiquités, Dezobry et Bachelet, Paris, 1863.

Hist. de la littérature grecque. A. et M. Croiset. Paris, 1933.

Manuel des études grecques et latines. L. Laurand. Paris, 1946.

Piécis d'histoire de la philosophie. Thonnard, Paris, 1945.

Aristote, la métaphysique, trad. Y Tricot. Paris, 1948.

Aristote, l'organon, trad. Y Tricot. Paris, 1948.

Aristote, de l'âme, trad. Y Tricot. Paris, 1948.

Pindare, œuvres, Coll. G. Budé. Paris, 1949.

Platon, œuvres, Coll. G. Budé. Paris 1949.

La Politique d'Aristote. Trad. A. Barbara, Beyrouth, 1957.

Lucien de Samosate, œuvres. E. Chambry. Ed. Garnier, Paris. 1934.

Diogène Laërce, œuvres R. Genaille, Ed. Garnier, Paris. 1933.

Bergson. Œuvres, P. U. F. Paris 1959.

n

الصفحة

٥	مفتتح
٨	اصطلاحات
٩	مصادر الأسطورة: وتطور اعتقاد الأقدمين بها
١١	أ- طور الاعتقاد الساذج
١٩	ب- طور الشك
٤٥	ج- طور الانكار
٥٩	مبادئ الكون
٦١	الفصل الأول : ظهور العالم ومولد الآلهة الأولين
٦٤	الفصل الثاني : سلالة أرنسوس أو أبناء السماء
٦٧	الفصل الثالث : سلالة أخرونوس أو أبناء الزمان
٦٧	١ - عند التيطان
٦٨	٢ - مولد زفس وحداثته

الصفحة

٣ - صراع الآلهة في سبيل الملك	٧٠
١ - تطاحن التيطان والعمالق	٧٠
٢ - حرب العمالق أبناء الأرض	٧١
٣ - زفس والإعصار تيفن	٧٣
الفصل الرابع: مهد البشرية	٧٥

المباحث المعاونة

آلهة السماء: الأكابر والأصغر	٨٥
---	-----------

الفصل الأول : في ديار الخلود	٨٧
الفصل الثاني : زفس أبو الآلهة والبشر - يُوبِّتر عند الرومان	٩١
الفصل الثالث : هِيرَا شريكه زفس في الملك - يُونُو عند الرومان	١٠٤
الفصل الرابع: أثنا إلهة الطهر - مِنْرفا عند الرومان	١٠٨
الفصل الخامس: ابُولَن إله النور والفن - فِيُنِيس عند الرومان	١١٥
الفصل السادس: أرْتِمِيس إلهة الصيد والسحر - دِيانا عند الرومان	١٢٦
الفصل السابع: هِرْمِيس ساعي الآلهة ورسولهم	١٣٢
الفصل الثامن: آرس إله الحرب - مارس عند الرومان	١٣٧
الفصل التاسع: هِيَقِنُس إله الصناعة - فُلکانُس عند الرومان	١٤٢
الفصل العاشر: الزُّهْرَة أفرُوزِتي إلهة الأنوثة والجمال - فِيُنِيس عند الرومان ...	١٤٧
الفصل الحادي عشر: بِسِدُون إله البحار - نِبُتونُس عند الرومان	١٥٧
الفصل الثاني عشر : هِستِيَا إلهة الموقدة - فِسْتَا عند الرومان	١٦٤
الفصل الثالث عشر : آلهة السماء الأصغر	١٦٦

البَابُ التَّالِيٌّ

آلَهَةُ الْأَرْضِ وَالْمَاءِ وَالْفَلَكِ وَالْهَوَاءِ

١٧٣	وَحْيَاةُ الْإِنْسَانِ وَالْجَحِيمِ
١٧٥	الفَصْلُ الْأُولُ : آلَهَةُ الْأَرْضِ
٢٠٢	الفَصْلُ الثَّانِي : آلَهَةُ الْمَاءِ الْمَالِحةِ وَالْعَذْبَةِ
٢١٩	الفَصْلُ الثَّالِثُ : آلَهَةُ الْفَلَكِ
٢٣١	الفَصْلُ الرَّابِعُ : آلَهَةُ الْهَوَاءِ
٢٣٤	الفَصْلُ الْخَامِسُ : آلَهَةُ حَيَاةِ الْإِنْسَانِ
٢٣٩	الفَصْلُ السَّادِسُ : آلَهَةُ الْجَحِيمِ وَالْعَقَابِ وَالثَّوَابِ
٢٥١	فَهْرَسُ الْأَعْلَامِ

الطبعة الثانية / م ٢٠١٤

عدد الطبع ١٠٠٠ نسخة



www.syrbook.gov.sy
E-mail: syrbook.dg@gmail.com

٣٣٢٩٨١٦ - ٣٣٢٩٨١٥ : هاتن
مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠١٤ م

سعر النسخة : ٤ ل.س أو ما يعادلها